

البرهان

فـ

تناسيب سور القرآن

لإمام الحافظ
أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن الزبير الثقفي

٦٢٧ - ٧٠٨ هـ

تقديم وتحقيق

د. محمد بن محمد الفقيه

مدير المعهد العالي للدراسات الإسلامية سابقاً
جامعة الزيتونة - تونس

تقديم

الشيخ الدكتور محمد بن عبد الله بن محمد الحسن التريفي

الأستاذ العام لسراطة العالم الإسلامي
مدير جامعة الإسكندرية سابقاً

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البرهان
ف
تناسب سور القرآن

حقوق الطبع محفوظة لدار ابن الجوزي

الطبعة الأولى

محرم ١٤٢٨ هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٨ هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



دار ابن الجوزي

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

المملكة العربية السعودية، الدمام - شارع الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ -

الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩ - الإحصاء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ -

جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - الفجر - ت: ٨٩٩٩٣٥٦ - فاكس: ٨٩٩٩٣٥٧ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦١٠ -

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٣٤٤٩٧٠ -

البريد الإلكتروني: www.aljawzi.com - aljawzi@hotmail.com

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلاة دائمة على محمد خير الورى.

وبعد: فإن كتاب «البرهان في تناسب سور القرآن» الذي صنّفه الإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) من نواذر ما أُلّف في الكشف عن أسرار النظم والمناسبة بين سور القرآن الكريم، ومن أقدمها وأبسطها، اعتمده وعوّل عليه أكثر من أُلّف في هذا الفنّ قديماً وحديثاً.

وحين تيسّر لي - بعون الله - تحقيقه تولّت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إخراجه في طبعته الأولى سنة ١٤٠٨هـ بمبادرة مشكورة ولفتة كريمة من مديرها يومئذ معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بارك الله في عمره وأجزل له الأجر والثواب.

ولمّا كانت هذه الطبعة طبعة داخلية وفي عدد محدود من النسخ لم يتم للكتاب الرّواج المطلوب، ولم يصل إلى أيدي أهل العلم والمهتمين بهذا الجانب من الباحثين والطلّاب، وبقي الطلب عليه متزايداً.

وسعيّاً إلى تلبية هذه الرّغبات وتمكين أهل العلم من الاستفادة من هذا الكتاب المهم في بابه، صحّ العزم - بعون الله وتوفيقه - على إخراجه في طبعة ثانية تتدارك فيها الأخطاء اللغوية والمطبعية والأنقص المتصلة بالشكل والإخراج والتنظيم التي ظهرت في الطبعة الأولى.

والله أسأل أن يجزل لمؤلفه حسن الثواب، وأن يكتب لكل من

أسهم في طبعه وإخراجه ووضعه بين أيدي الناس حسن العاقبة وحسن
المآب.

إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

المحقق

د. سعيد بن جمعة الفلاح

١٤٢٧/٤/٢٥ هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد:

تحرص الجامعة على مد جسور الاتصال مع الجامعات والجمعيات والهيئات والأفراد في كل مكان من أرجاء العالم الإسلامي على اختلاف مواقعهم وتعدد لغاتهم، مشعرة لهم بأن قاعاتها ومقاعدها الدراسية بها، والإمكانات الموجودة فيها كافة مسخرة لخدمتهم وتقديم العون الممكن لهم وفي صور شتى، من بينها: المنح الدراسية، وإمدادهم بالمدرسين، وتزويدهم بالكتب النافعة، ونشر إنتاج المبرزين منهم في مختلف فروع العلم وميادين البحث العلمي.

والجامعة تضع الكتاب الإسلامي في مقدمة اهتماماتها تحقيقاً وطباعة ونشراً وتوزيعاً، مستمدة ذلك من رسالتها تجاه المجتمع الإسلامي وواجبها تجاه الدعوة والدعاة والذود عن حياض الإسلام، وإبراز تعاليمه السمحة ومثلها العالية، وصلاحيته لبسط العدل والأمن والرخاء في المجتمعات العالمية.

ومتى كان الكتاب المحقق يتصل بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، دستور هذه الأمة وطريقها للفلاح والنجاح، فإن الاهتمام به يتضاعف والأولوية في النشر تتأكد، ابتغاء مرضاة الله تعالى وخدمة لطلاب العلم وأهله.

والكتاب الذي بين يدينا «البرهان في تناسب سور القرآن»، للإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، المتوفى سنة (٧٠٨هـ) والذي يبحث عن موضوع ترتيب السور كما هو الآن في المصحف، كتاب أصيل من نواذر المخطوطات في هذا الفن، ويعد عمدة المصنفات في هذا الباب، بل هو أقدم المؤلفات المعروفة التي أفردت فيه، وكثيراً ما ذكره العلماء وأحالوا إليه ونقلوا واستفادوا منه.

وقد صدر المؤلف كتابه بمقدمة بيّن فيها دوافع تأليفه، ومهد له بباب تكلم فيه عن ترتيب السور وخلاف العلماء فيه: هل هو توقيفي أو اجتهادي؟ وقد سار المؤلف في منهجه على ذكر مقصد السورة، أو مقاصدها وموضوعها الأساسي، أو موضوعاتها المختلفة، ثم يلتبس العلاقة بين هذه الموضوعات وموضوعات السور السابقة فتظهر بذلك المناسبة.

ومما يستفاد من هذا الكتاب الجليل - عدا غرضه الأساسي، بيان المناسبات بين السور - بيان مقاصد سور القرآن الكريم وأغراضه، إذ لا تتضح المناسبات إلا باتضاح الأغراض والمقاصد، وهي فائدة جليّة ملازمة لفوائد المناسبات.

ومحقق الكتاب الأخ الفاضل الدكتور سعيد الفلاح المدرس بالكلية الزيتونية للشرعية وأصول الدين بتونس، بذل جهداً طيباً في التقديم لهذا الكتاب وتحقيقه، فقد قدم لعمله بمدخل ضمّنه الحديث عن ثلاثة مباحث: تضمن المبحث الأول ترجمة موجزة للمؤلف تحدث فيها عن حياته ومكانته العلمية.

وتحدث في المبحث الثاني عن ترتيب السور بين التوقيف والنظر، وأورد فيه آراء وأدلة من قال بالتوقيف، ومن انتصر للاجتهاد، ومن فصل. وخصص المبحث الثالث للحديث عن مناسبة أي القرآن وسوره، أصّل فيه هذا العلم وأوضح فوائده، وبيّن ضوابطه، وآراء العلماء فيه، ومكانة المناسبة والسبب.

ثم بدأ التحقيق لنص الكتاب معتمداً على نسختين من المخطوطات إحداهما من المكتبة الوطنية بتونس، والأخرى من الخزانة العامة للمكتب والوثائق بالرباط، متهجاً إثبات النص المختار منهما.

ثم أكمل جهده المشكور بوضع فهرس مختلف للكتاب تُعين على الاستفادة منه، وحياً لله خادم الحرمين الشريفين ومعاونيه من إخوانه وحكومتهم الرشيدة، الذي ما فتئ يدعم مؤسسات العلم ودوره، ويعمل بدأب على نشر

علوم القرآن والسنة النبوية ويحيي معالمها، وينهض بالبلاد على هديهما،
ويقف بها سدّاً منيعاً وطوداً شامخاً أمام دعاة الفتنة والتفرق والضلال، ويوظف
طاقات البلاد لخدمة الإسلام والمسلمين وخيرهم دنيا وأخرى.
نفع الله بهذا الكتاب، وأجزل المثوبة والأجر لكل من أسهم في إخراجه
وأعان على نشره وتوزيعه، إنه سميع مجيب الدعاء. والحمد لله رب
العالمين..

مدير

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عبد الله بن عبد المحسن التركي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].

أما بعد: فإن كتاب الله ﷻ وما يزال منبعاً ثراً لفنون وعلوم كثيرة، ومصدراً للطائف وأسرار غزيرة، ومن أجل علومه ولطائفه وأسراره في نظمه وأسلوبه، علم المناسبة بين الآي والسور، وهو علم - مع جلالة قدره - قل فيه التصنيف، لدقته وبُعْدِ غَوْرِهِ.

وكتاب «البرهان في تناسب سور القرآن» لابن الزبير الثقفي، الذي وفقني الله لتحقيقه، من نوادر ما أُلِفَ في هذا الفن وأقدمها، فكثيراً ما اعتمده وأحال عليه الجِلَّةُ من العلماء^(١)، أبرز فيه صاحبه وجه المناسبة بين سور القرآن الكريم، وصدره بمقدمة أوضح فيها الدافع الذي حمله على تأليفه، وبياب في التعريف بترتيب السور^(٢).

المنهج العام للتحقيق:

- قدمت للتحقيق بمدخل ضمته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في ترجمة المؤلف: عرفت في هذه الترجمة باسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، وخصاله، ومذهبه، وشيوخه، ومكانته العلمية، ومؤلفاته، وتلاميذه، ووفاته.

(١) الزركشي في البرهان: ٣٥/١، برهان الدين البقاعي في مواقع من تفسيره: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، السيوطي في الإتيان: ١٣٨/٢، صبحي الصالح في مباحث في علوم القرآن: ١٥٦ وغيرهم.

(٢) انظر التعريف بهذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن الزبير: ص ٣٧.

المبحث الثاني: في ترتيب السور بين التوقيف والنظر، بسطت فيه قضية ترتيب السور في المصحف، وهل ذلك بتوقيف أو بنظر؟ لصلتها المتينة بالمناسبة، وأوردت آراء من قال بالتوقيف، ومن انتصر إلى الاجتهاد، ومن فضّل، وأدّله كل فريق.

المبحث الثالث: في مناسبة آي القرآن وسوره، أصّلْتُ فيه هذا العلم، وأوضحت في اختصار فوائده، وضوابطه، وآراء العلماء فيه، ومكانة المناسبة والسبب.

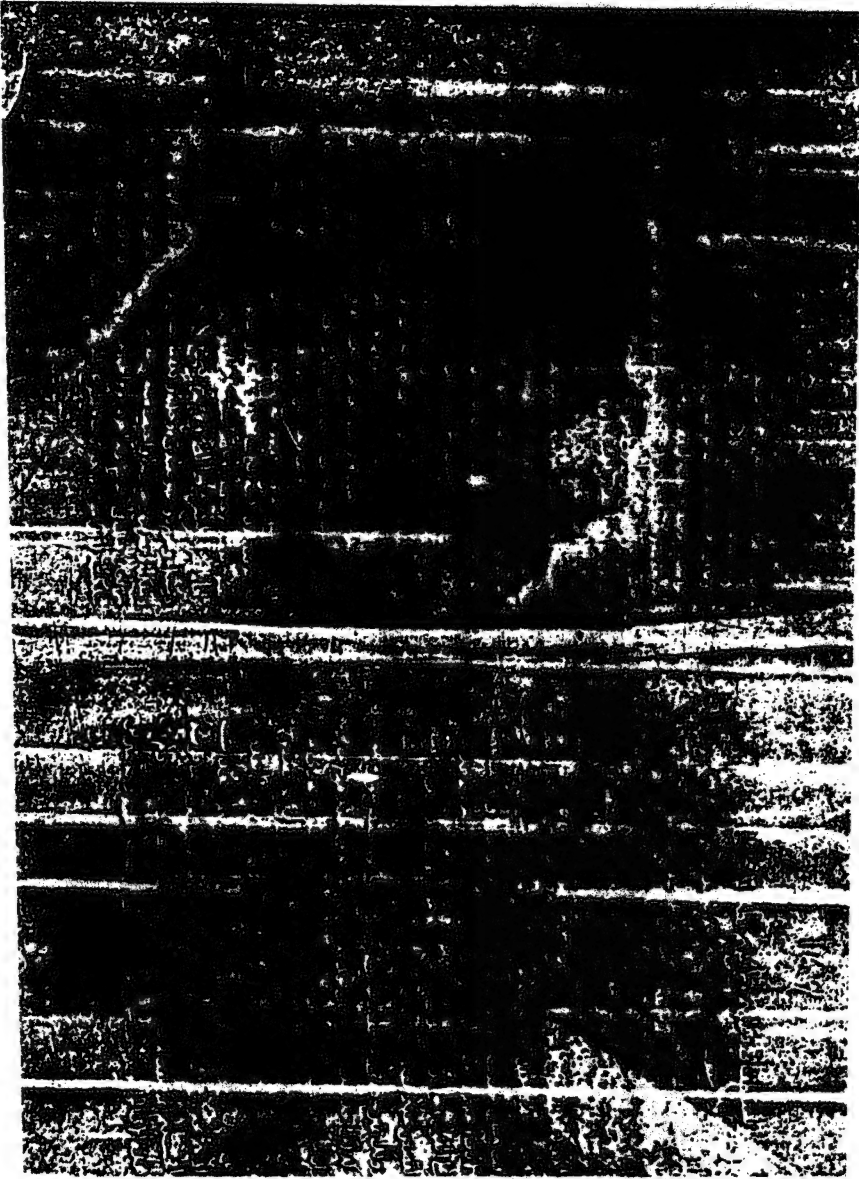
- أما عن التحقيق فقد اعتمدت فيه نسختين:

النسخة الأولى: موجودة بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بتونس ضمن مجموع تحت رقم ١٨٦٠٧ من رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب رحمته الله، تقع في ٨٤ صفحة من حجم متوسط، بخط مغربي واضح، وفي حالة حسنة، عناوين السور بها بخط بارز، تعود إلى منتصف القرن التاسع إذ تمّ نسخها يوم الجمعة الثاني عشر لمحرم فاتح ستة وخمسين وثمان مائة (٨٥٦هـ)، قيدها لنفسه محمد بن علي بن محمد بن علي بن قاسم بن الأزرق الحميري. وفيما يلي صورة للصفحة الأولى وأخرى للصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة.

النسخة الثانية: من الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط قسم حرف الكاف (خ - ع - ك) ١٣١ ضمن مجموع، مجهولة التاريخ لبتري بآخرها، بها آثار رطوبة في بعض أوراقها، وهي من حجم متوسط وبخط مغربي واضح عموماً، وعناوين السور فيها بخط بارز. وفيما يلي صورة للصفحتين الأوليين وأخرى للصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة.



الصفحتان الأخيرتان من ن ٢



الصفحة الأخيرة من ن

مفتاح الإشارات والرموز:

- ن ١ : رمز لنسخة المكتبة الوطنية بتونس.
- ن ٢ : رمز لنسخة المغرب.
- () : حصرت بهما ما سقط من إحدى النسختين أو خالفت فيه الأخرى.
- ﴿ ﴾ : حصرت بها الآيات القرآنية.
- / : خط مائل فصلت به الرقم المشير إلى الجزء والرقم المشير إلى الصفحة.
- سقط من كذا: عبارة دالة على أن المحصور بين حاصرتين ساقط من النسخة المشار إليها.
- بهامش كذا: عبارة دالة على أن المحصور بحاصرتين كتبه الناسخ بالهامش.
- ص : اختصار كلمة صفحة.
- ط : اختصار كلمة طبعة.
- ج : اختصار كلمة جزء.

والله ولي التوفيق

ترجمة المؤلف^(١)

اسمه ونسبه:

هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم^(٢) بن الزبير^(٣) (بن الحسن بن الحسين بن الزبير)^(٤) بن عاصم بن مسلم بن كعب^(٥) بن مالك بن علقمة بن خباب بن مسلم بن عديّ بن مرة بن عوف بن ثقيف^(٦)، يكنى بأبي جعفر، وعُرف بنسبته إلى جده الأول الزبير، وغلب عليه ذلك.

وهو العاصمي نسبة إلى جده الثامن، والثقيفي من بني ثقيف نسبة إلى جده الأخير، والجَيّاني نسبة إلى مسقط رأسه «جَيّان»، والغرناطي نسبة إلى غرناطة التي استقر بها وصار علماً من أعلامها، وَلِيَّ بها قضاء المناكح وإمامة

(١) أخذت ترجمته من البدر الطالع للشوكاني: ٣٣ - ٣٥، تذكرة الحفاظ للذهبي: ٢٦٥/٤ - ٢٦٦، الذيل والتكملة لابن عبد الملك: ٣٩/١ - ٤٥، شجرة النور الزكية لمخلوف: ٢١٢، بغية الوعاة للسيوطي: ٢٩١/١، الديباج لابن فرحون: ٢٤٥، الدرر الكامنة لابن حجر: ٨٩/١ - ٩١، درة الحجال لابن القاضي: ١١/١ - ١٢، فهرس الفهارس للكتّاني: ٣٤١/١، الوافي بالوفيات للصفدي: ٢٢٢/٦ - ٢٢٣، نفح الطيب للمقري: ٩٨/٦، الإحاطة لابن الخطيب: ١٨٨/١ - ١٩٣، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٧٦/٢ - ٣٧٧ (انظر في ذلك ثبت المصادر والمراجع في الفهارس بآخر الكتاب).

(٢) إلى هذا الحدّ تتفق أغلب كتب التراجم، وفي معجم المؤلفين لكحالة: ابن الزبير بن الحسن بن الحسين، ويبدو أنه خطأ.

(٣) سقط من الإحاطة والبدر الطالع والدرر الكامنة.

(٤) سقط من الإحاطة والبدر الطالع والدرر الكامنة.

(٥) يقول ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ٣٩/١: كذا نقلت نسبه من خطّه.

(٦) كذا ورد في الذيل والتكملة وفي الإحاطة.

جامعها الكبير، والأندلسي نسبة إلى وطنه الأندلس^(١)، وهو من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس^(٢).

مولده ونشأته:

ولد ابن الزبير الثقفي في ذي القعدة^(٣) أواخر^(٤) سنة سبع وعشرين وقيل: ثمان وعشرين^(٥) وستمائة للهجرة (٦٢٧ أو ٦٢٨ هـ) الموافق لسنة ثلاثين ومائتين وألف للميلاد (١٢٣٠ م)^(٦) بمدينة جيان^(٧).

كانت جيان يومها من القواعد الإسلامية الهامة، تقع شمال غرناطة وشرقي قرطبة. وجاء في الإحاطة: أنها كانت منزل قنسرين من العرب الداخلين^(٨).

يقول ياقوت في معجمه^(٩): جَيَّان بالفتح ثم التشديد وآخره نون، مدينة لها كورة واسعة بالأندلس، تتصل بكورة البيرة، مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة ويلداناً... وكورتها متصلة بكورة تدمير وكور طليطلة^(١٠).

ولد ابن الزبير في أسرة عريقة النسب ذات ثراء ويسار ووجاهة. جاء في الإحاطة: نسبه بها كبير، وحسبه أصيل، وثروته معروفة... ولأبيه إذ ذاك إثراء وجدة أعانتة على طلب العلم وإرفاد من أحوجته الأزمة في الزمان من

(١) جاء في معجم المؤلفين: الثقفي العاصمي الجياني أبو جعفر، وفي درة «الحجال: الثقفي العاصمي الغرناطي الأندلسي.

(٢) الأعلام للزركلي: ٨٣/١. (٣) عن الدرر الكامنة: ٨٩/١.

(٤) عن الإحاطة: ١٨٨/١.

(٥) معجم المؤلفين وفهرس الفهارس، والتكملة.

(٦) في الأعلام، ومعجم المؤلفين وبروكلمان.

(٧) تجمع المصادر على أن ابن الزبير جياني المولد.

(٨) الإحاطة: ١٨٨/١. (٩) معجم البلدان لياقوت: ١٦٩/٢.

(١٠) «جيان» اليوم مدينة بإسبانيا ومركز ولاية تسمى باسمها.

جالية العلماء في قرطبة وإشبيلية...^(١).

ولد بجيَّان وترعرع بها، إلا أن إقامته بها لم تطل، إذ خرج به أبوه منها سنة ثلاث وأربعين وستمائة (٦٤٣هـ) عند تغلب العدو عليها^(٢)، فكان عند مغادرته لها ابن ست عشرة سنة تقريباً. وجاء في بغية الوعاة: هو جيانِي المولد، غرناطيّ المنشأ^(٣). نشأ ابن الزبير إذاً بغرناطة وبها تكوّن واشتهر، وإليها نسب وبها عُرف، فغلب عليه نسب «الغرناطي».

من خصاله:

تميز ابن الزبير بجملة من الخصال الحميدة عدّتها وحفظتها له كتب

التراجم:

- عُرف بإخلاصه للعلم، فقد كان محبّاً له صبوراً على تحصيله مخلصاً في نشره. جاء في الإحاطة: كان نسيجاً وحده في حسن التعليم، والصبر على التسميع، والملازمة للتدريس^(٤).

- وحُفظ له تفانيه في نصرة الحق، وكان لا يخاف فيه لومة لائم، جاء في الإحاطة: إنه كان صليباً في الحق شديداً على أهل البدع^(٥). وفي بغية الوعاة: جرت له في ذلك أمور مع الملوك صبر فيها ونطق بالحق بحيث أدى إلى التضيق عليه وحبسه^(٦).

وكان من أبرز خصاله الورع وعفة النفس، لم تحمله صلاته بالملوك والأمرأ على طمع أو تزلف، وفي بغية الوعاة: إنه لا ينقل قدمه إلى أحد^(٧)، ومن شعره الدال على عفة نفسه قوله:

ما لي وللتَّسَال لا أُمَّ لي إن سَلْتُ مَنْ يَعْزِلُ أو مَنْ يَلِي^(٨)

(٢) نفس المصدر.

(١) الإحاطة: ١٨٨/١.

(٣) بغية الوعاة: ٢٩١/١، وجاء في التكملة لابن عبد الملك ٣٩/١: جيانِي نزل غرناطة.

(٥) الإحاطة: ١٨٨/١ - ١٩٣.

(٤) الإحاطة: ١٨٨/١ - ١٩٣.

(٧) نفس المصدر: ٢٩١/١.

(٦) بغية الوعاة: ٢٩١/١.

(٨) الإحاطة: ١٨٨/١ - ١٩٣.

حسبي ذنوبٌ أثقلتُ كاهلي ما إن أرى إظلامها ينجلي^(١)
 كما اتّسم إلى جانب كل ما ذكر بلطف المعشر، فكان عذب الفكاهة
 طيب المجالسة حلوا النادرة، وبشدة التقوى، إذ كان كثير الخشوع والخشية،
 مسترسل العبّرة، ملازماً للسنّة، قال فيه أبو الحسن الثور بن سعيد:
 لابن الزبير مكارم أضحت بها طير المدائح في البلاد تغرد
 إن قيده وبالعوا في عصره فالكرم يُعصر والجواد يُقيد
 مذهبه:

ابن الزبير سني العقيدة مالكي المذهب، عدّه ابن فرحون من أعيان
 المذهب المالكي، وترجم له بترجمة ضافية، رفع فيها من شأنه، قال: إليه
 انتهت الرئاسة بالأندلس في صناعة العربية وتجويد القرآن ورواية الحديث إلى
 المشاركة في الفقه والقيام على التفسير والخوض في الأصلين^(٢). وأورده
 صاحب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية وترجم له وأعلى شأنه^(٣).
 وله في كتابه «ملاك التأويل» مواقف تنبئ عن عقيدة سنيّة راسخة،
 أحصيت أهمها فيما قدمت به لتحقيق هذا الكتاب^(٤)، من ذلك ما جاء في
 تفسيره للآية الثامنة والعشرين من سورة الأنعام: ... في استقباح الشرع إياها
 وإلا فالعقل عندنا لا يُحسن ولا يُقبّح^(٥)، ومن ذلك ردّه على الخوارج في
 قولهم بكفر مرتكب الكبيرة يقول: وقد تعلّقت الخوارج بعموم هذه الآي
 وأشباهها في تكفير مرتكب الكبيرة، وليس شيء من ذلك نصّاً في مطلوبهم
 وهم محجوجون بغيرها^(٦).

-
- (١) في بغية الوعاة (٢٩٢/١): ... غمّاءها تنجلي.
 (٢) الديباج: ٤٢. (٣) شجرة النور الزكية: ٢١٢.
 (٤) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل:
 ٦٩/١ - ٧١، تقديم وتحقيق د. سعيد الفلاح. ط١، طبع دار الغرب الإسلامي
 بيروت، ١٩٨٣ م.
 (٥) ملاك التأويل لابن الزبير الثقفي: ٤٨٠/١.
 (٦) نفس المصدر: ٣٩٨/١ - ٣٩٩.

وفي البرهان مواقف مشابهة تؤكد عقيدته السنيّة، منها ما جاء في بيان مناسبة سورة الليل: قال: إن قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝﴾... إلى: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ [الليل: ١٠] يلائمه تفسيراً وتذكيراً بما الأمر عليه من كون الخير والشر بإرادته وإلهامه وبحسب السوابق قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]، فهو سبحانه الملهم للإعطاء والانتقاء والتصديق والمقدر للبُخل وال... (١) والتذكيب. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفّات: ٩٦]، ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ثم زاد ذلك إيضاحاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۝﴾ [الليل] فتباً للقدرية والمعتزلة، ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝﴾ [يوسف: ١٠٥]، ويقول في مناسبة سورة التين: ... ولو تقدم عمل لم يقع إلا بمشيئته وتوقيفه وإرادته، ولا يستوجب أحد عليه شيئاً وإنما هو فضله يؤتیه من يشاء... (٢).

شيوخه:

طلب ابن الزبير علوماً كثيرة وبرز في فنون شتى فكثر بذلك شيوخه، منهم من التقى بهم وسمع منهم، ومنهم من راسلهم أو أجازوه دون أن يلتقي بهم. جاء في الديباج المذهب: وشيوخه نحو الأربعمئة (٣). ولقد شد الرحال وتنقل في طلب العلم داخل الأندلس وخارجها. جاء في التكملة لابن عبد الملك: غني بالرواية كثيراً ورحل بسببها إلى سبتة (٤) وإلى كثير من بلاد الأندلس (٥). ومن أشهر شيوخه:

(١) بياض، لعلها: «والاستغناء»، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَفْتَى ۝﴾ وكذب **الْمُتَّقِينَ** **الْمُتَّقِينَ** [الليل: ٨ - ١٠].

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن: ص ٢١١.

(٣) الديباج: ص ٤٢.

(٤) جاء في جذوة الاقتباس، ص ٤٦: كان بسبتة سنة ٦٤٥هـ. وسبتة مدينة شمال المغرب

الأقصى تحت الحكم الإسباني.

(٥) الذيل والتكملة: ٤٤/١.

- ١ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري أبو إسحاق الشافعي المكي الفقيه إمام المقام الشريف، ولد بمكة سنة ٦٣٦هـ، وتوفي سنة ٧٢٢هـ^(١)، وقد ورد في الذيل والتكملة أنه كتب إليه ولم يلقه^(٢).
- ٢ - إبراهيم بن محمد، أبو إسحاق المعروف بابن العاصي الخطيب، توفي بغرناطة سنة ٧٢٦هـ، كان لثين الجانب دمث الأخلاق^(٣).
- ٣ - أبو عبد الله محمد بن عيسى بن هلال الرعيني، من أهل مالقة، توفي سنة ٦٥٢هـ^(٤). جاء في الذيل والتكملة: إنه كتب إلى ابن الزبير من مالقة ولم يلقه.
- ٤ - أبو عبد الله بن عطية القيسي، من أهل مالقة، رحل حاجاً وسمع بالمشرق من أبي الفضل جعفر بن علي الحمداني وغيره، كان من أهل الزهد والفضل، توفي ببجاية سنة ٦٤٦هـ^(٥).
- ٥ - أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين المعروف بأبي مطرف بن عميرة، كان عالماً بالفقه والنحو واللغة والطب والحديث، وكان مجيداً في النظم والنثر، تفنن في العلوم، ونظر في المعقولات وأصول الفقه، ومال إلى الآداب فبرع فيها. ولد سنة ٥٨٢هـ وتوفي سنة ٦٥٨هـ^(٦)، وقد كان له التأثير الكبير على ابن الزبير في علوم الحديث والأصول والفقه.
- ٦ - أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد المرادي المعروف بالعشّاب، توفي سنة ٧٣٦هـ، كان ممن تأثر بهم ابن الزبير في القراءات وعلوم العربية. كان مقرئاً عالماً بالتفسير والمعاني والبيان، له تفسير صغير وكتاب في المعاني والبيان^(٧).
- ٧ - أحمد بن محمد القرطبي ضياء الدين، كان محدثاً متسع الرواية مشاراً

(١) درة الحجال: ١/١٨٧.
 (٢) الذيل والتكملة: ١/٣٩.
 (٣) درة الحجال: ١/١٧٩.
 (٤) التكملة: ١، ترجمة ١٠٤٠.
 (٥) التكملة: ٢، ترجمة ١٤٦٠.
 (٦) بغية الوعاة: ١/٣١٩، الذيل والتكملة: ١/١٥٠، شجرة النور الزكية: ١٩٥.
 (٧) معجم المؤلفين: ٢/٦٢.

إليه بالبراعة والتفنن في علم الحديث، ولد سنة ٦٠٢هـ، كان حياً إلى حدود سنة ستين وستمائة^(١).

٨ - أحمد بن محمد بن التجيبي الغرناطي أبو جعفر، يعرف بالورّاد. طبيب فاضل مقرئ، كان ممن تأثر بهم ابن الزبير في فنون العربية (توفي سنة ٦٥٨هـ). قال أثير الدين أبو حيان: نقلت من شعره بخط الأستاذ أبي جعفر بن الزبير شيخنا شعراً في فتى انثلم ثغره^(٢).

٩ - أحمد بن محمد خديجة - أبو جعفر، من أهل قرطبة تصدر لإقراء القرآن وتعليم العربية. توفي سنة ٦٤٣هـ، كان ممن تأثر بهم ابن الزبير في القراءات والعربية. من كتبه: «تسديد اللسان لذكر أنواع البيان»، و«مختصر التبصرة في القراءات»^(٣).

١٠ - أحمد بن يوسف بن فرتون، مؤرخ ولد بفاس سنة ٥٣٠هـ، وتوفي سنة ٦٦٠هـ، من آثاره ذيل على صلة ابن بشكوال في تراجم من جاء بعد ابن بشكوال من مشاهير علماء الأندلس، وربما نحا ابن الزبير نحوه في تأليفه صلته على صلة ابن بشكوال^(٤).

١١ - الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص - أبو علي، يعرف بابن الناظر، محدث ومفسر ولغوي ومؤرخ، ولد سنة ٦٥٠هـ، وتوفي سنة ٦٩٩هـ^(٥).

١٢ - سعد بن محمد الحفّار، سمع منه أبو جعفر القراءات سنة ٦٤٥هـ، وسمع منه جامع الترمذي فبرز على يديه في فن القراءات وفي علوم الحديث. توفي سنة ٦٤٦هـ وكان صالحاً ثقة عدلاً^(٦).

(١) الذيل والتكملة: ٤٧٥/١.

(٢) الوافي بالوفيات: ص ٨، ترجمة ٣٤٧٥، بغية الوعاة: ٣٣٥/١.

(٣) الديباج: ٤٢، الأعلام: ٢١٠/١.

(٤) معجم المؤلفين: ٢٠٨/٢، بغية الوعاة: ٢٩١/١، شجرة النور الزكية: ٢٠٠١.

(٥) الإحاطة: ٤٦٣/١ - ٤٦٥، تاريخ قضاة الأندلس: ١٢٧، درة الحجال: ١١/١.

(٦) التكملة: ص ٢، ترجمة ١٩٩٦، غاية النهاية: ٣٠٣/١، شجرة النور الزكية: ٢١٢.

١٣ - عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - أبو علي، شاعر، توفي ببغداد سنة ٦٥٦هـ^(١)، يذكر ابن عبد الملك في التكملة أنه كتب إليه من مصر ولم يلقه^(٢).

١٤ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رحمون المصمودي أبو القاسم النحوي، كان ذا لسن وفصاحة، ومعرفة جيدة بالنحو. مات سنة ٦٤٩هـ. أخذ عنه ابن الزبير علوم اللغة وخاصة النحو^(٣).

١٥ - عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي ثم المكي، كان قوي المشاركة في العلوم، ولد سنة ٦١٤هـ وتوفي سنة ٦٨٦هـ^(٤). يذكر ابن عبد الملك في التكملة أنه كتب إليه من مكة ولم يلقه^(٥).

١٦ - عبد العظيم بن عبد الله البلوي، من أهل مالقة يكنى بابن الشيخ، كان فقيهاً جليلاً وأصولياً، من بيت علم ودين، ومن جلة أهل الأندلس في وقته علماً وعملاً، على رسوخ قدم في الورع. كان يقرئ الفقه وأصول الفقه. يقول ابن الزبير: صحبته رحمته الله مدة ثلاثة أعوام وأخذت عنه مسائل من مستصفي أبي حامد مما كان له فيه اختيار أو مفهوم ما، وقرأت عليه أشياء خلال تلك المدة من الأصول وغيرها، وهو من عليّة من لقيت في فضله وورعه. توفي سنة ٦٦٦هـ^(٦).

١٧ - عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله الحرّاني أبو محمد، عالم بالحديث، ومن فقهاء الحنابلة، ولد سنة ٥٨٧هـ، وتوفي سنة ٦٧٢هـ، جرت بينه وبين ابن الزبير مراسلات ولم يلتقيا^(٧).

١٨ - عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي

(١) معجم المؤلفين: ٢٠٠/٥. (٢) الذيل والتكملة: ٣٩/١.

(٣) بغية الوعاة: ٣٦/٢. (٤) الأعلام: ١٣٣/٤.

(٥) الذيل والتكملة: ٣٩/١. (٦) صلة الصلة: ترجمة ٥٠.

(٧) الأعلام: ١٨٢/٤، معجم المؤلفين: ١٢/٦.

أبو محمد المعروف بابن عبد السلام، فقيه ولغوي ومفسر، توفي سنة ٦٦٠هـ، جاء في التكملة لابن عبد الملك أنه راسله من مصر ولم يلقه^(١).

١٩ - علي بن أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري المعروف بالغزال، كان شيخاً سنياً ورعاً فاضلاً زاهداً، قرأ القرآن وشيئاً من العربية والفقه، على خير وفضل، منافراً لأهل الأهواء، يقول ابن الزبير: استجزته فأجازني رحمته الله. توفي سنة ٦٧٠هـ^(٢).

٢٠ - علي بن محمد الشاري (ولد سنة ٥٧١هـ وتوفي سنة ٦٤٩هـ) سمع منه ابن الزبير السنن الكبرى للنسائي. قال في صلة الصلة: رحلت إليه فسمعت منه وقرأت كثيراً وتلوت عليه الكتاب العزيز، وأقبلت إليه من حضرة غرناطة مراراً إلى أن أدركته وفاته، وكان شيخاً فاضلاً وراوي ثقة وعدلاً جليلاً، متحرياً ضابطاً متيقظاً، عارفاً بالأسانيد والطرق والرجال، وكان رحمته الله سنياً منافراً لأهل البدع والأهواء معروفاً بذلك. وكنت أتلو عليه الكتاب العزيز ليلاً لاستغراق نهاره في التدريس^(٣).

ولقد كان لأبي الحسن التأثير الكبير على ابن الزبير فقد تخرج عليه في القراءات والحديث وتأثر به تأثراً كبيراً في مقاومة أهل الأهواء والبدع.

٢١ - عمر بن محمد بن خليل السكوني، أبو الخطاب، مقرئ من فقهاء المالكية، إشبيلي، نزل بتونس وتوفي سنة ٧١٧هـ، ممن تأثر بهم ابن الزبير في الأصول والقراءات، له كتب منها: «التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز» وكتاب «الأربعين مسألة في أصول الدين على مذهب أهل السنة»^(٤).

٢٢ - محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، مدرس الحنابلة، توفي سنة

(١) معجم المؤلفين: ٢٤٩/٥. (٢) صلة الصلة: ترجمة ٢٨٧.

(٣) صلة الصلة: ترجمة ٣٠٠، الوافي بالوفيات: ٢٢٢/٦.

(٤) الأعلام: ٢٢٤/٥.

٦٧٣هـ أول من درس مذهب أحمد بن حنبل بالصالحية، حصلت بينه وبين ابن الزبير مراسلة^(١).

٢٣ - محمد بن أحمد بن محمد بن زكرياء المعافري الأندلسي، أبو عبد الله النحوي المقرئ، ولد سنة ٥٩١هـ. من الذين تكوّن على أيديهم ابن الزبير في القراءات، له منظومة في القراءات على مثال منظومة الشاطبي صرح فيها بإسماء القراء^(٢).

٢٤ - محمد بن أحمد بن عبيد الله بن العاصي الخطيب المقرئ أبو بكر اللّخمي الإشبيلي، شيخ مالقة رحل إليه أبو جعفر بن الزبير فتلا عليه بالسبع وقال: كان أضبط من قرأت عليه بطرق الكافي^(٣)، وأعرفهم لإعهاد إياه وتلقيه له عن جده^(٤).

٢٥ - محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري أبو عبد الله المعروف بالطراز، توفي سنة ٦٤٥هـ. كان شديد العناية بالرواية معروفاً بالضبط والإتقان، موصوفاً بالبيان والبلاغة، حدث وأخذ عنه^(٥).

٢٦ - محمد بن علي الدهان، أبو عبد الله، كان حسن السمّت، بارع الخط، طيب الخلق والخلق، جال في البلاد فأخذ بمكة والشام ومصر عن جماعة كثيرة، وكان عدلاً فاضلاً على خير ودين، مات بقوص سنة ٦٥٣هـ^(٦).

٢٧ - محمد بن علي بن وهب بن مطيع المعروف بابن دقيق العيد أبو الفتح القشيري المصري المالكي الشافعي وقاضي القضاة، صاحب التصانيف

(١) الوافي بالوفيات: ٢، ترجمة ٢٦٣، الذيل والتكملة لابن عبد الملك: ٣٩/١ - ٤٥.

(٢) بغية الوعاة: ١٣/١.

(٣) كتاب الكافي في القراءات للإمام المقرئ أبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي المتوفى سنة ٤٧٦هـ، بإشيلية بالأندلس (انظر غاية النهاية: ١٥٣/٢).

(٤) التكملة: ٢، ترجمة ٢١٣٢، غاية النهاية: ٣٤/٢.

(٥) التكملة: ترجمة ١٠٣٢، شجرة النور: ١٨٢.

(٦) نفع الطيب: ٥٨/٢.

البديعة كالإمام وعلوم الحديث وشرح عمدة الأحكام، وُلد سنة ٦٢٥هـ وتوفي سنة ٧٠٢هـ، وقد جرت بينه وبين ابن الزبير مراسلة^(١).

٢٨ - محمد بن محمد بن محرز ولد سنة ٥٦٩هـ وتوفي سنة ٦٥٥هـ، كان أحد رجال الكمال علماً، وإدراكاً، وفصاحة، مع الحفظ للفقهاء، والتفنن في العلوم، والمتانة في الآداب، وحفظ اللغات والغريب، وله شعر رائق بديع^(٢).

٢٩ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس - أبو الفتح - الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث اليعمري، ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٣٤هـ. كان ممن أخذ عنهم ابن الزبير الحديث، من مصنفاته: «عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير»، و«النفح الشذي في شرح الترمذي»^(٣).

٣٠ - محمد بن يحيى بن محمد العبدري الفاسي أبو عبد الله، يعرف بابن مفرج، ممن أخذ عنهم ابن الزبير القراءات والعربية، كان سريراً فاضلاً، شديد الانقباض والتعفف، على دين وخير، توفي سنة ٦٥٧هـ^(٤).

٣١ - محمد بن يوسف الطنجالي، أبو عبد الله، محدث نحوي، مات سنة ٦٥٣هـ، كان ممن تأثر بهم ابن الزبير في الحديث والنحو، وكان من أهل الفضل والدين يحترف صناعة التوثيق^(٥).

٣٢ - محمود بن سليمان بن فهد - شهاب الدين الدمشقي، ولد سنة ٦٤٤هـ وتوفي سنة ٧٢٥هـ. كان ممن أتقن الفنين المنظوم والمنثور، جرت بينه وبين ابن الزبير مراسلة^(٦).

(١) فوات الوفيات: ٤٣٤/٢، شذرات الذهب: ٥/٦.

(٢) التكملة: ١، ترجمة ١٠٤١. (٣) فوات الوفيات: ٨٤٤/٢.

(٤) بغية الوعاة: ٢٦٥/١.

(٥) بغية الوعاة: ٢٧٦/١، درة الحجال: ١١/١.

(٦) فوات الوفيات: ٥٦٤/٢، الذيل والتكملة لابن عبد الملك: ٣٩/١.

٣٣ - يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن بن المرابط - يكنى بأبي بكر - ولد سنة ٥٨٢ هـ وتوفي به «مالقة» سنة ٦٥٨ هـ، يقول ابن الزبير في «صلة الصلة»: وكان الشيخ أبو بكر رحمته الله من جلة من أخذنا عنه عدالة وفضلاً وتمسكاً بالسنة عقداً وفعلاً، كاتباً جليلاً، أديباً بارعاً، متورعاً سرياً... كتب لي إجازة ثم لقيته وشافهني بها، ورأيت منه رجلاً عظيماً، من أفضل من لقيته^(١).

٣٤ - يحيى بن عباس بن أحمد القيسي - أبو زكرياء - من أهل «قسنطينة» رحل إلى الأندلس سنة ٦٠٨ هـ وأخذ من علمائها يقول عنه ابن الزبير: وكان الشيخ أبو زكرياء من عدول الشهود بـ«بجاية» وممن أخذ الناس عنه... كتب إلي من «بجاية» مرتين بإجازة عامة ما رواه، وتاريخ كتابه الثاني تاسع شهر ربيع الأول سنة ٦٤٩ هـ^(٢).

٣٥ - يحيى بن عبد الله المولي أبو زكرياء، من أهل «مولة» سكن «مرسية»، رحل إلى المشرق وحج ولقي في رحلته جلة وأخذ عنهم... كان لهذا الشيخ اعتناء بالحديث ولقاء أهله، وكان من أهل السنة والفضل. قال ابن الزبير: لقيته «بمرسية» - أعادها الله - وقرأت عليه غير شيء وأجاز لي واستحسن اعتناءه، توفي سنة ٦٥٩ هـ، وكان مولده في نحو سنة ٥٧٥ هـ^(٣).

٣٦ - يوسف بن أبي ربحانة المالقي أبو الحجاج، لعله: يوسف بن أحمد بن طاوس أبو الحجاج النحوي المتوفى سنة ٧٢٠ هـ. كان ممن تأثر بهم ابن الزبير في العربية عموماً. فقد كان أبو الحجاج إماماً في العربية والطب، آخر الأطباء بشرق الأندلس، عارفاً بكتاب سيويه^(٤).

* * *

(٢) صلة الصلة: ت ٣٩٣.

(١) صلة الصلة: ت ٤٨٩.

(٣) صلة الصلة: ت ٣٩٠، غاية النهاية ١/١٠٤.

(٤) درة الحجال: ٣/٣٥٤.

أخذ ابن الزبير عن عدد كبير من العلماء إما بصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة، وأغلبهم أجازوه فيما روه أو ألفوه. جاء في الذيل والتكملة أن ابن الزبير قال: كل من ضمنت ذكره في هذا التعليق - يريد برنامج رواياته الذي أرسل به إلى ابن عبد الملك - ممن ذكرت أنني أخذت عنه، عمم لي بالإجازة فيما رواه وألفه - من له تأليف منهم - إلا أبا الحسن الحفّار والأستاذ أبا جعفر بن خلف. أما الحفّار فلم تتفق إجازته مع كثرة قراءتي عليه لموته وأنا غائب عن غرناطة، أمّا الأستاذ أبو جعفر فلازمته ولم تتفق منه الإجازة.

والمستعرض لشيخ ابن الزبير على اختلاف اختصاصاتهم تتضح له المكانة العلمية العالية التي بلغها أبو جعفر، فلا غرابة أن تنتهي إليه الرئاسة بالأندلس في صناعة العربية إذا كان قد تتلمذ لجمع من أساطينها، أمثال أبي مطرف بن عميرة اللغوي الأديب الحاذق لفني النظم والنثر، والعشّاب العالم بفنون العربية صاحب التصانيف في المعاني والبيان، وابن رحمون النحوي ذي اللسان والفصاحة. ولا غرابة أن يبرز في القراءات وقد تتلمذ لأمثال ابن العاصي شيخ «مألفة» المقرئ.

جاء في التكملة لابن الأبار: رحل إليه أبو جعفر فتلا عليه بالسبع، وقال ابن الزبير: كان أضبط من قرأت عليهم وأعرفهم^(١). ولأمثال علي بن محمد الشّاري، يقول ابن الزبير في صلته: رحلت إليه فسمعت وقرأت كثيراً وتلوت عليه الكتاب العزيز^(٢).

وقد برز ابن الزبير في الحديث والنقد على أيدي أمثال ابن سيد الناس الحافظ المحدث صاحب «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» و«النفح الشذّي في شرح الترمذي»^(٣)، وأمثال الحفّار الذي سمع منه جامع الترمذي. وقد تتلمذ ابن الزبير لابن الشيخ وأبي مطرف بن عميرة وغيرهما، ومن هنا جاءت معرفته بالأصلين. أما عن التفسير فقد تسلم ابن الزبير بعيون آلات العلوم التي تعينه عليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد تلقاه عن

(١) التكملة لابن الأبار: ٢، ت ٢١٣٢. (٢) فوات الوفيات: ٢/ ٣٤٤.

(٣) صلة الصلة: ت ٣٠٠.

جلّة من شيوخه أمثال أحمد المرادي المعروف بالعشاب العالم بالتفسير وصاحب التصانيف فيه، وابن الناظر المفسر واللغوي المشهور.

تلاميذه:

روى عن ابن الزبير جماعة من أهل بلده وطائفة من الراحلين إليه من أقطار الأندلس وغيرها^(١) وتفقه عليه خلق^(٢)، من هؤلاء:

١ - إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التنوخي، أصله من طريف واستوطن بغرناطة. كان نسيجاً وحده حياء وصدقة وتخلقاً ومشاركة وإيثاراً، أقرأ فنوناً من العلم بعد مهلك أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير بإشارة منه به، جمع بين القراءة والتدريس، فكان مقرئاً للقرآن مبرزاً في تجويده، مدرساً للعربية والفقه، متكلماً في التفسير. وكان على غرار أستاذه مخالفاً لأهل البدع ملازماً للسنّة قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير بغرناطة^(٣).

٢ - أحمد بن الحسين بن علي بن الزيات الكلاعي، المعروف بالزيات (ولد سنة ٦٤٩هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ). كان مقرئاً وله مشاركة في العربية والفقه واللغة والعروض والتماس في الأصولين والحفظ والتفسير^(٤).

٣ - أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدي. ولد سنة ٦٧٠هـ وتوفي سنة ٧٣٢هـ. كان من شيوخ كتاب الشروط معرفة بالمسائل واضطلاعاً بالأحكام، وانفرد بصحة الوثيقة، باقعة من بواقع زمانه، وعيابة في مشائخ قطره، ولي القضاء بأماكن عديدة^(٥).

٤ - سلمون بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني، ولد سنة ٦٨٨هـ بغرناطة وتوفي سنة ٧٦٧هـ. كان فقيهاً جليلاً فاضلاً أصيلاً، أخذ عن

(١) الذيل والتكملة: ٣٩/١ - ٤٥. (٢) البدر الطالع: ٣٣ - ٣٥.

(٣) الإحاطة: ٣٧٤/١، البغية: ٤٢٤/١.

(٤) الإحاطة: ٢٨٧/١ - ٢٩٦، غاية النهاية: ٤٧/١، الديباج: ٤٣.

(٥) الإحاطة: ١٧٢/١.

- جملة من الشيوخ. أولهم الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(١).
- ٥ - محمد بن إبراهيم بن علي بن باقي الأموي، توفي سنة ٦٥٢هـ، كان كاتباً أديباً ذكياً لودعياً مرسلًا للنادرة، بذَّ السباق في الأدب الهزلي بالأندلس^(٢).
- ٦ - محمد بن أحمد بن فرج اللخمي الغرناطي، أخذ عن ابن الزبير القراءات وكان قيماً في العربية مشاركاً في الأصلين، مات في حدود سنة ٧٣٠هـ^(٣).
- ٧ - محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبي - أبو القاسم - قرأ عن أبي جعفر العربية والفقه والحديث والقرآن، توفي سنة ٧٤١هـ^(٤).
- ٨ - محمد بن الأشعري القاضي أبو عبد الله، مات شهيداً في موقعة طريف سنة ٧٤١هـ، وكان مولده سنة ٦٧٣هـ. كان ممن جمع له بين الرواية والدراية، صار سباق الحلقات معرفة بالأصول والفروع والعربية والتفسير والقراءات مبرزاً في علم الحديث^(٥).
- ٩ - محمد بن جابر بن محمد، المقرئ الحافظ أبو عبد الله المعروف بالوادي آشي، كان من مشاهير القراء والمحدثين، له معرفة تامة بالنحو واللغة والحديث ورجاله، توفي سنة ٧٤٩هـ^(٦).
- ١٠ - محمد بن عثمان بن يحيى أبو عمرو بن المرابط الزاهد، ولد سنة ٦٨٠هـ وتوفي سنة ٧٥٢هـ، سمع من ابن الزبير سنن النسائي الكبرى وتلا عليه بالسبع^(٧).

(١) عن قضاة الأندلس: ص ١٦٧، لأبي الحسن النباهي نشره ليفي بروفنصال، ط. القاهرة ١٩٤٨م، الديباج: ١٢٥.

(٢) الإحاطة: ٣٣٨/٢ - ٣٤١.

(٣) بغية الوعاة: ٣٨/١، نيل الابتهاج: ٢٣٢.

(٤) نفع الطيب: ٥١٤/٥، غاية النهاية: ٨٣/٢، شجرة النور الزكية: ٢١٢.

(٥) تاريخ قضاة الأندلس: ص ١٤١، بغية الوعاة: ٢٦٥/١، نيل الابتهاج: ٢٣٨.

(٦) لحظ الألاحظ بذيل طبقات الحفاظ: ص ١١٥.

(٧) عن ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي: ص ٣٥٩.

- ١١ - محمد بن علي البياسي الأنصاري ناصر الدين، توفي سنة ٧٠٣هـ، كان عارفاً بعلم الحديث وكتب منه كثيراً، مال إلى مذهب الظاهرية^(١).
- ١٢ - محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم القرشي الفهري المعروف بابن رمان الغرناطي، قرأ على أبي جعفر بن الزبير بغرناطة ثم انتقل إلى القاهرة سنة ٧٢٢هـ، ومات بالمدينة المنورة سنة ٧٢٩هـ^(٢).
- ١٣ - محمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحاج، من مشاهير قضاة الأندلس، توفي سنة ٧٧٣هـ. كان معروفاً بمصاحبة العلماء، والأخذ في المعارف كلها، والتكلم في أنواعها. وكان التكلم بالشعر أسهل شيء عليه، جمع منه ديواناً سماه: «العذب والأجاج»^(٣).
- ١٤ - محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، من أهل غرناطة وأعيانها توفي سنة ٧٥٨هـ، برز في الأدب واضطلع بمعاونة الشعر^(٤).
- ١٥ - محمد بن محمد بن سهل الوزير أبو القاسم: من العباد والزهاد، ولد سنة ٦٦٢هـ وتوفي سنة ٧٣٠هـ، قرأ بالسبع عن ابن الزبير الثقفي^(٥).
- ١٦ - محمد بن يوسف بن علي الغرناطي أثير الدين أبو حيان، إمام النحاة، ولد سنة ٦٥٤هـ وتوفي سنة ٧٤٥هـ، أخذ عن ابن الزبير القراءات وفنون العربية وخاصة النحو^(٦).
- ١٧ - يوسف بن إبراهيم بن محمد بن قاسم بن علي الفهري الغرناطي أبو الحجاج الساحلي، توفي سنة ٧٠٢هـ، جاء في نفح الطيب^(٧) أنه كان صدرأً من صدور حملة القرآن على وتيرة الفضلاء وسنن الصالحين، حج

(٢) نفح الطيب: ٦٣/٢.

(١) نفح الطيب: ٥٩/٢.

(٣) تاريخ قضاة الأندلس: ص ١٦٤، غاية النهاية: ٢٣٥/٢، شجرة النور الزكية: ٢٢٩.

(٤) الإحاطة: ٢٥٦/٢.

(٥) الوافي بالوفيات: ١٥٥/١، غاية النهاية: ٢٤٠/٢، درة الحجال: ١٠٠/٢.

(٦) فوات الوفيات: ٥٥٥/٢، الدرر الكامنة: ٨٤/١، غاية النهاية: ٢٨٤/٢، تذكرة

الحفاظ: ٢٧٥/٤.

(٧) نفح الطيب: ٢٣٥/٢، الديباج: ٣٥٩.

ولقي الأشياخ بعد أن قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير وطبقته.

مكانته العلمية:

«تلقى ابن الزبير العلم من عدد كبير من علماء عصره داخل الأندلس وخارجها، فتضلع وبرز في فنون كثيرة، واحتل منزلة علمية جعلته وحيد عصره ونسيجاً وحده، بلغ من الشهرة والإشادة بذكره ما لم يبلغه سواه»^(١). «انتهت إليه الرئاسة بالأندلس، في صناعة العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث إلى المشاركة في الفقه، والقيام على التفسير، والخوض في الأصول»^(٢). «صار قبلة طلاب العلم وصارت الرحلة إليه»^(٣). «ارتحل إلى بابيه العلماء لسعة معارفه»^(٤). «وكان محدث الأندلس بل المغرب في زمانه، به أبقى الله ما بأيدي الطلبة من العربية وغيرها»^(٥). «فكان بحق أستاذ الزمان»^(٦) معظماً عند الخاصة والعامة»^(٧).

مؤلفاته:

صنف ابن الزبير في كثير من المعارف التي عني بها^(٨). قال تلميذه أبو حيان: صنف في أصول الفقه وفي علم الكلام والفقه وله كتب كثيرة وأمّهات^(٩)، ووصفه صاحب درة الحجال: بأنه ذو التأليف الجمة^(١٠).

تُجمع هذه الأدلة وتؤكد على أن لابن الزبير مصنفات كثيرة، ولكن بعد تتبع الفهارس وكتب التراجم لم يقع العثور على أكثر من ستة عشر عنواناً، ولعل هذا التناقض يفسره ما ورد في الإحاطة من حديث مطول عن محنة ابن الزبير وفقدانه بسبب ذلك الكثير من كتبه، يقول ابن الخطيب: ... وبلغ

(٢) عن الديباج: ص ٤٢.

(١) عن الإحاطة: ١٨٨/١.

(٣) عن الذيل والتكملة: ٣٩/١ - ٤٥.

(٤) عن الوافي بالوفيات: ٢٢٢/٦ - ٢٢٣.

(٥) عن بغية الوعاة: ٢٩١/١ - ٢٩٢.

(٦) عن نفح الطيب: ٩٨/٦.

(٨) الذيل والتكملة: ٣٩/١ - ٤٥.

(٧) الأعلام: ٨٣/١.

(١٠) درة الحجال: ص ١١.

(٩) الوافي بالوفيات: ٢٢٢/٦ - ٢٢٣.

الأستاذ النياحة ففر لوجهه وكبس منزله لحينه فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه وفوائد تقييده عن شيوخه.. وجاء بعد: «بعد ثبات أمره والظفر بكثير من متheb كتبه دالت الدولة للأمير أبي عبد الله نصر بمالقة»^(١).

بعد هذا التمهيد أورد مصنفات ابن الزبير، الأول فالأول، معتمداً في ذلك ترتيب أسمائها ترتيباً أبجدياً:

١ - أرجوزة في بيان مذهب الشونية^(٢):

أشار إلى هذه الأرجوزة ابن عبد الملك في التكملة^(٣) يقول: وقد وقفت على فهرسة رواياته وكتاب ردع الجاهل وبعض تاريخه في علماء الأندلس وأرجوزته المذكورة. ويشير بعد إلى أن هذه الأرجوزة كانت منحة النظم وكانت منفذاً لظعن أعدائه في مصنفاته والتنقيص من قيمته العلمية. يقول صاحب التكملة: وقد ولعت طائفة من أهل عصره بالظعن على تصانيفه وتنقيصه بسببها ولا سيما أرجوزته المذكورة، فإنهم يتخذونها سخرية ويردونها هزأة، ولقد كان الأولى به أن لا يتعرض لنظمها فإنه منحت الطبقة في النظم.

٢ - كتاب: الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الإعلام:

أوردت ذكره الكثير من كتب التراجم^(٤) إلا أنها لم تفصح عن محتواه، ويبدو من خلال عنوانه أنه كتاب ترجم فيه أبو جعفر للأعلام من علماء الأندلس المتأخرين.

(١) الإحاطة: ١٨٨/١ - ١٩٨.

(٢) فرقة من فرق الصوفية معروفة بالمغرب تنسب إلى عبد الله الشوزي الإشبيلي المعروف بالحلوي، دفين تلمسان، (انظر: مدخل تاريخي إلى دراسة الشونية لمحمد بن شريفة ١٩٦٥م).

(٣) الذيل والتكملة: ٣٩/١ - ٤٥.

(٤) ورد ذكره في الليل والتكملة: ٣٩/١ - ٤٥، البدر الطالع: ص ٣٣ - ٣٥، الدرر الكامنة: ٨٩/١ - ٩١، كشف الظنون: ٢٨٦/١.

٣ - إيضاح السبيل في حديث جبريل:

أشار إليه ابن الزبير في البرهان^(١)، ولم يرد ذكره في كتب التراجم، وهو كما يبدو من عنوانه في شرح حديث جبريل.

٤ - برنامج روايته:

ذكره ابن عبد الملك في التكملة^(٢): فمن تصانيفه برنامج رواياته، وقال: وإنما استخرجت هؤلاء المذكورين (يعني شيوخ ابن الزبير) من برنامج رواياته التي بعث إليّ محملاً لي ولبنّي إياه، ونقل عن ابن الزبير قوله في آخر البرنامج: وكل من ضمنت ذكره في هذا التعليق ممن ذكرت أنني أخذت عنه عمم لي بالإجازة فيما رواه وألفه من له تأليف منهم إلا أبا الحسن الحفار والأستاذ أبا جعفر بن خلف، أما الحفار فلم تتفق لي إجازته مع كثرة قراءتي عليه لموته وأنا غائب عن غرناطة، وأما الأستاذ أبو جعفر فلازمته ولم تتفق منه الإجازة.

وذكر عقب ذلك الفصل روايته الأربعين للسفلي عن أبي زيد العشاب وتعقبه في أصول الفقه والعربية على أبي عبد الله العبدري الصوفي وإنشاده إياه فلم يسمهما في جملة شيوخه الذين ذكرهم في صدر برنامج رواياته المشار إليه لأن أبا زيد لم يجز له، وأبا عبد الله لم يكن يقول بالإجازة. هذه بعض نقول عن التكملة تعطينا فكرة عن محتوى هذا البرنامج.

٥ - البرهان في تناسب سور القرآن:

كذا سمّاه صاحب كشف الظنون^(٣) وقال: ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها. وقال السيوطي في الإتيان أفردته بالتأليف - يعني علم المناسبة - أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه: «البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن»^(٤). وقد ذكره المؤلف وأحال عليه في مواطن كثيرة من كتابه

(١) البرهان في تناسب سور القرآن: ص ٢٤١.

(٢) الإتيان: ١٣٨/٢. (٣) الذيل والتكملة: ٣٩/١ - ٤٥.

(٤) كشف الظنون: ٢٤١/١.

ملاك التأويل^(١)، ولكنه اقتصر على تسميته بالبرهان.

أما الكتاب نفسه وإن لم ترد فيه هو الآخر تسمية كاملة فمحتواه وبعض تعابير المؤلف واستعمالات فيه تؤكد مناسبة ما سمي به في كشف الظنون والإتقان. وأما تسميته بـ «البرهان في ترتيب سور القرآن»، كما جاء في الديباج والإحاطة ودرة الحجال والأعلام فتسمية بعيدة، ولعل الذي أوقع في هذا ما جاء تمهيداً في أول الكتاب تحت عنوان «باب التعريف بترتيب السور»^(٢).

ومهما يكن من أمر فإن ابن الزبير قد تناول في كتابه بيان وجه المناسبة بين السور على ما ترتبت في الإمام، ممهداً لذلك بمقدمة وباب في التعريف بترتيب السور.

يقول في المقدمة: «فاقتصرت بحكم الاضطرار في هذا الاختصار على توجيه ترتيب السور، وإن لم أر في هذا الضرب الخاص شيئاً لمن تقدم وغبر، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات، وذلك في الباب أوضح ومجال الكلام فيه أفسح وأسرح، أما تعلق السور على ما ترتبت في الإمام واتفق عليه الصحابة الأعلام فمما لم يُتعرض له فيما أعلم...»^(٣)، ويقول في باب التعريف بترتيب السور: «اعلم أن الأمر في ذلك كيفما قدر، فلا بد من رعي للتناسب والتفات للتواصل والتجاذب...»^(٤).

٦ - تعلية على كتاب سيبويه:

أشار إليها صاحب كشف الظنون بقوله: «علق على كتاب سيبويه تعلية»^(٥). وجاء في بغية الوعاة: «صنف تعليقاً على كتاب سيبويه»^(٦). وكذا في معجم المؤلفين^(٧). ومما يؤكد تأليف ابن الزبير لهذه التعليقة كثرة إحالاته في ملك التأويل على «الكتاب» واستشهاداته المتعددة بما ورد فيه من أشعار وأمثال.

(١) ملك التأويل: ١٥٥/١، ٣١٦/١، ٨٠١/٢ وغيرها.

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن: ص ٧٩.

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن: ص ٧٩.

(٤) البرهان في تناسب سور القرآن: ص ٧٩.

(٥) كشف الظنون: ١٤٢٧/٢.

(٦) بغية الوعاة: ٢٩١/١ - ٢٩٢.

(٧) معجم المؤلفين: ١٣٨/١.

٧ - تفسير لكتاب الله:

أشار في البرهان أنه كان بصدد تأليفه، فقال في بيان مناسبة سورة الرحمن: ... ولعل الله ييسر ذلك فيما في اليد من التفسير، نفع الله به ويسر فيه. وقال في موطن آخر: وقد بسط في التفسير ويّين. وفي موطن ثالث: ومناسبة ما بعد يُبين في التفسير^(١).

٨ - ردع الجاهل عن اعتساف^(٢) المجاهل:

في الرد على الشوذية وإبداء غوائلها الخفية:

ورد ذكره في أغلب الكتب التي ترجمت لابن الزبير^(٣)، وجاء في الذيل والتكملة أنه في الرد على الشوذية وإبداء غوائلها الخفية^(٤)، وقال ابن الخطيب في الإحاطة: هو في الرد على الشوذية^(٥)، وهو كتاب جليل ينبئ عن التفنن والاضطلاع. وجاء في الديباج شيء قريب من هذا: هو في الرد على الشوذية وهو كتاب جليل القدر ينبئ عن تفنن واطلاع.

أما ما جاء في كشف الظنون فيبدو غريباً، قال حاجي خليفة: هو في الرد على الشعر وذمه، وقد أورد ابن الزبير في ملاك التأويل ذكر الشوذية ورد عليها، من ذلك ما جاء في تفسيره للآية الأولى من سورة النمل^(٦) قال: ... فإن الرسل ﷺ معصومون من الكفر مطلقاً باتفاق أهل القبلة إلا ما قالته الشوذية ومن قال بقولهم من المارقين ممن لا عبرة به.

٩ - الزمان والمكان:

ورد ذكر هذا الكتاب في كل من الإحاطة^(٧) ومعجم المؤلفين^(٨)

(١) البرهان في تناسب سور القرآن: ص ١٩٤، وص ١٥٤، وص ٢٠٤، وص ٢١٠.

(٢) في الإحاطة: عن اغتيال.

(٣) الإحاطة: شجرة النور الزكية، هدية العارفين، درة الحجال، الديباج المذهب، الدرر الكامنة، كشف الظنون.

(٤) الذيل والتكملة: ٣٩/١ - ٤٥.

(٥) انظر صفحة: ٣٦.

(٦) ملاك التأويل: ص ٨٩٨.

(٧) الإحاطة: ١٨٨/١ - ١٩٣.

(٨) معجم المؤلفين: ١٣٨/١.

والإيضاح^(١)، ووصفه صاحب الإحاطة بقوله: وهو وصمة. تجاوز الله عنه.

١٠ - سبيل الرشاد^(٢) في فضل الجهاد:

ورد ذكره في كثير من الفهارس وكتب التراجم^(٣)، وهو كما يدل عليه اسمه في بيان فضل الجهاد، وهو مشاركة من المؤلف في تحفيز همم المسلمين إلى الجهاد في سبيل الله وحماية أرض الإسلام بالأندلس من الغزو النصراني الذي استفحل أمره في عهده.

١١ - شرح الإشارة للباجي:

تجمع الكتب التي أوردت ذكره^(٤) أنه في الأصول، شرح فيه المؤلف كتاب الإشارة للباجي^(٥).

١٢ - صلة الصلة بالشكوالية^(٦):

سمّاه بعضهم بتاريخ علماء الأندلس^(٧)، وقال ابن عبد الملك في التكملة^(٨): فمن تصانيفه برنامج رواياته، وتاريخ علماء الأندلس وهو المعروف بصلة الصلة الذي وصل به صلة الراوية أبي القاسم بن بشكوال...

جزء من هذا الكتاب مطبوع حققه وأخرجه المستشرق لفي بروفنصال، طبع بالرباط بالمطبعة الاقتصادية سنة ١٩٣٨م.

(١) إيضاح المكنون: ٣٠١/٢. (٢) في درة الحجال: سبيل الإرشاد.

(٣) في الإحاطة: ١٨٨/١ - ١٩٣، إيضاح المكنون: ٥/٢، درة الحجال: ص ١١ - ١٢، الدياج: ٤٢.

(٤) الإحاطة: ١٨٨/١ - ١٩٣، معجم المؤلفين: ١٣٨/١، شجرة النور الزكية: ص ٢١٢، درة الحجال: ص ١١ - ١٢، الدياج المذهب: ص ٤٢.

(٥) الباجي: علي بن محمد الباجي المغربي الأصولي (٦٣١ - ٧١٤هـ).

(٦) معجم المؤلفين: الدليل على صلة ابن بشكوال وسمّاه: صلة الصلة بالشكوالية، حقق جزءاً منه المستشرق لفي بروفنصال سنة ١٩٣٨م.

(٧) الدرر الكامنة: ٨٩/١ - ٩١. (٨) الدليل والتكملة: ٣٩/١ - ٤٥.

١٣ - معجم شيوخه:

ورد ذكره في كل من كشف الظنون^(١) والأعلام^(٢) والدرر الكامنة^(٣) وجاء في الأعلام: ومن كتبه معجم جمع فيه أسماء شيوخه وتراجمهم. وجاء في التكملة قول ابن الزبير متحدثاً عن شيوخه: وقد استوفيت ذكرهم في جزء مشيختي، ويعلق صاحب التكملة على ذلك فيقول: ولم أقف عليه (يعني معجم شيوخه)^(٤).

١٤ - المقصد الواجب:

ذكره التنبكتي ونصّ على أن إبراهيم بن محمد المدين نقل منه وكان يقول: ذكره ابن الزبير في كتابه المقصد الواجب^(٥).

١٥ - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل:

في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل^(٦).

كذا ورد اسمه في النسخ الأربع التي اعتمدتها في تحقيق هذا الكتاب دون أي اختلاف بينها.

قال ابن الزبير في مقدمة ملاك التأويل: «ولما تيسر بفضل الله تعالى المقصود من هذا الغرض بهر حسناً وكمالاً ولاح في أفق التفاسير لنجومها هلالاً سمّيته بكتاب: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل»^(٧)، ومن هنا يصبح ما جاء في الفهارس وكتب التراجم من اختلاف في اسمه تحريفاً للأصل.

(١) كشف الظنون: ١٧٣٥/٢، الأعلام: ٣٣/١، الدرر الكامنة: ٨٩/١ - ٩١.

(٢) الأعلام: ٨٣/١. (٣) الدرر الكامنة: ٨٩/١ - ٩١.

(٤) الذيل والتكملة: ٣٩/١ - ٤٥.

(٥) نيل الابتهاج: ٥١ على هامش الديباج لابن فرحون، مصر ١٣٧١.

(٦) تم لي - بعون الله وتوفيقه - تحقيق هذا الكتاب وصدر عن دار الغرب الإسلامي في مجلدين في سبتمبر/أيلول ١٩٨٣م.

(٧) انظر: ١، صفحة ١٤٨.

ورد في بعضها مختصراً^(١)، وورد في البعض الآخر كاملاً مع شيء من التحريف: ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل وتوجيه المتشابه اللفظي من أي التنزيل^(٢).

وقد تعددت أقوال العلماء وآراؤهم فيه. قال صاحب كشف الظنون: هو في متشابه القرآن في فنون التفسير، لخص فيه كتاب الحصنكفي^(٣) وزاد عليه أوله: الحمد لله المانع من شاء ما شاء^(٤)... وجاء في الدرر الكامنة: جمع كتاباً في فن من فنون التفسير سمّاه: ملاك التأويل، نحا فيه طريق الحصنكفي الخطيب في ذلك، فلخص كتابه وزاد عليه شيئاً بنفسه^(٥) ووصفه بعضهم بأنه غريب في معناه^(٦)، وربما ترجموا بقولهم هذا عما قال ابن الزبير في المقدمة: إنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسلف، ومن هذا حذوهم ممن أتى بعدهم وخلف، أحد فيما علمته على توالي الأعصار والمدد، وترادف أيام الأبد، مع عظيم موقعه وجليل منزعه ومكانته في الدين...^(٧).

١٦ - نزهة البصائر والأبصار: وقد ذكره ابن الخطيب في الإحاطة^(٨):

وفاة ابن الزبير:

توفي ابن الزبير الثقفي أبو جعفر يوم الثلاثاء^(٩) ثامن^(١٠) ربيع

(١) الدرر الكامنة: ٨٩/١ - ٩١، الديباج: ص ٤٢، درة الحجال: ص ١١ - ١٢، البدر الطالع: ص ٣٣، معجم المؤلفين: ص ١٣٨/١، شجرة النور الزكية: ص ٢١٢.

(٢) كذا ورد في كشف الظنون: ١٨١٣/٢، وفي إيضاح المكنون: ٥٥١/٢.

(٣) الحصنكفي: الخطيب الإسكافي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب عالم باللغة والأدب من أهل أصبهان صاحب كتاب: درة التنزيل وغرّة التأويل توفي سنة ٤٢٠هـ، (إرشاد الأريب: ٢٠/٧، الوافي: ٣٣٧/٣، البغية: ٦٣).

(٤) كشف الظنون: ١٨١٣/٢. (٥) الدرر الكامنة: ٨٩/١ - ٩١.

(٦) الإحاطة: ١٨٨/١ - ١٩٣، شجرة النور الزكية: ص ٢١٢، درة الحجال: ص ١١ - ١٢، الديباج: ص ٤٢.

(٧) مقدمة ملاك التأويل: ص ١٤٦. (٨) الإحاطة: ٤٧٥/١.

(٩) عن بغية الوعاة: ٢٩٢/١.

(١٠) في البدر الطالع والدرر الكامنة: ثاني عشر.

الأول^(١) سنة ثمان وسبعمائة^(٢) للهجرة (٧٠٨هـ)، الموافقة لسنة ثمان
وثلاثمائة وألف للميلاد (١٣٠٨م) بغرناطة عن إحدى وثمانين سنة^(٣)، وعلى
حال جميل^(٤).



(١) وقيل: رمضان، كما في الدرر الكامنة: ٩١/١.
(٢) جاء في الديباج: ص ٤٢: وتوفي عام ثمانين وسبعمائة، وعلق على ذلك صاحب
شجرة النور الزكية: وهو خلاف الصواب، وفي معجم المؤلفين: ١٣٨/١: توفي
٧٠٨ أو ٧٠٧هـ.

(٣) وفي شذرات الذهب: ١٦/٦، عن ثمانين سنة.

(٤) البدر الطالع: ص ٣٥.

ترتيب السور بين التوقيف والنظر

أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي، ليس للنظر والاجتهاد أي دور فيه، فقد كان جبريل عليه السلام يوقف النبي صلى الله عليه وسلم على مواقع الآيات في سورها، وكان صلى الله عليه وسلم يوصي بذلك كتبة الوحي والصحابة رضوان الله عليهم.

وقد نقل هذا الإجماع غير واحد من العلماء منهم ابن الزبير الذي قال في مناسباته: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين^(١)»، وقال في ملاك التأويل: إن ترتيب السور بتوقيف على أصح المأخذين، وأما ترتيب الآي فلا توقف فيه، وإن ذلك كله معتمد فيه غير ترتيب النزول^(٢).

ومنهم الزركشي في البرهان قال: أما الآيات في كل سورة ووضع البسمة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه^(٣).

وقد تضافرت الأدلة من النصوص الصحيحة وأقوال الجلة من العلماء على تأكيد هذا الإجماع، فمن النصوص الكثيرة الواردة في هذا الشأن ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، قد نسختها الآية الأخرى^(٤)، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه^(٥).

ومنها ما رواه الإمام أحمد^(٦) بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص

(١) البرهان في تناسب سور القرآن: ص ٧٩.

(٢) ملاك التأويل: ٣١٦/١.

(٣) البرهان للزركشي: ٢٥٦/١.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٣٤.

(٥) البخاري: تفسير سورة ٢.

(٦) مسند أحمد: ٢١٨/٤.

قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة: ﴿لَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ الآية [النحل: ٩٠].

ومنها ما رواه مسلم بسنده عن عمر قال: ما سألت النبي عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: أما تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء^(١). فقد دل النبي ﷺ على موضع تلك الآية في سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦].

ومنها ما رواه أبو يعلى^(٢) في مسنده عن المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: يا خال أخبرني عن قصتك يوم أحد، قال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]. وهذا دليل قوي على أن الترتيب الثابت عندنا اليوم هو الذي كان في عهد النبي ﷺ. فإن رقم هذه الآية من المصحف تماماً كما حدده الحديث.

ومن أقوال الجلة من العلماء في هذا: ما قاله مكي بن أبي طالب القيسي^(٣) وغيره: ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة^(٤).

(١) مسلم فرائض: ٩.

(٢) أبو يعلى: هو أحمد بن علي التميمي الموصلي الحافظ، الثقة المعروف بأبي يعلى: توفي سنة ٣٠٧ (الرسالة المستظرفة ٥٣ - ٥٤).

(٣) هو مكي بن أبي طالب حموش القيسي المقرئ - يكنى أبا محمد - أصيل القيروان سكن قرطبة ورحل إلى مصر مرتين، له عدة مؤلفات منها تفسير الهداية يوجد الجزء الأول منه مخطوطاً بالمكتبة الوطنية بتونس وكتاب في الناسخ والمنسوخ، وانتخاب كتاب الجرجاني في نظم القرآن (إنباه الرواة: ٣/٣١٣ - ٣١٩، شذرات الذهب: ٣/٢٦٠ - ٢٦١، وفيات الأعيان: ٢/١٢٠ - ١٢١).

(٤) مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٥ - ٢٧٦، تحقيق آرثر جفري، مصر ١٩٥٤.

ومنها ما ذكره القاضي أبو بكر^(١) في الانتصار ونقله عنه السيوطي في الإتيان^(٢) وهو قوله: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا.

وقال أيضاً: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمته الله تعالى ورتبه عليه رسوله في أي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولا آخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب أي كل سورة ومواقعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة.

كل هذا من جهة ترتيب الآي، وقد أوجزت القول فيه لاتفاق العلماء على التوقيف فيه، ولأنه ليس من غرضنا الأساسي في هذا التقديم، أما من جهة ترتيب السور فالعلماء فيه على ثلاثة مذاهب:

- ذهب الجمهور منهم إلى أنه بالاجتهاد والنظر، وأن الرسول ﷺ أوكل أمر ترتيب السور إلى صحابته فاجتهدوا في ذلك وأعملوا الأنظار.

- وقال البعض بالتوقيف وجعلوا ترتيب السور كترتيب الآي، الكل من الله ﷻ.

- ومال البعض الآخر إلى التفصيل، فإذا كان الكثير من السور قد علم ترتيبها بالتوقيف فإنَّ البعض منها كان باجتهاد الصحابة. ولكل طائفة جهات تعلق نوردها في مظانها.

١ - القائلون بالاجتهاد:

ينسب القول بالاجتهاد إلى الجمهور، وقد نقل هذا غير واحد من

(١) القاضي أبو بكر: (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ) هو محمد بن الطيب، قاض من كبار علماء الكلام ومن أئمة الأشاعرة، من كتبه: إعجاز القرآن والإنصاف، والانتصار، وفيات الأعيان: ٤٨١/١. قضاة الأندلس: ٣٧ - ٤٠ وغيرهما.

(٢) الإتيان للسيوطي: ٥١/١.

العلماء فابن الزبير الثقفي في برهانه يقول: والجمهور من العلماء إلى أن ترتيب السور إنما وقع باجتهاد من الصحابة، وأن رسول الله ﷺ فوض ذلك إلى أمته بعده^(١).

ويقول الزركشي في البرهان: ذهب جمهور العلماء ومنهم مالك والقاضي أبو بكر بن الطيب إلى أن الترتيب من فعل الصحابة، وأنه ﷺ فوض ذلك إلى أمته^(٢).

ويقول السيوطي في إتقانه: فجمهور العلماء على الثاني^(٣)، يعني القول بالاجتهاد. ومن أشهر القائلين بالاجتهاد مالك والقاضي أبو بكر بن الطيب^(٤) فيما اعتمده واستقر عليه مذهبه من قوله، قال: فإن قيل: قد اختلف السلف في ترتيب القرآن فمنهم من كتب في المصحف السور على تاريخ نزولها وقدم المكي على المدني، ومنهم من جعل من أوله: ﴿أَقْرَأْ بِآيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهو أول مصحف علي، وأما مصحف ابن مسعود فأوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ثم البقرة ثم النساء على ترتيب مختلف، ومصحف أبي كان أوله الحمد ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة على اختلاف شديد.

فالجواب: أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم على وجه الاجتهاد من الصحابة ﷺ^(٥). ونقل عنه قوله: وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه مع مشاركة من عثمان ﷺ^(٦). وقال أبو الحسين أحمد بن فارس^(٧) في كتاب المسائل الخمس: جمع

(١) البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الثقفي: ص ٧٩.

(٢) البرهان للزركشي: ٢٥٧/١. (٣) الإتقان للسيوطي: ٨٢/١.

(٤) انظر في ذلك: نكت الانتصار للباقلاني: ص ٨٢، تحقيق محمد زغلول سلام مصر ١٩٧١م.

(٥) البرهان للزركشي: ٢٥٩/١ - ٢٦٠.

(٦) مقدمات في علوم القرآن: ٢٧٥، تحقيق آرثر جفري، ط مصر ١٩٥٤م.

(٧) أبو الحسن أحمد بن فارس (٣٢٩ - ٣٩٥) من أئمة اللغة والأدب شيخ الهمدان وابن عباد وغيرهما، أصله مروزي استوطن الري وتوفي بها وإليها نسبته، من كتبه: مقاييس اللغة، وفقه اللغة، وجامع التأويل (وفيات الأعيان: ٣٥/١).

القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة رضوان الله عليهم، وأما الجمع الآخر فضم الآي بعضها إلى بعض وتعقيب القصة بالقصة فذلك شيء تولاه رسول الله ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه ﷻ^(١).

وذكر مكي بن أبي طالب القيسي في تفسيره سورة براءة أن ترتيب السور من عمل الصحابة، أما ترتيب الآيات في السور ووضع البسمة في الأوائل هو من النبي عليه الصلاة والسلام، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسمة^(٢).

وإن مما استدل به القائلون بالاجتهاد اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور قبل جمع المصحف الإمام، فمصحف علي كان مرتباً على النزول، وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبي وغيره^(٣).

وفي هذا السياق قال الزركشي: وترتيب بعضها ليس هو أمراً أوجبه الله بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم، ولهذا كان لكل مصحف ترتيب^(٤).

غير أن هذا الدليل كما يبدو قابل للمناقشة وغير مسلم به على علته إذ يمكن أن يكون اختلاف من خالف من الصحابة في الترتيب إنما كان قبل علمهم بالتوقيف النهائي خصوصاً وأن القرآن كان ينزل منجماً، ومنه ما ينسخ ويرفع بعد نزوله، وقد يكتمل نزول هذه السورة ولا يكتمل نزول الأخرى.

يضاف إلى هذا أن اجتهاد الصحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصة كان اختياراً شخصياً لم يلزموا به أحداً ولم يدعوا أن مخالفته محرمة، إذ لم يكتبوا تلك المصاحف للناس وإنما كتبوها لأنفسهم، حتى إذا اجتمعت الأمة على ترتيب عثمان أخذوا به وتركوا مصاحفهم الفردية، ولو أنهم كانوا يعتقدون أن

(١) البرهان للزركشي: ٢٥٩/١.

(٢) مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٥ - ٢٧٦، تحقيق آرثر جفري، مصر ١٩٥٤م.

(٣) الإتقان للسيوطي: ٨٢/١. (٤) البرهان للزركشي: ٢٦٢/١.

الأمر مفوض إلى اجتهدهم وموكل إلى اختيارهم لاستمسكوا بترتيب مصاحفهم ولما أخذوا بترتيب عثمان^(١).

ومن استدلالهم ما أخرجه ابن أشته^(٢) في المصاحف عن أبي محمد القرشي قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع ولم يفصل بينهما ﴿يَسِّرْهُ لَكَ فَكُلَّ السَّعْيِ﴾^(٣).

ولعل هذه الحادثة هي التي أخرجها مفصلة أحمد والترمذي وغيرهما من رواية يزيد الفارسي عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿يَسِّرْهُ لَكَ فَكُلَّ السَّعْيِ﴾ ووضعتوها في السبع الطوال؟

فقال عثمان رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا أنزل عليه شيء دعا بعض من يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر ﴿يَسِّرْهُ لَكَ فَكُلَّ السَّعْيِ﴾ ووضعتهما في السبع الطوال^(٤).

ودليلهم هذا قابل للمناقشة من جهات: فهو من جهة خاص بمحل وروده وهو سورة الأنفال وقرينتها سورة التوبة، وليس ثمة من مسوخ لتعميم الحكم وسحبه على كامل سور القرآن.

ومن جهة ثانية: فإن أبا جعفر النحاس^(٥) في «الناسخ والمنسوخ» أورد

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن لصبحي صالح: ٧١.

(٢) ابن أشته: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أشته ويكنى أبا بكر، نحوي محقق ثقة، كثرة اشتغاله بعلوم القرآن توفي ٣٦٠ هـ. (غاية النهاية في طبقات القراء: ١٨٤/٢).

(٣) انظر في ذلك فتح الباري: ٣١٤/٨، ومسند أحمد: ٥٧/١.

(٤) مسند أحمد: ٥٧/١، سنن الترمذي: تفسير سورة ١/٩. المستدرک: تفسير ٢١/٢.

(٥) أبو جعفر النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي من علماء مصر توفي سنة ٣٣٨ هـ، من كتبه «الناسخ والمنسوخ»، مطبوع بمطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٣ هـ (إنباه الرواة: ١٠١/١).

رواية أخرى من طريق يزيد الفارسي عن ابن عباس ذكر فيها نحو ما ذكر في الأولى وجاء في آخرها: أن ابن عباس رضي الله عنه قال: وكانتا - يعني الأنفال وبراءة - تُدْعيان في زمان رسول الله ﷺ القرينتين، ففي هذا ما يدل على أن الأنفال والتوبة مستقلة الواحدة منهما عن الأخرى، وأن ولاء التوبة الأنفال واقترانها بها كان معلوماً من عهد رسول الله ﷺ.

ومن جهة ثالثة: فإن هذا الحديث مشكوك فيه، فيزيد الفارسي الذي انفرد بروايته عن ابن عباس يذكره البخاري في الضعفاء. بل ويذهب بعض المحققين إلى أن الحديث ضعيف جداً ولا أصل له^(١).

يقول صبحي الصالح: لا يستند القسم الاجتهادي إلى دليل صحيح بل يعتمد على حديث ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له يدور إسناده في كل رواياته على يزيد الفارسي^(٢) الذي رواه عن ابن عباس، ويزيد الفارسي هذا يذكره البخاري في الضعفاء فلا يقبل منه مثل هذا الحديث الذي انفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءة وسماعاً وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يشتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له^(٣).

ومما استند إليه القائلون بالترتيب الاجتهادي ما روي من أن عثمان رضي الله عنه لما بلغه خبر اختلاف المسلمين في قراءة القرآن أمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بنسخ المصاحف^(٤). قالوا: إن ما أمر به عثمان هو التأليف وترتيب السور.

قال أبو بكر بن الطيب وهو من القائلين بالاجتهاد: وترتيب السور اليوم

(١) انظر في ذلك تعليق المحقق أحمد محمد شاكر على الحديث رقم ٣٩٩، في مسند الإمام أحمد: ٣٢٩/١ وما بعدها.

(٢) يزيد الفارسي: انظر في ذلك تهذيب التهذيب لابن حجر: ٣٧٤/١١.

(٣) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ٧٢ - ٧٣.

(٤) البخاري: فضائل القرآن: ٢، ٣.

هو من تلقاء زيد ومن كان معه مع مشاركة من عثمان^(١).

وقد نوقش رأيهم هذا بأنه تأويل بعيد، وليس في الحديث تصريح بما قالوه ولا تلميح، خصوصاً وأن الدافع الأساسي لهذا الجمع كان الاختلاف في القراءة لا الاختلاف في تأليف القرآن ونظمه.

يقول أبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ»: وقد أشكل على بعض أصحاب الحديث ما طعن به بعض أهل الأهواء بالحديث أن عثمان رضي الله عنه أمر زيد بن ثابت أن يجمع القرآن وضم إليه جماعة، فتوهم أن هذا هو التأليف وهو غلط عظيم، وقد تكلم العلماء في معنى هذا بأجوبة، فمنهم من قال: إنما أمر بجمعه وإن كان مجموعاً لأنهم كانوا يقرؤونه على سبعة أحرف فوقع بينهم الشر والخلاف، وأراد عثمان رضي الله عنه أن يختار من السبعة حرفاً واحداً هو أفصحها ويزيل الستة، وهذا من أصح ما قيل فيه، لأنه روي عن زيد بن ثابت أنه قال هذا، ويدل على صحته أن زيد بن ثابت كان يحفظ القرآن فلا معنى لجمعه إياه إلا على هذا وما أشبهه. وقد قيل: إنما جمعه وإن كان يحفظه لتقوم حجة عند عثمان أنه لا يستبد برأيه^(٢).

هذه بعض أدلة القائلين بالاجتهاد والردود عليها، وهي كما ترى ليست على جانب كبير من القوة بحيث يمكن التسليم إليها، وهذا ما حدا بالكثير من المحققين إلى تضعيف القول بالاجتهاد بل وإلى التحذير من خطورة اعتماده، لما يثيره من شكوك حول تأليف القرآن الذي هو وجه من وجوه إعجازه، ولما يفتحه لأعداء الإسلام من منافذ للطعن.

قال أبو بكر ابن الأنباري^(٣): فمن قدم سورة أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن^(٤)، وقال أبو جعفر النحاس في تعليقه على حديث: «أعطيت السبع

(١) مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٥.

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس: ١٥٩.

(٣) أبو بكر ابن الأنباري: هو محمد بن القاسم الأنباري صاحب «عجائب علوم القرآن» توفي سنة ٣٢٣هـ، (الأعلام: ٢٢٦/٧، وفيات الأعيان: ٥٠٣/١، بغية الوعاة: ٩١).

(٤) الإتيقان للسيوطي: ٣٣/١.

الطوال مكان التوراة... الحديث^(١): فهذا التأليف من لفظ رسول الله ﷺ، وهذا أصل من أصول المسلمين لا يسعهم جهله، لأن تأليف القرآن من إعجازه، ولو كان التأليف من غير الله ورسوله لسعد بعض الملحدين على طعنهم^(٢).

٢ - القائلون بالتوقيف:

يرى القائلون بالتوقيف أن ترتيب سور القرآن على الوجه الذي توجد عليه في المصاحف إنما هو بتوقيف من النبي ﷺ. ولم توضع سورة في موضعها المخصص لها إلا بناء على أمر النبي وتعليمه وبرمزه وإشارته على حسب ما فهموه من تلاوته في المناسبات المتعددة.

ومن أشهر القائلين بالتوقيف: القاضي أبو بكر بن الطيب في أحد أقواله، وأبو بكر بن الأنباري حيث قال: أنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فأتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كلها عن النبي ﷺ، فمن قَدَّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن^(٣).

ومن المنتصرين للتوقيف أبو جعفر النحاس. قال: ومما يدل على أن القرآن كان مؤلفاً على عهد النبي ﷺ ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: أعطيت السبع الطوال مكان التوراة... الحديث^(٤)، ثم علق أبو جعفر قائلاً: فهذا التأليف من لفظ رسول الله ﷺ، وهذا أصل من أصول المسلمين لا يسعهم جهله، لأن تأليف القرآن من إعجازه، ولو كان التأليف من غير الله ورسوله لسعد بعض الملحدين على طعنهم^(٥).

(١) مسند أحمد: ٧٠٧/٤.

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس: ١٥٩.

(٣) الإتيان للسيوطي: ٨٢/١ - ٨٣. (٤) مسند أحمد: ١٠٧/٤.

(٥) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس: ١٥٩.

وأيده الكرمانى^(١)، فى البرهان فقال: ترتيب السور هكذا هو عند الله فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه فى السنة التى توفى فيها مرتين... (٢).

وتشيع له الطيبي^(٣) فقال: أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفزاً على حسب المصالح، ثم أثبت فى المصاحف على التأليف والنظم المثبت فى اللوح المحفوظ^(٤). وقال بهذا ابن الحصار^(٥) فقد جاء عنه: وترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي^(٦).

كما قال بهذا ابن الزبير الثقفى على ما استقر عليه رأيه، قال فى كتابه ملاك التأويل^(٧): إن ترتيب السور بتوقيف على أصح المأخذين وأما ترتيب الآي فلا توقف فيه، وإن ذلك كله معتمد فيه غير ترتيب النزول^(٨).

ورجح الزركشى ذلك فى البرهان فقال: وهو - يعنى علم المناسبة بين السور - مبني على أن ترتيب السور توقيفى، وهذا الراجع^(٩).

(١) الكرمانى: هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى الشافعى الملقب بتاج القراء، توفى بعد سنة ٥٠٠هـ (بغية الوعاة: ٣٨٧).

(٢) الإتيان للسيوطى: ٨٣/١.

(٣) الطيبي: هو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي من شراح الكشاف توفى سنة ٧٤٣هـ (بغية الوعاة: ٢٢٨).

(٤) الإتيان للسيوطى: ٨٣/١.

(٥) ابن الحصار: لعله على بن محمد الخزرجى أبو الحسن الحصار، فقيه إشبيلي الأصل جاور بمكة وتوفى بالمدينة سنة ٦١١هـ، له كتاب فى الناسخ والمنسوخ (التكملة لابن الأبار ٦٨٦).

(٦) الإتيان للسيوطى: ٨٣/١.

(٧) طبع فى مجلدين - تحقيق وتقديم سعيد الفلاح - ط. دار الغرب الإسلامى بيروت ١٩٨٣م.

(٨) ملاك التأويل لابن الزبير الثقفى: ٣١٦/١.

(٩) البرهان للزركشى: ٣٨/١.

ونجد على هذا المذهب ابن حجر^(١) حيث قال: ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً. ومما يدل على أن ترتيبها توقيفي ما أخرجه أحمد^(٢) وأبو داود^(٣) بسنده عن أوس عن حذيفة الثقفي قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف.. الحديث^(٤).

وانتصر لهذا الرأي من المعاصرين الدكتور صبحي الصالح، قال: وأما ترتيب السور فتوقيفي أيضاً، وقد علم في حياته عليه السلام. وهو يشمل السور القرآنية جميعاً. ولسنا نملك دليلاً على العكس، فلا مسوغ للرأي القائل: إن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة ولا الرأي الآخر الذي يفصل...^(٥).

أدلة القائلين بالتوقيف:

لأنصار هذا الرأي جهات تعلق نذكر منها:

١ - أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على ترتيب المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف في ذلك أحد حتى من كان بحوزته مصاحف مكتوبة على ترتيب مخالف، فلو لم يكن الأمر توقيفياً لحصل من أصحاب المصاحف المخالفة في الترتيب التمسك بترتيب مصاحفهم، ولوصلنا في هذا الشأن شيء من أخبارهم كما وصلتنا مواقفهم في أمور أخرى، لكن عدولهم عن مصاحفهم وعن ترتيبها، بل وإحراقها دليل على أن الأمر ليس للرأي فيه مجال، ولا يشترط أن يكون التوقيف بنص صريح بل يكفي فيه الفعل أو الرمز أو الإشارة أو التقرير.

ونوقش هذا الدليل بأن الصحابة ربما حملهم على هذا الإجماع ما رأوه من توفيق عثمان في عمله، أو ما رأوه في هذا العمل من جمع كلمة الأمة ودرء سبب الفتنة عنها.

(١) ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) أحمد بن علي العسقلاني الحافظ صاحب المؤلفات الكثيرة، (البدر الطالع: ٨٧/١).

(٢) مسند أحمد: ٩/٤. (٣) سنن أبي داود: ١/٣٢١ - ٣٢٢.

(٤) الإتيان للسيوطي: ٨٣/١.

(٥) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ٧١.

٢ - وأن السور المتجانسة في القرآن لم يلتزم فيها الترتيب والولاء على الاطراد، فإذا كانت الحواميم قد رتبت ولاء فإن المسبحات لم يتمّ فيها ذلك بل فصل بينها بالمجادلة والممتحنة والمنافقون، كما فصل بين طسّم الشعراء وطسّم القصص بطسّم النمل مع أنها أقصر منهما، فلو كان الترتيب اجتهادياً لالتزم فيه التجانس على الاطراد ولما حصل التفريق بين المتماثلات من السور في فواتحها وفي طولها وقصرها^(١).

٣ - ومنها ما يلاحظ من تناسب وترابط متين بين سور الكتاب في ترتيبها الثابت في المصحف الإمام، فإن بعضها أخذ برقاب بعض في نظم عجيب معجز، لا يمكن أن يُردّ إلى اجتهاد البشر وإلا كان ذلك منفذاً للطعن واستنقاصاً من شأن هذا الكتاب العزيز.

وما عمل ابن الزبير في هذا الكتاب إلا محاولة لإبراز هذا التناسب والتأكيد على أنه إلهي ووجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وقد قال أبو جعفر النحاس: تأليف القرآن من إعجازه^(٢)، وقال ولي الدين الملوي: فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة واحدة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر^(٣).

وقال الفخر الرازي في تفسير سورة البقرة: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه، أرادوا ذلك...^(٤).

وقد اشتغل بعض العلماء بإبراز هذا التناسب والتلاحم والتزم بعض المفسرين الوقوف عنده وكشف الغطاء عنه، لا بين الآيات فحسب بل وبين السور، أمثال برهان الدين البقاعي^(٥) في تفسيره القيم المعروف بـ«نظم الدرر في تناسب الآيات والسور».

(١) انظر في هذا: الإتيان للسيوطي: ٨٤/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس: ١٥٩.

(٣) الإتيان للسيوطي: ١٣٨/٢. (٤) التفسير الكبير للرازي: ١٣٨/٧.

(٥) البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسين الرباط أبو الحسن برهان الدين مؤرخ وأديب =

جاء في البرهان للزركشي: ولترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صدر عن حكيم، أحدها: بحسب الحروف، كما في الحواميم، وثانيها: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها في المعنى، كآخر الحمد وأول البقرة، وثالثها: للوزن في اللفظ، كآخر تبت وأول الإخلاص، ورابعها: لمشابها جملة السورة لجملة الأخرى مثل: «والضحى» و«الم نشرح»^(١).

وقال بعض الأئمة: وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكملة لمقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم... أما سورة النساء فتتضمن جميع أحكام الأنساب التي بين الناس... وأما المائدة فسورة العقود وبها تمام الشرائع، قالوا: وبها تم الدين فهي سورة التكميل، بها ذكر الوسائل كما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد...

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة من أحسن الترتيب^(٢).

وقال الزركشي في موطن آخر^(٣): ومن أسرارها مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها، حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظياً كما قيل في: ﴿جَعَلَهُمْ كَمَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] وللقارئ الكريم في مناسبات ابن الزبير ما يفي بالحاجة في هذا المجال.

هذه بعض أدلة القائلين بالتوقيف، وقد دعموها بالروايات الكثيرة الواردة في هذا السياق منها: ما أخرجه أحمد وأبو داود من حديث حذيفة الثقفى

= أصله من البقاع في سورية كانت وفاته بدمشق سنة ٨٥٨هـ. من أشهر مؤلفاته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. طبع بالهند، يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي (البر الطالع: ١٩/١، الضوء اللامع: ١٠١/١ - ١١١).

(١) البرهان للزركشي: ٢٦٠/١. (٢) البرهان للزركشي: ٢٦١/١ - ٢٦٢.

(٣) البرهان للزركشي: ١٨٦/١.

قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف... الحديث، وفيه: فقال لنا رسول الله ﷺ: «طراً عليّ حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه». فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل من ق حتى نختم^(١).

فهذا دليل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ^(٢).

ومنها ما رواه واثلة بن الأسقع عن النبي أنه قال: «أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المثني مكان الزبور، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وفُضِّلَت بالمفصل»^(٣).

علق أبو جعفر النحاس على هذا الحديث بقوله: فهذا التأليف من لفظ رسول الله ﷺ، وهذا أصل من أصول المسلمين لا يسعهم جهله، لأن تأليف القرآن من إعجازه، ولو كان التأليف من غير الله ورسوله لسعد بعض الملحدين على طعنهم^(٤).

وأخرج ابن أشته في كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال: سمعت ربيعة يسأل: لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة وإنما أنزلت بالمدينة؟ فقال: قدمت وألف القرآن على علم ممن ألفه به ومن كان معه فيه واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مما يُنتهى إليه ولا يسأل عنه^(٥).

وفي صحيح البخاري أنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ: «قل هو الله أحد» والمعوذتين^(٦)، فذكرها ولاء على ما هي عليه في المصحف.

(١) مسند أحمد: ٩/٤، سنن أبي داود: ٣٢١/١ - ٣٢٢.

(٢) الإتيان للسيوطي: ٨٣/١ - ٨٤. (٣) مسند أحمد: ١٠٧/٤.

(٤) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس: ١٥٩.

(٥) الإتيان للسيوطي: ٨٤/١. (٦) البخاري: طب ٣٩.

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي^(١)، فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها.

إن مثل هذه الروايات كثيرة، وهي وإن كانت خاصة بمحالتها ولا تشكل دليلاً قطعياً على ترتيب توقيفي لكامل سور القرآن، ففيها دليل لا يُرد بأن السور التي ورد ذكرها كانت على ترتيب مماثل لما في المصحف، وإذا كانت هذه الروايات بحكم ورودها في مناسبات معينة قد اقتضت على بعض سور القرآن فلا تقوم دليلاً على أن ما لم يرد ذكره ولم يتعرض له كان ترتيبه مخالفاً لما بين أيدينا، بل الأقرب أن تدل على المماثلة وعدم المفارقة.

القائلون بالتفصيل:

يذهب هؤلاء إلى أن ترتيب بعض سور القرآن كان بتوقيف من النبي ﷺ وترتيب البعض الآخر فوض أمره إلى اجتهاد الصحابة. وحجتهم في ذلك تردد الأحاديث الواردة في الموضوع بين التوقيف والاجتهاد وعدم قطعها بهذا أو بذاك، وقد تم إيراد الكثير منها في أدلة القائلين بالاجتهاد وأدلة المنتصرين للتوقيف، فأغنى عن إعادة ذكرها هنا.

وقد انتصر لهذا المذهب جلة من العلماء أمثال: ابن عطية^(٢) والبيهقي وابن الزبير الثقفي والسيوطي، ومال إليه من المحدثين عبد العظيم الزرقاني فقال: ولعله أمثل الآراء^(٣).

ولئن كان هؤلاء قد انتصروا جميعاً لهذا المذهب ورأوه الأمثل فإنهم اختلفوا في تحديد السور التي جاء ترتيبها عن توقيف والسور التي كان ترتيبها عن اجتهاد.

(١) البخاري: فضائل القرآن: ٤٥/٦.

(٢) ابن عطية: هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرؤوف صاحب التفسير المشهور المعروف بالمحرر الوجيز، توفي بلورثة بالأندلس سنة ٥٤٢هـ (نفع الطيب: ٥٨٥/١، الأعلام: ٥٣/٤).

(٣) مناهل العرفان: ٣٥٦/١.

ففي حين يقصر ابن عطية التوقيف على السبع الطوال والحواميم والمفصل، يوسع ابن الزبير مجاله ويسحبه على أكثر من ذلك ويبلغ به البيهقي وابن العربي والسيوطي حداً لا يخرج معه عن التوقيف إلا الأنفال وبراءة.

قال القاضي ابن عطية: وظاهر الآثار أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كان مرتباً في زمن النبي ﷺ وكان في السور ما لم يرتب، فذاك هو الذي رتب وقت الكتب^(١). وقال ابن العربي في إحكام القرآن عند بيان وجه سقوط البسمة من أول براءة: وفي هذا كله دليل على أن تأليف القرآن كان منزلاً من عند الله وأن تأليفه من تنزيله... إلا هذه السورة^(٢).

وقال ابن الزبير الثقفي في مقدمة البرهان رداً على ما قاله ابن عطية: وقد مال القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية رَحِمَهُ اللهُ في ترتيب السور إلى القول بالتفصيل وأن كثيراً من سور القرآن قد كان علم ترتيبها في أيامه ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وأشار كلامه إلى أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون ﷺ فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده، ولم يقطع القاضي أبو محمد في هذا القسم بشيء، وظواهر الآثار شاهدة بصحة ما ذهب إليه في أكثر مما نص عليه ويبقى قليل من السور يمكن فيها جري الخلاف أو يكون وقع^(٣).

وقال في موضع آخر من برهانه: الآثار المستفيضة والمقطوع به منها، إنما ورد ذلك في الأكثر ولم يرد فيما بين كل سورتين سورتين ولا شك أنه إذا بقي بعض ذلك لاجتهادهم ولو فيما بين سورتين جرى القول المشهور عليه وصح اعتماده^(٤).

وقال البيهقي في المدخل: كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتباً سورة وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان^(٥).

(١) مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٦.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: ٣٦٦/١، الطبعة الأولى، مصر ١٣٣١.

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن: ص ٨١.

(٤) مقدمة البرهان لابن الزبير الثقفي: ص ٨٢.

(٥) الإقتان للسيوطي: ٨٣/١.

وقال السيوطي في الإتيان: والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سوراً وراء على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران^(١) لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز^(٢).

التوفيق بين الآراء:

حاول ابن الزبير الثقفي أن يوفق بين الآراء الثلاثة، فبين أنها تلتقي جميعاً على القول بالتوقيف، والخلاف بينها لا يعدو أن يكون لفظياً: هل هو بتوقيف قلبي صريح من رسول الله أم هو بتوقيف فعلي مستفاد من أفعال رسول الله ﷺ؟

فالمنتصرون للاجتهاد يقولون: إنه رُمز إليهم الترتيب لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته وسماعهم ذلك عن الرسول عند استظهاره على جبريل وقراءته في الصلاة وفي المناسبات المختلفة.

يقول ابن الزبير: إن كان بتوقيف منه ﷺ فلا مجال للخصم بعد ذلك التحديد الجليل والرسم، وإن كان مما فوض فيه الأمر إلى الأمة بعده فقد أعمل الكل من الصحابة في ذلك جهده وهم الأملاء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه وفهمه، والعارفون بأسباب نزول الآيات ومواقع الكلمات، وإنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ، وهذا قول مالك رحمته الله في حكاية بعضهم عنه. ومالك أحد القائلين بأن ترتيب السور باجتهاد من المسلمين...

وكيفما دار الأمر فمنه ﷺ عُرف ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا

(١) روى مسلم عن حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح سورة البقرة، فقلت يركع عند المائة ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران... الحديث (مسلم: مسافرين: ٢٠٣).

(٢) الإتيان للسيوطي: ٨٤/١.

جليل ذلك النظر، فإذا إنما الخلاف هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي، بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر؟ فهذا موضع الخلاف^(١).

وقد أشار الزركشي في البرهان إلى مثل هذا، ولعله نقل ذلك عن ابن الزبير، فالشبه بين ما جاء في البرهانين كبير، وربما كان قول السيوطي في الإتيان: وسبقه إلى ذلك أبو جعفر ابن الزبير^(٢)، تنبيهاً إلى ذلك.

قال الزركشي: الخلاف بين القائلين بالتوقيف والقائلين بالاجتهاد يرجع إلى اللفظ لأن القائل بالثاني يُقرّ بأنه رُمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم...^(٣).

حرمة هذا الترتيب:

إن ترتيب السور سواء أكان بتوقيف أم باجتهاد، أم بهما معاً، أمر مرعي محترم. فإن كان عن توقيف ففي مراعاته واحترامه وخاصة في كتابة المصاحف التزام بسنة رسول الله، وإن كان عن اجتهاد من الصحابة ففيه امتثال لإجماعهم، والإجماع حجة، وهو في كلتا الحالتين صيانة لكتاب الله ودرء لأسباب الفتنة والمفسدة، إذ لو وقع التساهل في ترتيب المصاحف لأدى ذلك على المدى البعيد إلى الاختلاف في تأليف القرآن ونظمه، وتأليف القرآن من إعجازه، وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم^(٤).

وقال أبو جعفر النحاس: فهذا التأليف من لفظ رسول الله ﷺ، وهذا أصل من أصول المسلمين لا يسعهم جهله لأن تأليف القرآن من إعجازه ولو كان التأليف من غير الله ورسوله لسعد بعض الملحدين على طعنهم^(٥).

أما ترتيب السور عند التلاوة فمندوب، وتفريقها أو عكسها جائز، ولكنه

(١) البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الثقفي: ص ٨٠.

(٢) الإتيان للسيوطي: ٨٣/١.

(٣) البرهان للزركشي: ٢٥٧/١.

(٤) الإتيان للسيوطي: ١٤٤/١.

(٥) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس: ١٥٩.

خلاف الأولى، واستدلوا بما رواه مسلم عن حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح سورة البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران... الحديث^(١).

علق ابن الزبير على الحديث فقال: ربما فعل هذا إرادة للتوسعة على الأمة وبياناً لجليل تلك النعمة^(٢)، وقال السيوطي: ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سوراً ولاء على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ولعله فعل ذلك لبيان الجواز^(٣)، وقال في موضع آخر: الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف. قال في شرح المذهب: «لأن ترتيبه لحكمة فلا يتركها إلا فيما ورد فيه الشرع كصلاة صبح يوم الجمعة بـ «بآلم تنزيل» «وهل أتى» ونظائره^(٤)».

وأما قراءة السور منكوسة من آخرها إلى أولها فمتفق على منعه لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز ويتزيل حكمة الترتيب، أخرج الطبراني بسند جيد عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً، قال: ذلك منكوس القلب^(٥). وأما خلط سورة بسورة، فقد عد الحلبي^(٦) تركه من الآداب لما أخرجه أبو عبيد عن عمر مولى عفرة أن النبي ﷺ قال لبلال: إذا قرأت السور فأنفذها^(٧). وقال البيهقي، وأحسن ما يحتج به أن يقال: إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي ﷺ، وقد أخذه عن جبريل، فالأولى للقارئ أن يقرأه على التأليف المنقول^(٨).

(١) صحيح مسلم: مسافرين: ٢٠٣، وانظر مصنف ابن أبي شيبة: ٣٦٨/١.

(٢) البرهان لابن الزبير الثقفي: ص ٧٤. (٣) الإقتان للسيوطي: ٨٤/١.

(٤) الإقتان للسيوطي: ١٤٤/١. (٥) الإقتان للسيوطي: ١٤٤/١.

(٦) هو: أبو عبد الله حسين بن الحسن الحلبي الجرجاني صاحب كتاب: «المنهاج»، توفي سنة ٤٠٣هـ. (الأعلام: ٢٥٣/٢).

(٧) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، لوحة ٢٠ عن عمر مولى عفرة، انظر: نكت الانتصار للباقلاني: ٨٥، والإقتان للسيوطي: ١٤٤/١، ومصنف ابن أبي شيبة: ٥٣٢/٢.

(٨) الإقتان للسيوطي: ١٤٤/١.

وقد بسط الإمام النووي^(١) هذا الموضوع في كتابه «التيان» فقال: قال العلماء: الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب سواء أقرأ في الصلاة أم في غيرها حتى قال بعض أصحابنا: إذا قرأ في الركعة الأولى سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ يقرأ في الثانية بعد الفاتحة من البقرة.

قال بعض أصحابنا: ويستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها، ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد الشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ في الأولى سورة السجدة، وفي الثانية «هل أتى على الإنسان»، وصلاة العيد في الأولى «ق»، وفي الثانية: «اقتربت الساعة»، وركعتي الفجر الأولى: «قل يا أيها الكافرون» وفي الثانية: «قل هو الله أحد»، وركعات الوتر في الأولى: «سبح اسم ربك الأعلى»، وفي الثانية: «قل يا أيها الكافرون»، وفي الثالثة: «قل هو الله أحد» والمعوذتين.

ولو خالف الموالاة فقرأ سورة لا تلي الأولى أو خالف الترتيب فقرأ سورة قبلها جاز، فقد جاءت بذلك آثار كثيرة، وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الركعة الأولى من الصبح بالكهف وفي الثانية بيوسف^(٢).

وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف، وروى ابن أبي داود عن الحسن أنه كان يكره أن يقرأ القرآن إلا على تأليفه في المصحف.

وبإسناده الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له: إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً فقال: ذلك منكوس القلب^(٣).

وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها. فممنوع منعاً مؤكداً لأنه يذهب

(١) هو: الإمام محيي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ.

(٢) التيان في آداب حملة القرآن للنووي: ٤٨ - ٤٩، مصر، ١٩٦٠م.

(٣) رواه البيهقي، انظر في ذلك البرهان للزركشي: ٢٥٧/١.

ببعض ضروب الإعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات . وقد روى ابن أبي داود
عن إبراهيم النخعي الإمام التابعي الجليل وعن الإمام مالك بن أنس أنهما
كرها ذلك، وأن مالكا كان يعيبه ويقول: هذا عظيم...

وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف إلى أوله فحسن، وليس هذا من
الباب، فإن ذلك قراءة منفصلة في أيام متعددة على ما فيه من تسهيل الحفظ
عليهم، والله أعلم^(١).



(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي: ص ٤٨ - ٤٩، طبعة مصر، ١٩٦٠م.

مناسبة أي القرآن وسوره

من أجلّ علوم القرآن المناسبة بين الآي والسور.
والمناسبة في اللغة المقاربة والمشاكلة، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس التي تعني الوصف المقارب للحكم^(١).
ومرجع هذه المناسبة في الآيات والسور إلى معنى رابط بينها عام، أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول...^(٢).

وأول من أظهر علم المناسبة ونبه إلى جلالة قدره وعاب على العلماء تقصيرهم في الكشف عن أسرار الإمام أبو بكر النيسابوري^(٣).
قال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني^(٤): أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم تكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري... وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة^(٥).

وقال ابن الزبير الثقفي في مقدمة البرهان: لم أر في هذا الضرب

(١) البرهان للزركشي: ٣٥/١. (٢) الإتيان للسيوطي: ١٣٩/٢.

(٣) هو: عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الحافظ، الفقيه الشافعي كان إمام الشافعية بالعراق، رحل في طلب العلم إلى الشام ومصر ثم استقر ببغداد، توفي سنة ٣٢٤هـ (اللباب: ٢٥٢/٣، طبقات القراء: ٤٤٩/١).

(٤) نسبة إلى شهرابان، قرية شرقي بغداد، ينسب إليها الكثير من العلماء (معجم البلدان لياقوت: ٣/٣٤٠)، (مجهول).

(٥) البرهان للزركشي: ٣٦/١.

الخاص - يعني علم المناسبة - شيئاً لمن تقدم وغبر، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات، وذلك في الباب أوضح، ومجال الكلام فيه أفسح وأسرح، وأما تعلق السور على ما ترتب في الإمام واتفق عليه الصحابة الأعلام فمما لم يُتعرض له فيما أعلم، ولا قرع أحد هذا الباب ممن تأخر أو تقدم... (١).

وقلة اعتناء المفسرين بهذا العلم إنما يعود أساساً لدقته، ولما يستجره من التكلف فيما خفي من بعض وجوه المناسبة بين الآي أو السور، ومن الذين اعتنوا به ابن العربي^(٢)، نقل السيوطي في الإتيان^(٣) قوله: ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه.

ومن الذين أكثروا منه الإمام فخر الدين الرازي، يقول في تفسيره سورة البقرة: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك... (٤).

ومن أشهر الذين أفردوه بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير في كتابه البرهان في تناسب سور القرآن، والشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماء: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، والسيوطي في كتابه الذي صنفه في أسرار التنزيل^(٥)، وقد لخص منه مناسبة السور خاصة في جزء لطيف سماء: تناسب الدرر في تناسب السور^(٦).

(١) مقدمة البرهان لابن الزبير الثقفي: ص ٧٧.

(٢) ابن العربي: هو أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي من علماء إشبيلية توفي سنة ٥٤٤هـ، (الصلة: ترجمة رقم ١١٨١).

(٣) الإتيان للسيوطي: ١٣٨/٢. (٤) التفسير الكبير للرازي: ١٣٨/٧.

(٥) ذكره السيوطي في الإتيان: ١٣٨/٢.

(٦) حققه عبد القادر أحمد عطا، طبع دار بوسلامة، تونس ١٩٨٣ م.

والناس إزاء علم المناسبة بين منتصر له غلاً^(١) في تكلف المناسبة حتى فيما لا مناسبة فيه، حجته في ذلك أن ترتيب القرآن في آياته وسوره توقيفي ولا يخلو ذلك من أسرار من أجلها الإعجاز بالنظم، فطفق يثبت ذلك بكل الوسائل، وبين مقصر أغفل التنبيه حتى إلى ما وضحت وظهرت مناسبتها، مستنده أن أي القرآن وسوره على حسب الوقائع المتفرقة والأزمان المتباعدة، ومن التكلف المناسبة بينها، وبين معتدل توسط في ذلك، ونبه إلى المناسبة في مواطن ظهورها ورغب عن التكلف فيما لا سبيل فيه إلى المقاربة، ودليله في ذلك أن المناسبة بين الآيات والسور - وإن سلمنا بوجودها - فهي مترددة بين الظهور والخفاء، فلا داعي إلى ركوب متن التكلف والتمحل فيما خفي منها.

ونقل السيوطي عن ولي الدين الملوي قوله: والذي ينبغي في كل آية أن يبحث - أول كل شيء - عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقى له^(٢).

وقال مزيياً على من أنكر المناسبة^(٣): قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن الكريم لو استفتي في أحكام متعددة، أو ناظر فيها، أو أملاها، لذكر آية لكل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يقل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقاً، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، فإنه: ﴿كَتَبُكَ أَهْكَمْتُ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وقال الرازي يلوم من أعرض من المفسرين عن لطائف المناسبة ولم ينبه

(١) غلا: بالغ وتجاوز الحد.

(٢) الإتيان للسيوطي: ١٣٨/٢.

(٣) البرهان للزركشي: ٣٧/١، الإتيان للسيوطي: ١٣٨/٢.

لأسرارها^(١)... إلا أنني رأيت جمهور المفسرين مغرضين عن هذه اللطائف غير متبهمين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر^(٢)

ودرءاً للخلاف، وإبعاداً للتكلف المقيت في المناسبة، عمل بعض العلماء على التنبيه إلى بعض الضوابط التي ينبغي أن تلتزم في القول بها، كوحدة الموضوع، ووجود رابط من الروابط، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والتضاد، والتنظير والاستطراد، والتخلص... ونحو ذلك.

قال العز بن عبد السلام^(٣):

يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدها بالآخر... ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصاب عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ لا يحسن أن يربط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها^(٤).

وينقل السيوطي عن بعض المتأخرين قوله:

الأمر الكلبي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سبقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب،

(١) التفسير الكبير: ١٣٨/٧. (٢) البحر السيط.

(٣) العز بن عبد السلام: هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بالعز ولد سنة ٥٧٧هـ، وتوفي سنة ٦٦٠هـ، (ترجمته الكاملة في طبقات الشافعية: ٨٠/٥ - ١٠٧).

(٤) البرهان للزركشي: ٣٧/١.

وتنظر - عند انجرار الحديث في المقدمات - إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الروابط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة^(١).

فمعيار الطبع والتكلف في إثبات المناسبة بين الآي والسور إنما يعود أساساً إلى مدى التماثل والتقارب أو البعد والتنافر بين الموضوعات، فإن تماثلت وتقاربت، وارتبطت الأوائل بالأواخر فالتناسب معقول مقبول، وإن تنافرت وتباعدت فلا سبيل إلى القول بالتناسب، وإلا كان التكلف والتمحل والإغراب، وصدق من قال: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقتة بالقبول^(٢).

إن وجه المناسبة بين الآيات والسور يخفى تارة ويظهر أخرى، وإن فرص خفائه تقل بين الآيات وفرص ظهوره تقل بين السور، ذلك لأن الكلام قلماً يتم بآية واحدة، فتتعاقب الآيات في الموضوع الواحد، ولأن السورة - كما يدل عليه اسمها - غالباً ما تكون مكتملة محيطة بموضوعها، وليس بالضرورة أن يكون تشوف بينها وبين سابقتها ولاحققتها، ولا أن تكون وحدتها الموضوعية هي الوحدة الموضوعية عينها في السور جميعها، حتى وإن سلمنا بالتوقيف في ترتيبها.

ولكل ما تقدم كثر اشتغال المفسرين بالمناسبة بين الآيات، وندر وقوفهم على ما بين السور، قال ابن الزبير الثقفي: بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات وذلك في الباب أوضح ومجال الكلام فيه أفسح وأسرح، أما تعلق السور على ما ترتب في الإمام واتفق عليه الصحابة الأعلام فمما لم يُعترض له فيما أعلم، ولا قرع أحد هذا الباب ممن تأخر وتقدم^(٣).

(٢) البرهان للزركشي: ٣٥/١.

(١) الإتيان للسيوطي: ١٤١/٢.

(٣) البرهان في تنسب سور القرآن: ص ٧٧.

ومن العلماء من لم يخف تحفظه إزاء المناسبة بين السور، ولم يتردد في إظهار تخوفه من ركوب بعضهم متن التكلف والإغراب، يقول الدكتور صبحي الصالح: والحق أن الذي ينبغي التنقيب عنه والاستيثاق من نتائجه هو بالمقام الأول وجه المناسبة بين الآيات...، أما التماس الترابط بين السور - على ما فيه من تعسف وتكلف - فهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي - ولهذا انتصرنا وعليه عوّلنا - إلا أن ترتيب السور التوقيفي لا يستلزم حتماً أن يكون بين كل سورة سابقة وكل سورة لاحقة أواصر قرى...^(١).

ويقول في موضع آخر^(٢): وما نظن احتفال المفسرين قليلاً بهذا النوع لدقته وحسب بل لقلّة جدواه وكثرة التكلف فيه.

وكيفما تكن مواقف العلماء من المناسبة بين الآي والسور، ومهما يتسم به توجيههم للمناسبة من طبع أو تكلف، فإن ما قاموا به قد أثمر فوائد جمة، فقد ساعد على إبراز ما بين أجزاء القرآن من لحمة متينة، فإن بعضه أخذ بأعناق بعض في تأليف محكم، حاله حال البناء المتين المتلائم الأجزاء، وكالكلمة الواحدة متسق المعاني منتظم المباني، ومن محاسن الكلام عند الأئمة أن يرتبط بعضه ببعض.

كما أعان على الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني، فالمتأمل في لطائف نظم سور الكتاب وفي بدائع ترتيبها - رغم تنجيمها على نيف وعشرين سنة - يتبين أن القرآن مصدره الحكيم الخبير، وأنه إلى جانب إعجازه من ناحية فصاحة ألفاظه وشرف معانيه معجز من جهة ترتيبه ونظم آياته وسوره، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك.

وإن لنا في مناسبات ابن الزبير أقوى دليل على ما قلنا، فقد أبانت من جهة لطائف القرآن وأسراره المودعة في الترتيبات والروابط، وأثبتت من جهة أخرى أن هذا الكتاب لا تنتهي عجائبه، يُفارق على نيف وعشرين سنة وعلى

(١) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ١٥١ - ١٥٢.

(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ١٥٦.

موضوعات عديدة، متقاربة حيناً ومتباينة أحياناً، فيأتي سبيكة واحدة متناسج
الآيات متناسب السور: ﴿كَتَبْنَا أُكْتًا ءَايَاتُنَا ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾
[هود: ١]، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

إن فضيلة هذا العلم لم تقف عند هذا بل تجاوزته إلى تسديد الفهم
بتجلية المفهوم، فالمناسبة لا تقل أهمية عن السبب في الإعانة على فهم
المعنى وتبين حدود الأحكام، ولئن جرت عادة المفسرين البداءة بذكر سبب
النزول فإنهم يقدمون أحياناً ذكر المناسبة كلماً رأوا فيها المصحح الحقيقي
والذي لا غنى عنه لنظم الكلام وإجلاء المعنى.

يقول الزركشي: إذا كان وجه المناسبة لا يتوقف على سبب النزول
فالأولى تقديم وجه المناسبة^(١)، من ذلك أن قوله تعالى في سورة النساء:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] قد نزل في كعب بن
الأشرف^(٢)، وكان من أهل الكتاب قدم مكة وشاهد قتلى بدر وحرص الكفار
على الأخذ بثأرهم وقتال النبي ﷺ فسألوه: من أهدى سبيلاً؟ المؤمنون أم
هم؟ فتملق عواطفهم وقال: بل أنتم أهدى من المؤمنين سبيلاً، وبعد أن
تتعاقب الآيات في حق هذا الرجل وحق من شاركه في مقاتله من أهل الكتاب
يتحول السياق القرآني إلى آية جديدة موضوعها أداء الأمانات إلى أهلها، يقول
تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ويذكر
المفسرون أن هذه الآية نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري^(٣)
حاجب الكعبة، لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح البيت يوم الفتح ثم رده

(١) البرهان للزركشي: ٣٤/١.

(٢) كعب بن الأشرف: (ت ٣هـ) من بني نبهان، شاعر جاهلي دان باليهودية وأدرك
الإسلام فلم يسلم، أكثر من هجو الرسول والصحابه، فأمر الرسول بقتله فقتل. (ابن
الأثير: ٥٣/٢، الروض الأنف: ١٢٣/٢).

(٣) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري: صحابي كان حاجب البيت الحرام، مات
بالمدينة سنة ٤٢هـ (الإصابة. ت ٥٤٤٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٥ - ٩٢، وتفسير ابن كثير: ٥١٥/١.

عليه^(١)، وبين الآية الأولى التي نزلت عقب بدر والثانية التي نزلت عند الفتح ست سنوات فلم قرئنا؟ ولم أعقب هذا الموضوع بذلك رغم البعد الزمني؟

يجد العلماء بين هذين المقطعين رابطاً مشتركاً رغم السنوات الست التي تفصل بينهما، لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول ولا يشترط في المناسبة، إذ المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها^(٢)، فيجعلون منها موضوعاً واحداً محكم البناء متلاحم الأجزاء آخذاً بعضه برقاب بعض، معولين على المناسبة وغير خافلين بالسبب فيقولون: إنّ الذين تملقوا عواطف المشركين وقالوا لهم: أنتم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً، هم أهل كتاب يجدون عندهم في كتابهم بعث النبي وصفته، وقد أخذت عليهم الموائيق ألا يكتموا تلك الأمانة فحانوها ولم يؤدوها، وكانت حالهم في الخيانة كحال الذين يحملون الأمانات ثم لا يحملونها، وناسب أن يدعوا ويدعى معهم كل إنسان إلى استعمار معنى الأمانة في كل ما كان عنه مسؤولاً.

قال ابن العربي: وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد ﷺ، وقولهم: إن المشركين أهدى سبيلاً، فكان ذلك خيانة منهم، فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات^(٣).

ثم إن المناسبة، وإن تقدمت أحياناً على سبب النزول وكانت أقرب إلى ترابط المعنى واكتماله، فإنها كثيراً ما يُشكل وجهها ويتوقف فهمها على معرفة السبب، ولعل هذا ما يعنيه مسلك المحققين في إيجاب البدء بذكر سبب النزول، يقول الزركشي: إذا كان وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول... فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب لأنه حينئذٍ من باب تقديم الوسائل على المقاصد^(٤).

والذي نخلص إليه أن المحققين، وإن ذهبوا مرة إلى تقديم السبب حين لا تتضح المناسبة إلا به، وذهبوا أخرى إلى تقديم المناسبة حين لا يتوقف

(٢) البرهان للزركشي: ٢٦/١.

(١) البرهان للزركشي: ٢٦/١.

(٣) البرهان للزركشي: ٣٤/١.

وجهها على سبب النزول، فإنهم التزموا بهذا وبذاك وجمعوا في تفسير كتاب الله بين السبب التاريخي والسياق الأدبي، فما أغفلوا حقائق التاريخ في اشتراط الزمان لمعرفة سبب النزول، ولا أغفلوا التناسق الفني حين أقصوا فكرة الزمان لمراعاة السياق، وما أكثر الآيات التي نزلت على الأسباب الخاصة ووضعت مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق، وما أكثر السور التي تأخر نزولها وتقدم ترتيبها، والعكس، مراعاة لوجوه المناسبة.

هذه بعض ملامح عن علم المناسبة رأيت من الصالح التمهيد بها لمناسبات ابن الزبير، عليها تعطي فكرة عن هذا العلم الجليل الذي قل فيه التصنيف عامة ونادر منه المطبوع خاصة. والله ولي التوفيق.



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليماً

قال الشيخ الإمام، العالم العَلَم الأوحد الصدر الجليل، المحدث الناقد المحقق، حبر التأويل وكاشف أسرار التنزيل، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي رَحِمَهُ اللهُ... (١).

الحمد لله الحكيم العليم، العلي العظيم، ذي الفضل العميم والجود القديم، الذي ابتدأ الإنسان بالنعم فرادى ومثنى، وخلقه في أحسن تقويم بعد كونه نطفة من منى تُمنى، وخصه بمزية التشريف والتكريم، أهله لتلقي خطابه، وهياه لتحمل فرقانه العزيز وكتابه، وقد قال سبحانه فيه: ﴿وَلَئِنْ فِى أَرْءِ الْكَتَبِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

والصلاة على محمد نبيه المعظم ورسوله المصطفى المكرم، المخصوص بالكتاب، والفتاح لأولي البصائر - بما أيد به من الأعلام الباهرة والحجج القاطعة القاهرة - مستغلق ذلك الباب، فأوضح السبيل للسالك، فلن يهلك على الله بعد بيانه إلا هالك، وأنى بسلوك ذلك الباب لمن حقت عليه كلمة العذاب، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِيرَةٌ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

وبعد، فإنني اعتبرت قوله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» (٢).

(١) جاء في ن ٢: قال الشيخ الفقيه الإمام المحدث المقرئ الأستاذ والعلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي رضي الله عنه وأرضاه.

(٢) البخاري: فضائل القرآن: ٦١، مسلم: إيمان: ٢٣٩.

وتأملت ما أيد به (عليه السلام) ^(١) من المعجزات سوى القرآن، فإذا بضروب لا يحصوها العد، ولا تكاد تنحصر بالحد، وقد قال ﷺ: «وإنما كان الذي أوتيت وحياً» ^(٢) يشير إلى دليل القرآن، وما خص به ﷺ من ساطع ذلك البرهان، وما ذاك إلا لكون (معجزته) ^(٣) أوضح وأحكم، وأهدى وأقوم، فإنما ضمنت إلى - الدلالة والشهادة - إيضاح الطريق وأعلمت (بحال) ^(٤) كل فريق، ثم زادت بنقائنها للمعتبر ومشاهدتها للمذكر، وقد اضطر من (تأخر) ^(٥) فيما سواها للخبر، وليس كالعيان، فله ما أعظمها معجزة باقية مدى الدهور والأزمان، وللمشاهدة حال لا ينكر وتعريف لا يتنكر، وفرق بين ما عرف بالمشاهدة وبين ما علم بالدليل، وحسبك سؤال نبي الله الخليل ^(٦).

فالحمد لله الذي جمع لهذه الأمة الأمرين وخصها بالاعتبارين، فمن معجزات نبينا ﷺ المستوضح اعتباراً بالبيان، والمشاهد حساً بالعيان، وكما أن من تعامى في حياته ﷺ عن نبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من معجزاته ملوم مدحور، ومأزور ^(٧) غير مأجور، فكذلك من تعامى عن آيات الكتاب وكأن لم يقرع أذنه قارع من هذا الباب، ولهذا نبه تعالى بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤]، ويقول: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَّبُوا بِآيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] وجهات اعتباره كثيرة، ولسلف هذه الأمة وخلفها مسالك في ذلك شهيرة.

وإني تأملت منها - بفضل الله - وجوه ارتباطاته وتلاحم سوره وآياته إلى ما يلتحم (مع) ^(٨) هذا القبيل من عجائب شواهد التنزيل، فعلمت في ذلك ما

(١) في ن ٢: صلى الله عليه وسلم.

(٢) البخاري فضائل القرآن: ١، مسلم: إيمان: ٢٣٩.

(٣) في ن ١: معجزاته بالجمع.

(٤) في ن ١: بمال.

(٥) سقط من ن ١.

(٦) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا قَالِ إِنْ هُوَ رَبِّي أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

(٧) مأزور: آثم، أصله موزور من وزر يز، وإنما قالوا مأزور لمكان مأجور قلبت الواو همزة ليألف اللفظان.

انظر لسان العرب: مادة وزر.

(٨) في ن ٢: من.

قدر لي، ثم قطعت بي قواطع الأيام عن تتميم رُؤمي من ذلك وعملي، فاقترضت بحكم الاضطرار في هذا الاختصار على (توجيه)^(١) ترتيب السور، وإن لم أر في هذا الضرب الخاص شيئاً لمن تقدم وغبر، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات، وذلك في الباب أوضح ومجال الكلام فيه أفسح. أما تعلق السور على ما ترتبت في الإمام واتفق عليه الصحابة الأعلام، فمما لم يتعرض له فيما أعلم، ولا قرع أحد هذا الباب ممن تأخر أو تقدم^(٢). فإن صلى أحد بعد فهذه الإقامة، أو أتم فمرتبط حتماً بهذه الإمامة، فإن أنصف فلا بد أن ينشد إذعائاً للحق وإنابة: فلو قبل مبكاها بكت صباية.

(ولما)^(٣) كمل لي بفضل الله الأمل من جليل هذا العمل، غريباً في بابه، رفيعاً في نصابه، (وسمته باسم من اليمن في تأميله، والسعادة في اتباع سبيله، مبقي الرسوم العلمية، وحامي الانتهاجات الدينية، أمير المسلمين، ومستوضح سبيل المتقين، أبو عبد الله ابن أمير المسلمين وناصر الدين، المجاهد في سبيل الله والغالب به لي وبحمد الله، محمد بن يوسف بن نصر^(٤))، نصر الله أخلافهم، وأبقى أيامهم، وأدام بدولتهم النعمة على هذه الأمة.

وبقيامي من خدمتهم بالواجب المفترض، تيسر لي المطلوب بحول الله من هذا الغرض، فوفيته ببركتهم^(٥) (حسن)^(٦) التحرير معدوم النظير، يحصل

(١) في ن ٢: وجوه.

(٢) انظر في هذا المبحث الذي قدمت به الكتاب ص: ٦٦.

(٣) في ن ٢: وقد.

(٤) هو: محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، المتوفى سنة ٦٧١ هـ. جاء في الإحاطة في ترجمة ابن الزبير: ولحق بغرناطة آوياً إلى سلطانها الأمير عبد الله ابن الأمير الغالب بالله بن نصر، فأكرم مثواه وعرف حقه: (الإحاطة: ١٨٨/١).

(٥) ما بين القوسين ساقط من ن ٢. (٦) في ن ٢: موفى.

بمطالعة العلم اليقين، وتفصح بشهادته أن العاقبة للمتقين، (وما هي إلا أنوار
إيمانهم وبركات سلطانهم)^(١)، والله ينفع فيه بالنية ويبلغ من مرضاته الأُمْنِيَّة،
بمنه ويُمنه.

(١) سقط من ن ٢.

باب التعريف بترتيب السور

وهل ذلك بتوقيف من الشارع (عليه السلام) ^(١)؟ أم هو من فعل الصحابة (رضوان الله عليهم) ^(٢)؟.

اعلم أولاً أن ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين، وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه ^(٣).

وكما ثبت في الإمام مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي بعث بنسخه إلى الآفاق، وأطبقت الصحابة على موافقة عثمان في ترتيب سورة وعمله فيه، فذهب مالك والقاضي أبو بكر بن الطيب ^(٤) فيما اعتمده واستقر عليه مذهبه من قوله، والجمهور من العلماء، إلى أن ترتيب السور إنما وقع باجتهاد من الصحابة، وأن رسول الله ﷺ فوض ذلك إلى أمته بعده.

وذهب طائفة من العلماء إلى أن ذلك إنما وقع بتوقيفه ﷺ وأمره، ولكل من الطائفتين جهات تعلق، وكلا القولين - والحمد لله - لا يقدح في الدين ولا يثمر إلا اليقين.

فأقول مستعيناً بالله سبحانه: اعلم أن الأمر في ذلك كيفما قدر فلا بد من رعي للتناسب والتفات للتواصل والتجاذب، فإن كان بتوقيف منه ﷺ فلا مجال للخصم بعد ذلك التحديد الجليل والرسم، وإن كان مما فوض فيه الأمر إلى الأمة بعده فقد أعمل الكل من الصحابة في ذلك جهده، وهم الأملياء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه وفهمه، والعارفون بأسباب نزول الآيات ومواقع الكلمات، وإنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ، وهذا

(١) في ن ٢: صلى الله عليه وسلم. (٢) سقط من ن ٢.

(٣) انظر في ذلك المبحث الذي صدرت به هذا الكتاب: ص ٤٧.

(٤) أبو بكر بن الطيب: تقدمت ترجمته ص ٤٦.

قول مالك رحمه الله في حكاية بعضهم^(١) عنه، ومالك أحد القائلين بأن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين كما تقدم عنه. وكيفما دار الأمر، فمنه رحمه الله عرف ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر. فإذا إنما الخلاف هل ذلك بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي بحيث (بقي)^(٢) لهم فيه مجال للنظر؟ فهذا موضع الخلاف.

فإن قيل: إذا كانوا قد سمعوه منه كما استقر عليه ترتيبه فقيم إذا أعملوا (الأنظار)^(٣)؟ وأي مجاله بقي لهم بعد للاختيار؟

فالجواب: أنا قد رويناه في صحيح مسلم عن حذيفة (رضي الله عنه)^(٤) قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران... الحديث^(٥). فلما كان صلى الله عليه وسلم ربما فعل هذا للتوسعة على الأمة، وبياناً لجليل تلك النعمة، كان محلاً للتوقف، حتى استقر النظر على (رعي)^(٦) ما كان من فعله الأكثر، فهذا محل اجتهادهم في المسألة، والله أعلم.

ثم يشهد لما بنينا كتابنا هذا عليه ما ورد في مصنف ابن أبي شيبة^(٧) عن أناس من أهل المدينة. قال الحكم: أرى فيهم أبا جعفر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة والمنافقون، (فأما سورة الجمعة فيبشر بها المؤمنين ويحرضهم، وأما سورة المنافقين فيؤيس بها المنافقين)^(٨)

(١) حكى ذلك عنه ابن وهب وأخرجه القاضي أبو بكر في الانتصار (انظر الإتيان: ١ / ٨١ - ٨٢).

(٢) في ٢٠: يقي. (٣) في ٢٠: الأفكار.

(٤) سقط من ١٠. (٥) مسلم: مسافرين: ٢٠٣.

(٦) في ٢٠: رأى.

(٧) ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، الكوفي، الحافظ للحديث، صاحب المسند والمصنف، ولد سنة ١٥٩هـ، وتوفي سنة ٢٣٥هـ (التذكرة: ١٨/٢، التهذيب: ٢/٦، تاريخ بغداد: ١٠/٦٦).

(٨) بهامش ١٠.

ويؤيخهم بها^(١). وحكى الخطابي^(٢) أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا (سورة)^(٣) القدر (عقب)^(٤) العلق استدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] إشارة إلى قوله: ﴿أَقْرَأْ﴾. قال القاضي أبو بكر بن العربي^(٥): وهذا بديع (جداً)^(٦).

قلت: ومن ظن ممن اعتمد القول بأن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، أنهم لم يراعوا في ذلك التناسب والاشتباه، فقد سقطت مخاطبته، وإلا فما المراعى وترتيب النزول غير ملحوظ في ذلك بالقطع؟ بل هذا معلوم في ترتيب أي القرآن الواقع ترتيبها بأمره ﷺ وتوقيفه بغير خلاف.

ألا ترى أن سورة البقرة من المدني وقد تقدمت سور القرآن بتوقيفه ﷺ في الصحيح المقطوع به^(٧)، وتقدم المدني على المكي في ترتيب السور والآي كثير جداً، فإذا سقط تعلق (المكان)^(٨) بترتيب النزول لم يبق إلا رعي التناسب والاشتباه، وارتبط النظائر والأشباه. وتدبر بعقلك وضوح ذلك في عدة سور كالأنفال وبراءة، والطلاق والتحريم، والتكوير والانفطار، والضحى وألم نشرح، والفيل وقريش، والمعوذتين، إلى غير هذه السور مما لا يتوقف في وضوحه من له أدنى نظر.

وقد (مال)^(٩) القاضي أبو محمد (عبد الحق)^(١٠) بن عطية^(١١) ﷺ في ترتيب السور إلى القول بالتفصيل، وأن كثيراً من سور القرآن قد كان علم

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ١٤٢/٢، طبعة الهند، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) الخطابي: محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي أبو سليمان، فقيه، محدث، صاحب معالم السنن، وبيان إعجاز القرآن، ولد سنة ٣١٩هـ، وتوفي سنة ٣٨٨هـ.

(٣) في ٢ن: سور.

(٤) في ٢ن: عقب.

(٥) انظر ترجمته: ص ٦٦.

(٦) سقط من ن.

(٧) قال ﷺ: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران». مسلم: مسافرين: ٢٥٣.

(٨) في ٢ن: الضمان.

(٩) في ٢ن: قال.

(١٠) انظر ترجمته: ص ٥٨.

ترتيبها في أيامه ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وأشار كلامه إلى أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون ﷺ فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده، ولم يقطع القاضي أبو محمد في هذا القسم بشيء.

وظواهر الآثار شاهدة بصحة ما ذهب إليه في أكثر مما نص عليه، ويبقى قليل من السور يمكن فيها جري الخلاف أو يكون وقع. وإذا كان مستند المسألة النقل لم يصعب خلاف غير أهله، على أن ما مهدناه في المراعاة في الترتيب حاصل لا محالة على كل قول.

ولنورد بعض ما يشهد بظاهره من الآثار لما قاله القاضي أبو محمد وعلي ما نطنا به^(١)، فمن ذلك قوله ﷺ: اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران، في حديث خرج مسلم وغيره^(٢)، وخرج أيضاً قوله ﷺ: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران»^(٣)، وفي مصنف ابن أبي شيبة^(٤) عن ابن خالد^(٥) قال: صلى (رسول الله) ﷺ بالسبع الطوال في ركعة^(٦)، وفيه: أنه ﷺ كان يجمع المفصل في ركعة^(٧)، وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي^(٨)، فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها، وفي صحيح البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب

(١) كذا في النسختين.

(٢) مسلم: مسافرين: ٢٥٢، أبو داود: ٨٨/١.

(٣) مسلم: مسافرين: ٢٥٣.

(٤) ابن أبي شيبة: تقدمت ترجمته، ص ٨٠.

(٥) في ٢: عن معبد بن خالد: وهو أبو زرعة صحابي من القادة الذين شاركوا في فتح مكة مات سنة ٧٢هـ. (الإصابة: ترجمة ٨٠٩٤).

(٦) بهامش ٢. (٧) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٦٨/١.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٦٨/١.

(٩) البخاري: فضائل القرآن: ٦ - ٤٥ تفسير: ١٨٩/٦. والعتاق والتلاد كناية عن تقادهما في النزول.

الفلق، وقل أعوذ برب الناس... الحديث^(١)، وفي المصنف عن عمر: أنه قرأ في ركعة واحدة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولإيلاف قريش، وروى أنهما في مصحف أبي غير مفصول بينهما بالبسملة^(٢).

قلت: والوارد من هذا عن النبي ﷺ وعن كبار الصحابة قبل كتابة المصحف كثير، ومروي من طرق شتى وفي أحوال مختلفة.

فإن قيل: فقد كان يجب - على ما أشرت إليه - أن يكون القول بالتوقيف أكثر وأشهر، والأمر على خلاف ذلك، فإن مالكا رحمته الله والقاضي أبا بكر من المتكلمين وأكثر أهل العلم قائلون بأن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، وقد مر^(٣).

فالجواب: أن الآثار المستفيضة والمقطوع به منها، إنما ورد ذلك في الأكثر، ولم يرد فيما بين كل سورتين سورتين، ولا شك أنه إذا بقي بعض ذلك لاجتهادهم ولو فيما بين سورتين، جرى القول المشهور عليه، وصح اعتماده. (ثم إن الآثار إنما وردت)^(٤) بفعل لا بقول أو أمر يحصل منه التوقيف، فإذا قد آل الأمر إلى أن تلك الآثار هي مستند اجتهادهم وأصل اتفاقهم، وهذا ما أراده مالك رحمته الله بقوله: وإنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ، وهذا القدر كاف في المقصود (والحمد لله رب العالمين)^(٥).

سورة أم القرآن

قد ذكر الناس كيفية تضمنها مجملاً لما تفصل في الكتاب العزيز بجملته، وهو أوضح وجه في تقدمها سورة المكرمة، ثم (هي)^(٦) مما يلزم

(١) البخاري: طب: ٣٩. الترمذي تفسير: ٣٤٧/٩ من تحفة الأحوزي.

(٢) مقدمة المؤلف: ص ٧٩.

(٣) فتح الباري: ٧٣٠/٨.

(٤) سقط من ن ١.

(٥) في ن ٢: وقعت.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٦٥/٤، الكشف للزمخشري: ٤/١، البيضاوي: ١/

٣٥ بحاشية الشهاب.

المسلم حفظه، ولا بد للمصلي من قراءتها، ثم افتتاحها بحمد الله سبحانه، وقد شرع في ابتداءات الأمور، وأوضح الشرع فضل ذلك، وأخذ به كل خطيب ومتكلم، وفيها تعقيب الحمد (له) ^(١) سبحانه بذكر صفاته الحسنى، والإشارة إلى إرسال الرسل في قوله: ﴿أَهْدِنَا﴾ [الفاتحة: ٦]، وقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وقد قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْئِدَةً﴾ [الأنعام: ٩٠]، وذكر افتراق الخلق بذكر المهتدين وذكر المغضوب عليهم والضالين، وأن ملاك الهدى بيده: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وهذا كله أشفى شيء في بيان (وجه) ^(٢) التقديم ^(٣).

سورة البقرة

لما قال العبد بتوفيق ربه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] قيل له: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، هو مطلوبك وفيه أربك ^(٤)، وهو الصراط المستقيم، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] القائلين: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ [الفاتحة: ٦] ^(٥) والخائفين من حال الفريقين المغضوب عليهم والضالين، فاتخذوا وقاية من العذاب خوف ربهم وتقواه، بامثال أمره ونهيه.

ثم أشير من الأعمال إلى ما (يستجِر) ^(٦) سائرهما من قبلي البدنيات والماليات بياناً للصراط المستقيم، ف قيل في وصف المتقين: إنهم ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وحصل من هذا حصر الفعل والترك الضابطين لجميع الأعمال كيفما تشعبت كما مهد في التفسير عند ضم ما ورد هنا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ووقع الفعل صريحاً والترك

(١) في ن ٢: لله.

(٢) سقط من ٢.

(٣) وقد قال الحسن البصري: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، وقد أودع علوم القرآن في المفضل، ثم أودع علوم المفضل في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٨٧/٢ و).

(٤) أرب: الأرب: الحاجة والغاية ويجمع على آراب.

(٥) الصراط: ساقط من ١٠. (٦) في ن ٢: يستحق.

إيماء للتناسب المبين حين ذكر، ثم بين لهم قدر النعمة عليهم في طلب الهدى من الله في قولهم: اهدنا^(١) فقليل: ﴿إِنَّ الَّذِي كَفَرُوا...﴾ [البقرة: ٦] ليعلموا أن الهدى من عنده فيلحوا في الطلب ويتبرؤوا من ادعاء حول أو قوة. ثم نُبِّهوا على الإخلاص، وأن يكون قولهم: «إهدنا» صادراً عن يقين وإخلاص، حتى لا يشبهوا من يقول: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وبسط لهم من حال هؤلاء في ثلاث عشرة آية^(٢) ما يوضح لهم طريق الهدى الواضح إذا حذروا من (شكوك)^(٣) هؤلاء وحيرتهم فقالوا: اهدنا عن يقين وإخلاص.

ثم أعقب ذلك بذكر الدلائل المشاهدة^(٤): من جعل الأرض فراشاً والسماء بناء، وإنزال الماء، وإخراج النبات، وذلك كله أمر مشاهد يصل إليه كل عاقل بأول وهلة، ثم أعقب بابتداء الخلق، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، (وذلك كله)^(٥) مبين لقوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] إذ من البداية تعلم العودة لمن تدبر، وقد نبه تعالى بتكرار النبات.

ثم ذكر أحوال بني إسرائيل وإمهالهم على مرتكباتهم، ومعاملتهم بالعفو والإقالة^(٦)، وذلك مبين سعة رحمته، وأعلم تعالى أن أفعالهم تلك مما أعقبهم أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، تحذيراً لمن طلب سلوك الطريق المستقيم من حالهم، وإعلاماً لعباده أن المتقين المستجاب لهم عند قولهم: «إهدنا» ليسوا في شيء من ذلك، لأنهم قالوا: اهدنا عن يقين وإخلاص متبرئين من الدعاوى.

ثم أعقب تعالى تفصيل أحوال هؤلاء بقوله: ﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَهِكُمْ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] ليبين أحوال المصطفين من أهل الصراط المستقيم، فأنبا

(١) سورة الفاتحة: آية ٦.

(٢) إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الشَّكَّاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

(٣) في ن ٢: شكك.

(٤) بداية من الآية ٢١ من سورة البقرة.

(٥) سقط من ن ١.

تعالى بحال إبراهيم وإتمامه ما ابتلاه به من غير توقف ولا بحث عن علة، وهي أسنى أحوال العباد. وفي طرف من حال من قدم من بني إسرائيل، وهذا الموضع مما يعضد ما ظهر في قصة أمر بني إسرائيل بذبح البقرة من وجوه الحكمة، فتوقفوا وشددوا بعد إساءتهم الأدب مع نبيهم، فأورثهم ذلك نكالا وبعداً، فالصراط المستقيم حال إبراهيم عليه السلام ومن ذكر من الأنبياء والرسل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهم المنعم عليهم.

ثم أعقب ذلك بما نسبوا لإبراهيم وبنيه المصطفين بعد أن بين حاله فقال: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ...﴾ الآية [البقرة: ١٤٠]، وبين فساد اليهودية والنصرانية، وبراً نبيه إبراهيم والأنبياء عن ذلك، وأوضح أن الصراط المستقيم هو ما كانوا عليه لا اليهودية ولا النصرانية.

ثم ذكّرهم بوحدانيته تعالى فقال: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الذِّبِّ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، (وبين^(١)) سوء حال المشركين: وأنهم لاحقون باليهود والنصارى في انحرافهم عن الصراط المستقيم وحيدتهم (عن^(٢)) الجادة، ووقع تنبيه هؤلاء بدون ما تضمنه تنبيه بني إسرائيل من التفرع والتوبيخ لفرقان ما بينهم، لأن كفر (أولئك)^(٣) تعنيت بعد مشاهدة الآيات: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، ومتى بين (شيء)^(٤) في الكتاب العزيز من أحوال النصراني فليس على ما ورد من مثله في بني إسرائيل لما ذكر، وخطاب مشركي العرب - فيما أشير إليه - دون خطاب الفريقين، إذ قد تقدم لهم ما لم يتقدم للعرب، وبشروا في كتبهم، وليس لمشركي العرب كتاب، والزيف عن الهدى شامل للكل، وليسوا في شيء من الصراط المستقيم، مع أن أسوأ الأحوال حال من أضله الله على علم: ﴿وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وهنا انتهى ذكر ما حذر منه ونهي عنه من أراد سلوك الصراط المستقيم، وبيان حال من حاد عنه وتنكبه وظن أنه على شيء.

(١) بهامش ن ٢.

(٢) سقط من ن ٢ وحيدتهم عن الجادة: مجانبتهما والميلان والعدول عنها (لسان العرب: مادة حيد).

(٤) سقط من ن ١.

(٣) في ن ٢: هؤلاء.

وضمّ مفترق أصناف الزائغين في أصناف ثلاثة، وهم اليهود والنصارى وأهل الشرك، وبهم يلحق سائر من تنكب، فيلحق باليهود منافقو أمتنا ممن ارتاب بعد إظهار إيمانه، وفعل أفاعيلهم من المكر والخديعة والاستهزاء، ويلحق بالنصارى من اتصف بأحوالهم، وبالمشركين من جعل لله ندّاً، واعتقد فعلاً لغيره تعالى على غير طريقة الكسب^(١)، والمجوس لاحقون بأهل الشرك. والشرك أكثر هذه الطرق السيئة تشعباً، ولهذا قال ﷺ: «الشرك أخفى من دبيب النمل»^(٢)، ومن فعل أفعال من ذكر ولم ينته به الأمر إلى مفارقة دينه والخروج في شيء من اعتقاده خيف عليه أن يكون ذلك وسيلة إلى اللحق بمن تشبه به، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً...»^(٣)، إلى أشباه هذا من الأحاديث.

ثم ذكر تعالى في أول آية: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِالْإِيمَانِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ما (لزم)^(٤) المتقين، لما بين لهم ما هو خروج عن الصراط المستقيم وحذروا (منه)^(٥) أعقب بذكر ما يلزمهم، فابتدئ من هنا بذكر الأحكام إلى قوله: ﴿وَأَمَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] خاتمة السورة. وفصل لهم كثيراً مما كلفوه، فذكر الإيمان، وفصل تفصيلاً لم يتقدم، وأعقب بذكر الصدقة وموقعها على التفصيل، وفي ذكر إتيان المال (عقيب)^(٦) (الإيمان)^(٧) إشعار بما فيه السلامة من فتنة المال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وإشارة من الآية إلى أنه يبعد حب المال بل استحيل وجوده ممن أحب الله سبحانه، وأن محبة الله تعالى تهون عليه كل شيء: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿لَا تَسْأَلْكَ رِزْقاً﴾ [طه: ١٣٢].

ثم ذكر الزكاة والصيام والحج والجهاد، إلى غير ذلك من الأحكام كالنكاح والطلاق والعدة والحيض والرضاع والحدود والربا والبيع، إلى ما تخلل هذه الآيات من تفاصيل الأحكام ومجملها. وقدم منها الوفاء بالعهد

(١) يشير إلى القدرية والمعتزلة الذين قالوا بخلق العبد لأفعاله.

(٢) مسند أحمد ٤/٤٠٣.

(٣) سنن النسائي: إيمان ٢٠.

(٤) في ن ١: الزم.

(٥) في ن ٢: عقب.

(٦) في ن ١: الحال.

والصبر لأن ذلك يحتاج إليه في كل الأعمال، وما تخلل هذه الآيات من لدن قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى قوله: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] مما ليس من قبيل الإلزام والتكليف فلسبب أوجب ذكره، ولتعلق استدعاه.

ولما بين سبحانه أن الكتاب هو الصراط المستقيم، وذكر افتراق الأمم كما شاء، تناول أحوال الزائغين والمتكبين تحذيراً من حالهم، ونهياً عن مرتكبيهم، وحصر قبيل المتروك بجملته، وانحصار التاركين، وأعقب بذكر مستلزمات المتقين وما ينبغي لهم امتثاله والأخذ به من الأوامر والأحكام والحدود، أعقب ذلك بأن الإيمان يجب أن ينطوي على ذلك، وأن يسلم الأمر لمالكه، فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ...﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فأعلم أن هذا إيمان الرسول ومن كان معه على إيمانه، وأنهم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥] لا كقول بني إسرائيل: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦] وأنه أثابهم على إيمانهم برفع الإصر والمشقة والمؤاخذه بالخطأ والنسيان عنهم فقال: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فحصل من (السورة)^(١) بأسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذاً وتركاً، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه، وكان العباد لما علموا أن يقولوا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] إلى آخر السورة قيل لهم: عليكم بالكتاب إجابة لسؤالهم، ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوه، فكان قد قيل لهم: أهل الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين من أمرهم ومن شأنهم...، والمغضوب عليهم من المتكبين هم اليهود الذين من أمرهم ومن شأنهم...، والضالون هم النصارى الذين من أمرهم ومن شأنهم...، فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم أن يحذر ما أصاب هؤلاء مما نبه عليه، من أن يأخذ نفسه بكذا وكذا. وأن ينسحب (إيمانه)^(٢) على كل ذلك، وأن يسلم الأمر لله الذي

(١) في ن ٢: هذه.

(٢) في ن ٢: بإيمانه.

(يطلب)^(١) منه الهداية، ويتضرع إليه بأن لا يؤاخذ به بما يثمره النسيان والخطأ، وأن لا يُحتمله ما ليس في وسعه، وأن يعفو عنه، إلى آخر السؤال.

سورة آل عمران

اتصالها بسورة البقرة - والله أعلم - من جهات:

إحدهما: ما يتبين في صدر السورة مما هو إحالة على ما ضمن في سورة البقرة بأسرها.

ثم الإشارة في صدر السورة أيضاً إلى أن الصراط المستقيم قد بُيِّنَ شأنه - لمن تقدم - في كتبهم، وأن هذا جاء مصداقاً لها: ﴿رَزَقَكَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ﴾ [آل عمران: ٣، ٤]، ليبين لأمة محمد - عليه الصلاة والسلام - أن من تقدمهم قد بُيِّنَ لهم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَمُوتَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

والثالثة^(٢): قصة عيسى عليه السلام، وابتداء أمره من غير أب، والاعتبار به نظير الاعتبار بآدم عليه السلام، ولهذا أشار قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩]، (كما)^(٣) أتبع قصة آدم بذكر بني إسرائيل لوقوفهم من تلك القصة على ما لم تكن العرب تعرفه، وأنذروا وحذروا، وأتبع أيضاً قصة عيسى عليه السلام بذكر الحواريين وأمر النصارى إلى آية المباهلة^(٤) حسب ما ييسر بعد.

ولنبين وجه الاتصال من صدر السورة فأقول - مستعيناً بالله -: إن قوله سبحانه: ﴿رَزَقَكَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٣] بيان لحال الكتاب الذي هو هدى للمتقين. لما بين افتراق الأمم بحسب السابقة إلى أصناف ثلاثة، وذكر من

(١) في ن: ١: طلب.

(٢) لم يقع النص على الثانية وربما هي عند قوله: «ثم الإشارة في صدر السورة» بالسطر الرابع.

(٣) في ن: ١: ثم لما.

(٤) سورة آل عمران: آية ٦١.

تَغْنِيتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَوْقُفُهُمْ مَا تَقْدُمُ، أَخْبَرَ تَعَالَى هُنَا أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ وَأَنْزَلَ بَعْدَهُ الْإِنْجِيلَ، كُلُّ ذَلِكَ هَدًى لِمَنْ وَفَّقَ، ثُمَّ أَشَارَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ٥]، إِلَى مَا تَقْدُمُ مِنْ تَفْصِيلِ أَخْبَارِهِمْ، فَكَانَ الْكَلَامُ فِي قُوَّةٍ أَنْ لَوْ قِيلَ: أَتَخْفَى عَلَيْهِ مَرْتَكِبَاتُ الْعِبَادِ وَهُوَ مَصُورُهُمْ فِي الْأَرْحَامِ وَالْمَطْلَعُ عَلَيْهِمْ حَيْثُ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُ؟.

ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ الْكَلَامُ هُنَا كَأَن قَدْ قِيلَ: فَكَيْفَ طَرَأَ عَلَيْهِمْ مَعَ وَجُودِ الْكِتَابِ؟

فَأَخْبَرَ تَعَالَى بِشَأْنِ الْكِتَابِ، أَنَّهُ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَكَذَا غَيْرُهُ مِنَ الْكُتُبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَحَالَ أَهْلُ التَّوْفِيقِ تَحْكِيمَ الْمُحْكَمِ، وَحَالَ أَهْلُ الزَّيْغِ اتِّبَاعَ الْمُتَشَابِهِ وَالتَّعَلُّقَ بِهِ، وَهَذَا بَيَانٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، وَكُلُّ هَذَا بَيَانٌ لَكُونِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ أَعْظَمَ فَرْقَانًا وَأَوْضَحَ بَيَانًا، إِذْ قَدْ أَوْضَحَ أَحْوَالَ الْمُخْتَلَفِينَ وَمَنْ أَيْنَ أَتَى عَلَيْهِمْ مَعَ وَجُودِ (الْكِتَابِ)^(١)، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ تَنْبِيهُ الْعِبَادِ عَلَى عَجْزِهِمْ وَعَدَمِ (اسْتِدَادِهِمْ)^(٢) لَثَلَا يَغْتَرَّ الْغَافِلُ فَيَقُولُ: مَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَوُضُوحِ الْأَمْرِ لَا طَرِيقَ إِلَى تَنْكِبِ الصِّرَاطِ، فَنَبِهُوا حِينَ عَلَّمُوا الدَّعَاءَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ثُمَّ كَرَّرَ تَنْبِيهِهُمْ لَشِدَّةِ الْحَاجَةِ لِيَذْكَرَ هَذَا أَبَدًا، فَفِيهِ مَعْظَمُ الْبَيَانِ، وَمِنْهُ يَنْشَأُ الشَّرْكُ الْأَكْبَرُ، إِذْ اعْتَقَادُ الْاسْتِدَادِ بِالْأَفْعَالِ إِخْرَاجُ لِنُصْفِ الْمَوْجُودَاتِ عَنْ يَدِ بَارِئِهَا: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]^(٣).

فَمِنْ التَّنْبِيهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [آل عمران: ٤]، وَمِنْهُ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، وَمِنْهُ: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، إِلَى خَتَامِهَا. هَذَا مِنْ جَلِيِّ التَّنْبِيهِ وَمُحْكَمِهِ، وَمِمَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَيَحْرُزُ مَعْنَاهُ بَعْدَ اعْتِبَارِهِ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَحْدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فَمِنْ رَأْيِ الْفِعْلِ أَوْ بَعْضِهِ لَغَيْرِهِ تَعَالَى حَقِيقَةُ فَقَدْ قَالَ

(١) فِي ن ١: الْكِتَابِ.

(٢) فِي ن ٢: اسْتِدَادَهُمْ.

(٣) وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى الْقُدْرَةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْعَبْدِ لِأَفْعَالِهِ.

بإلهية غيره، ثم حذروا أشد التحذير لما بين لهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [آل عمران: ٤]، ثم ارتبطت الآيات إلى آخرها.

سورة النساء

لما تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق وإيجاد آدم ﷺ من غير أب ولا أم، وأعقبت بسورة آل عمران لتضمنها مع ما ذكر في صدرها أمر عيسى ﷺ، وأنه كمثل آدم في عدم الافتقار إلى أب، وعلم الموقنون من ذلك أنه تعالى لو شاء لكانت في من بعد آدم ﷺ فكان سائر الحيوان لا يتوقف على أبوين، أو كأن يكون كعيسى ﷺ لا يتوقف إلا على أم فقط، أعلم سبحانه بأن من عدا المذكورين ﷺ من ذرية آدم سبيلهم (بسببية الأبوين)^(١)، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُؤُا رُكْبَمُ...﴾ [النساء: ١] إلى قوله: ﴿وَيَكُفُّ مِنْهَا رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، ثم أعلم تعالى بكيفية النكاح المجعول سبباً في التناسل^(٢) وما يتعلق به وبين حكم الأرحام والمواريث^(٣).

وتضمنت السورة ابتداء الأمر وانتهاءه، فأعلمنا بكيفية التناكح وصورة الاعتصام، واحترام بعضنا لبعض، وكيفية تناول الإصلاح فيما بين الزوجين عند التشاجر والشقاق، وبين لنا ما ينكح وما لا ينكح، وما أبيح من العدد، وحكم من لم يجد الطول، وما يتعلق بهذا إلى المواريث، وفصل ذلك كله إلا الطلاق، لأن أحكامه قد تقدمت، ولأن بناء هذه السورة على التواصل والائتلاف، ورعي حقوق ذوي الأرحام، وحفظ ذلك كله إلى حالة الموت المكتوب علينا، وناسب هذا المقصود من التواصل والألفة ما افتتحت به السورة من قوله تعالى: ﴿أَتْفُؤُا رُكْبَمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، (افتتحت)^(٤) بالائتام والوصلة، ولهذا خصت من حكم تشاجر

(١) في ن ٢: سبيل أبوين.

(٢) بداية من الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣].

(٣) في قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾... الآيات [النساء: ٧].

(٤) سقط من ن ٢.

الزوجين بالإعلام بصورة الإصلاح والمعدلة إبقاء لذلك التواصل، فلم يكن الطلاق ليناسب هذا، فلم يقع هنا له ذكر (إلا)^(١) إيماء في قوله: ﴿وَأِنْ يَنْفَرَا يَحْتَسِبْ﴾ [النساء: ١٣٠] ولكثرة ما يعرض من رعي حظوظ النفوس عند الزوجية ومع القرابة، ويدق ذلك ويغضض، لذلك تكرر كثيراً في هذه السورة الأمر بالاتقاء^(٢)، وبه افتتحت، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [النساء: ١]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُورُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

ثم حذروا من حال من صمم على الكفر وحال اليهود والنصارى والمنافقين وذوي القلب في الأديان بعداً عن اليقين، وكل ذلك تأكيد لما أمروا به من الاتقاء، والتحمت (الآي)^(٣) إلى الختم بالكلالة في الموارث المتقدمة.

سورة المائدة

لما بين تعالى حال أهل الصراط المستقيم ومن تنكب^(٤) عن نهجهم، ومآل الفريقين من المغضوب عليهم والضالين، وبيّن لعباده المتقين ما فيه هداهم وبه خلاصهم أخذاً وتركاً، وحصل طي ذلك الأسهم الثمانية الواردة في حديث حذيفة من قوله: الإسلام ثمانية أسهم: الشهادة سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، والحج سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له^(٥)، وقال ﷺ: بني الإسلام على خمس^(٦)، وقد تحصلت، وتحصل مما تقدم أيضاً أن أسوأ حال المخالفين حال من غضب الله عليه ولعنه، وأن ذلك ببغيهم وعدوانهم ونقضهم العهد، ﴿فَيَوْمَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَكُنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وكان النقص يشمل كل

(١) في ٢: ولار.

(٢) في الأصل: (للك ما)، ومثله في نظم الدرر للبقاعي (١٩٢/٥)، فيما نقله عن ابن الزبير، وقد أسقطها المعلق هناك ليستقيم الكلام.

(٣) في ٢: الآيات.

(٤) تنكب عن الشيء: عدل وحاد عنه، ولأه منكبه وأقبل على غيره.

(٥) مسند الطيالسي حديث رقم ٤١٣. (٦) البخاري: إيمان: ٢/١.

مخالفة، قال تعالى لعباده المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، لأن اليهود والنصارى إنما أتى عليهم من عدم الوفاء ونقض العهود، فحذر المؤمنون، ولهذا الغرض - والله أعلم - ذكر هنا العهد المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ...﴾ [المائدة: ١٢]، إلى قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢].

ثم بيّن نقضهم، وبناء اللعنة وكل محنة ابتلوا بها عليه، فقال: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وذكر تعالى عهد الآخرين، فقال جل وعز: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا فَكَّرْنَا بِمِيثَاقِهِمْ...﴾ [المائدة: ١٤]، ثم ذكر تعالى للمؤمنين أفعال الفريقين ليتبين لهم فيما نقضوا، ثم بين تفاوتهم في البعد عن الاستجابة، فقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً...﴾ الآية [المائدة: ٨٢]، ثم نصح عباده، وبين لهم أبواباً، منها: دخول الامتحان، وهي سبب في كل ابتلاء، فقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَقْتَدِرُوا﴾ [المائدة: ٨٧] فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم شارعين لأنفسكم وظالمين، وأعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْفَرْ وَالْيَسِيرُ...﴾ [المائدة: ٩٠] الآية، ثم قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَفَّةَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ...﴾ الآية [المائدة: ٩٧]، فنبه على سوء العاقبة في تتبع البحث عن التعليل، وطلب الوقوف على ما تعليله مما استأثر الله بعلمه، ومن هذا الباب أتى على بني إسرائيل في أمر البقرة وغير ذلك، وجعل هذا التنبيه إيماء، ثم أعقب بما يفسره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ...﴾ [المائدة: ١٠١] ووعظهم بحال غيرهم، وأنهم سألوا (فجروا) (١)، ثم امتحنوا، وقد كان التسليم أولى لهم، فقال تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠٢].

ثم عرّف عباده أنهم إذا استقاموا فلن يضرهم خذلان غيرهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فلما طالب تعالى المؤمنين بالوفاء

(١) في ن ٢: فخبروا.

فيما نقض فيه خيرهم، وذكرهم ببعض ما وقع فيه النقض (وما أعقب)^(١) ذلك فاعله، وأعلمهم بثمرة التزام التسليم والامتثال، أراهم جل وتعالى ثمرة الوفاء وعاقبته، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] إلى قوله: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰلِحِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، إلى آخر السورة.

فحصل من جملتها الأمر بالوفاء فيما تقدمها، وحال من حاد ونقض، وعاقبة من وفى، وأنهم الصادقون، وقد أمرنا أن نكون معهم فقال تعالى: ﴿يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰلِحِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

سورة الانعام

لَمَّا بَيْنَ سُبْحَانَهُ (لعباده)^(٢) (مآل)^(٣) المتقين وهو الصراط المستقيم، وأوضح تعالى ما يحذرون من جانبي الأخذ والترك، وبين حال من تنكب عنه ممن كان قد تلمحه وهم اليهود والنصارى، وكونهم لم يلزموا الوفاء وحادوا عما أنهج لهم، وأنقص أمر الفريقين ذمّاً لحالهم وبياناً لنقضهم وتحذيراً للمتقين أن يصيبهم ما أصابهم، وختم ذلك ببيان حال الموقنين في القيامة، ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصّٰلِحِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقد كان انجر مع ذلك ذكر مشركي العرب، وصممهم عن الداعي، وعمامهم عن الآيات فكانوا أشبه بالبهائم منهم بالأناسي، أعقب تعالى ذلك بالإشارة إلى طائفة أومأت إلى الاعتبار والنظر فلم توفق لإصابة الحق، وقصرت عن الاستضاءة بأنوار الهدى، وليسوا ممن يرجع إلى شريعة قد حرّفت وغيّرت، بل هم في صورة من همّ أن يهتدي بهدي الفطرة ويستدل بما بسط تعالى في المخلوقات، فلم يمعن النظر ولم يوفق فضلاً، وهم المجوس وسائر (الثنوية)^(٤)، ثم كان قصارى أمره نسبة الفعل إلى النور والإظلام، ولم

(١) في ن ٢: وما أعجب.

(٢) سقط من ن ٢.

(٣) في ن ٢: حال.

(٤) الثنوية: يجعلون الأفعال بين فاعلين، الخير من الثور والشر من الظلمة ويعبدون من أجل ذلك التيرات (الملل والنحل: ٩٢).

يكن تقدم لهؤلاء ذكر ولا إخبار بحال، فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، فبدأ تعالى بذكر خلق السماوات والأرض التي عنها وجد النور والظلمة، إذ الظلمة ظلال هذه الأجرام، والنور عن أجرام نيرة محمولة فيها، وهي الشمس والقمر والنجوم، فكأن الكلام (في قوة)^(١) الحمد لله الذي أوضح الأمر لمن اعتبر واستبصر، فعلم أن وجود النور والظلمة متوقف بحكم السببية التي شاءها تعالى على وجود أجرام السماوات والأرض وما أودع فيها.

ومع بيان الأمر في ذلك حاد عنه من عمي عن الاستبصار: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُ لَوْ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [المائدة: ٢] مما يزيد هذا المعنى وضوحاً، فإنه تعالى ذكر أصلنا والمادة التي عنها أوجدنا، كما ذكر للنور والظلمة ما هو كالمادة، وهو وجود السماوات والأرض وأشعر لفظ: «جعل» بتوقف الوجود - بحسب المشيئة - على ما ذكر، فكأن قد قيل: أي فرق بين وجود النور والظلمة عن وجود السماوات والأرض، وبين وجودكم عن الطين، حتى يقع امتراء^(٢) فتدعى نسبة الإيجاد إلى النور والظلمة وهما لم يوجد إلا بعد مادة (وسبب)^(٣)، كما طرأ في إيجادكم؟ فالأمر في ذلك أوضح شيء، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

ثم مرت السورة من أولها إلى آخرها منبهة على بسط الدلالات^(٤) في الموجودات، مع التنبيه على أن ذلك لا يصل إلى استثمار فائدته إلا من هدي بحسب السابقة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، ثم قال تعالى: ﴿وَالْمَوْقِفُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦] وهو - والله أعلم - من نمط: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، (أجمل هنا)^(٥) ثم فسر بعد في

(١) سقط من ن ٢.

(٢) الامتراء في الشيء الشك فيه وكذلك التماري، لسان العرب: مادة مرأ.

(٣) في ن ٢: أو سبب.

(٤) في ن ١: الدلالة، بالإفراد.

(٥) في ن ٢: اجملهما.

السورة بعينها، والمراد أن من الخلق من جعله الله سامعاً متيقظاً معتبراً بأول وهلة، وقد أرى سبحانه المثال من ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]، فكانه يقول لعباده المتقين: تعالوا فانهجوا طريق الاعتبار ملة أبيكم إبراهيم كيف نظر عليه السلام نظر السامع المتيقظ، فلم يُعْرَج في أول نظره على مَا سَبَّب وجوده بَيِّنٌ، فيحتاج فيه إلى فرض ما فرض في الكوكب والقمر والشمس، بل نظر فيما عنه صدور النور لا في النور. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦] فتأمل كونه عليه السلام لم يُطَوِّل النظر بالتفات النور، ثم كان يرجع إلى اعتبار الجرم الذي عنه النور، بل لما رأى النور عن أجرام سماوية تأمل تلك الأجرام، وما قام بها من الصفات فرأى الأفول والطلوع والانتقال والتقلب فقال: هذا لا يليق بالربوبية لأنها صفات حدوث، ثم رَفَى النظر إلى القمر والشمس فرأى ذلك الحكم جاريّاً فيهما، فحكم بأن وراءها مدبراً لها يتنزه عن الانتقال والغيبة والأفول فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وخص عليه السلام ذكر هذين لحملهما أجرام النور وسبيتهما في وجود الظلمة.

ثم تأمل هذا النظر منه عليه السلام، وكيف خص بالاعتبار أشرف الوجودين وأعلامهما، فكان في قلبك وجهان من الحكمة:

أحدهما: علو النظر ونفوذ البصيرة في الأشرف الذي إذا بان فيه الأمر فهو فيما سواه أبين، فجمع بين قرب التناول وعلو التهدي.

الوجه الثاني: التناسب بين حال الناظر والمنظور فيه، والتفاوت والجري على الفطرة العلية، وهو من قبيل أخذ نبينا عليه السلام اللبن حين عرض عليه اللبن والخمر، فاختر اللبن فليل له اخترت الفطرة، فكان قد قيل: هذا النظر والاعتبار (يا نيام)^(١)، لا نظر من أخلد إلى الأرض فعبد الضياء والظلام.

وينبغي أن يعتمد في قصة إبراهيم عليه السلام في هذا الاعتبار أنه عليه السلام في قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨] إنما قصد قطع حجة من عبد شيئاً من ذلك، إذ

(١) في ٢٥: بالهام.

كان دين قومه، فبسط لهم الاعتبار والدلالة، وأخذ يعرض ما قد تنزه قدره عن الميل إليه، فهو كما يقول المناظر لمن يناظره: هب أن هذا على ما تقول، يريد بذلك إذعان خصمه (المنكر)^(١)، واستدناءه للاعتبار حتى يكون غير منافر له، (فيسلم له)^(٢) ما لا يعتقده ليبنى على ذلك مقصوده، ليقلع خصمه وهو على يقين من أمره، فهذا ما ينبغي أن يعتمد هنا لقول يوسف عليه السلام: ﴿مَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، فالعصمة قد اكتنفتهم عما يتوهمه المبطلون ويتقوله المفترون، ويشهد لما قلناه قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

فهذه حال من علت درجته من الذين يسمعون، فمن الخلق من جعله الله سامعاً بأول وهلة، وهذا مثال شاف في ذلك، ومنهم الميت، والموتى على ضربين: منهم من يزاح عن جهله وعمه، ومنهم من يبقى في ظلماته ميتاً لا حراك به، يبرز ذلك كله قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ...﴾ [الأنعام: ١٢٢] إلى قوله: ﴿كَمْ مَثَلٌ﴾^(٣) في الظلمات ليس بخارج منها^(٤) [الأنعام: ١٢٢].

ولما كانت السورة مضمنة جهات (من)^(٥) الاعتبار، ومحركة إلى النظر، ومعلنة من مجموع آيها أن المعبر والمتأمل - وإن لم (يكن)^(٥) متيقظاً بأول وهلة، ولا سامعاً أول محرك، ولا مستجيباً لأول سامع - قد تنقل حاله عن جموده وغفلته إلى أن يسمع ويلحق بمن كان (تيقظه بأول)^(٦) وهلة، مناسب تحريك العباد وأمرهم بالنظر أن تقع الإشارة في صدر السورة إلى حالتين: حالة السامعين لأول وهلة، وحالة السامعين في ثاني حال، فقيل: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦]، ولم يقع هنا إشارة إلى القسم الثالث مع العلم به، وهو الباقي على هموده وموته، ممن لم يحركه زاجر ولا واعظ ولا اعتبار، وكأن هذا الضرب لو ذكر هنا لكان فيه ما يكسل

-
- | | |
|----------------|-------------------------|
| (١) سقط من ٢٠. | (٢) سقط من ٢٠. |
| (٣) بهامش ٢٠. | (٤) سقط من ٢٠. |
| (٥) بهامش ٢٠. | (٦) في ٢٠: يتقظ في أول. |

من ضعفت همته (وجفت)^(١) حالة ابتدائه ف قيل : ﴿وَالْمَوْقُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦]، وأطلق القول ليعمل الكل على هذا البعث من الجهل والتيقظ من سنة الغفلة، كما دعي الكل إلى الله دعاء واحداً ف قيل : ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ثم اختلفوا في إجابة الداعي بحسب السوابق، فهكذا ورد (في)^(٢) هذا : ﴿وَالْمَوْقُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦] إسماعاً للكل، وفي صورة التساوي مناسبة للدعاء لتقوم الحجة على العباد حتى إذا انبسطت الدلائل وانشرحت الصدور لتلقيها، وتشبثت النفوس وتعلقت بحسب ما قدر، وفاز بالخير أهله، قال تعالى بعد آي : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وكأن قد قيل لمن انتقل عن حالة الموت فرأى قدر نعمة الله عليه بإحيائه: هل تشبه الآن حالك النيرة بما منحت حين اعتبرت بحالك الجمادية، فاشكر ربك، واضرع إليه في طلب الزيادة، واتعظ بحال من لزم حالة موته، فلم تغن عنه الآيات، وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿كَمْ مَثَلٌ فِي الْأَفْطُلَمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧]، ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَهُنَّ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْتَوَقُّ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

وكان القسم المتقدم الذي سمع لأول وهلة لم يكن ليقع ذكره هنا من جهة قصد إراءة قدر هذه النعمة وإنقاذ المتصف بها من حيرة شكه موقعها فيما تقدم من قوله : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، فذكر هنا ما هو واقع في إراءة قدر نعمة الإنقاذ والتخليص من عمى الجهل، وهو حال من انتقل بتوفيق ربه من حال من بقي على موته، أو الضربان قد شملهما قوله تعالى : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أما الثاني وهو الذي تبينت فيه صورة النقل فأمره صريح من الآية، وأما الضرب الأول وهو السامع لأول وهلة (المكفي)^(٣) المؤونة بواقي العصمة من طوارق الجهل والشكوك، فدخوله

(٢) سقط من ن.

(١) في ن: رجعت.

(٣) في ن: مكفي.

تحت مقتضى هذا اللفظ من حيث إن وقايتة تلك وسماعه بأول وهلة ليس من جهته، ولا بما هو (إنسان)^(١) أو (مكلف)^(٢)، بل بإسداء الرحمة وتقديم النعمة، ولو أبقاه لنفسه ووكله إليه لم يكن كذلك: ﴿وَمَا يَكُم مِّن قَسَمٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

فبهذا النظر تكون هذه الآية قد شملت الضروب الثلاثة، وهو أولى، أما سقوط الضرب الثالث من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] فلما قُدم، والله أعلم بما أراد.

ولما تضمنت هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار وإبداء جهات النظر، ما إذا تأمله المتأمل على أن حجة الله قائمة على العباد، وأن إرسال الرسل رحمة ونعمة وفضل إحسان، وإذا كانت الدلالات مبسوبة والموجودات شاهدة مفصحة، و(الآلة)^(٣) للنظر من سمع وأبصار وأفئدة موجودة، فكيف يتوقف عاقل (في عظيم)^(٤) رحمته تعالى بإرسال الرسل، فتأكدت الحجة وتعاضدت البراهين.

فلما عرّف الخلق بقيام الحجة عليهم بطريقي الإصغاء إلى الداعي والاعتبار بالصنعة، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، فما عذر المعتذر بعد هذا؟ أتريدون كشف الغطاء ورؤية الأمر عياناً؟ لو استبصرتم لحصل لكم (ما)^(٥) منحتهم، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ...﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨].

ثم ختمت السورة من التفويض والتسليم بما يجري مع قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وحصل من السور الأربع بيان أهل الصراط المستقيم وطبقاتهم في (سلوكه)^(٦)، وما ينبغي لهم التزامه أو تركه،

(٢) في ن ٢: تكلف.

(٤) بهامش ن ٢.

(١) في ن ٢: سبق.

(٣) في ن ٢: دلالة.

(٥) في ن ١: مما.

(٦) في ن ١: سلوكهم وسلوكه أصح والضمير يعود على الصراط، ويؤكد ما بعده.

وبيان حال المتنكبين عن سلوكه من اليهود والنصارى وعبد الأوثان والمجوس.

سورة الاعراف

لما قال تعالى أمراً بالاعتبار: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ لَكُمْ بِرُسُلَاتٍ لَكُمْ وَلَوْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ قَهْرًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْفَأَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ٦]، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَكَفَى بِالَّذِينَ لِسَاجِدٍ مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠]، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ١١]، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا...﴾ [الأنعام: ٣٤] الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَاهْتَدَيْنَاهُمْ بِالْأَسْلَى وَالْأَضَلَّةِ...﴾ [الأنعام: ٤٢] الآية، وقال تعالى: ﴿يَمَعْشَرِ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنعام: ١٣٠]، ف وقعت الإحالة في هذه الآية على الاعتبار بالأمم السالفة، وما كان منهم حين كذبوا أنبياءهم، وهلاك تلك القرون بتكذيبهم وعتوهم، وتسليّة رسول الله ﷺ وسلم بجريان ما جرى له لمن تقدمه من الرسل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَيَبْغِضُونَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فاستدعت الإحالة والتسليّة بسط أخبار الأمم السالفة وهلاك تلك القرون الماضية، والإعلام بصبر الرسل ﷺ وتلطفهم في دعائه.

ولم يقع في السور الأربع قبل سورة الأنعام مثل هذه الإحالة والتسليّة، وقد تكررت في سورة الأنعام كما تبين بعد انقضاء ما قصد من بيان طريق المتقين أخذاً وتركاً، وحال من حاد عن سننهم ممن رامه أو قصده فلم يوفق (له) ^(١) ولا تم له أمله من الفريقين المستندين للسمع والمعتمدين النظر، فحاد الأولون بطارئ التغيير والتبديل وتنكب الآخرون بسوء التناول وقصور الأفهام، وعله حيد الفريقين السابقة الأزلية.

(١) في ن: لهم.

فلما انقضى أمر هؤلاء وصرف الخطاب إلى تسليته ﷺ وتثبيت فؤاده بذكر (أحوال) ^(١) الأنبياء مع أمهم، وأمر الخلق بالاعتبار بالأمم السالفة: ﴿فِيهِدْهُمْ أَقْصِدْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، بسط تعالى حال من وقعت الإحالة عليه، واستوفى الكثير من قصصهم إلى آخر سورة هود إلى قوله سبحانه: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَكْبَرِ الرُّسُلِ مَا نُسِيتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، فتأمل بم افتتحت السور المقصود بها قصص الأمم. وبم اختتمت يلح لك ما أشرت إليه، والله أعلم بما أراد.

فتأمل افتتاح سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْكَ بِطُورٍ﴾ [الأعراف: ٧]، وختم القصص فيها بقوله تعالى: ﴿فَأَقْصِي الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، بعد تعقيب قصص بني إسرائيل بقصة بلعم ^(٢): ﴿وَأَتْلُ عَلَيْكُمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا...﴾ الآية [الأعراف: ١٧٥]، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فتأمل هذا الإيماء بعد ذكر القصص، وكيف ألحق من كذب رسول الله ﷺ من العرب وغيرهم بمن قص ذكره من المكذبين، وتأمل افتتاح ذكر الأشقياء بقصة إبليس وختمها بقصة بلعم وكلاهما ممن كفر على علم، وفي ذلك أعظم موعظة، قال تعالى إثر ذلك: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىَّ...﴾ الآية [الأعراف: ١٧٨]، فبدأ سبحانه بذكر ما أنعم به عليه وعلى من استجاب له فقال تعالى: ﴿الْقَصَّ ۖ كُتِبَ عَلَيْكَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١]، فأشار إلى نعمته بإنزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين، وأشار هنا إلى ما تحمله من التسلية وشرح الصدور بما حوى من العجائب والقصص، مع كونه هدى ونوراً فقال: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]، أي: أنه قد تضمن مما أحلناك عليه ما يرفع الحرج ويسلي النفوس: ﴿لِنُنْذِرَ بِهِ﴾ [الأعراف: ٢] كما أنذر من قبلك ممن نقص خبره من الرسل، ولتستن في إنذارك ودعائك وصبرك بسنتهم، وليتذكر المؤمنون، ثم أمر عباده بالاتباع

(١) سقط من ٢.

(٢) انظر القصة في أسباب النزول للواحدى: ١٥٧ ط بيروت ١٩٨٣م.

لما أنزله فقال جل وعز: ﴿آتَيْنَا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، فإن هلاك من نقص عليكم خبره من الأمم إنما كان لعدم الاتباع والركون إلى أوليائهم من شياطين الجن والإنس.

ثم أتبع تعالى ذلك قصة آدم عليه السلام ليبين لعباده ما جرت به سنته فيهم من تسلط الشيطان وكيده، وأنه عدو لهم: ﴿يَنْفَى آدَمَ لَا يَفْنَى﴾ الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة [الأعراف: ٢٧]، ووقع في قصة آدم هنا ما لم يقع في قصة البقرة من بسط ما أجمل هناك، كتصريح اللعين بالحسد، (وتوهم التفوق)^(١) بخلقه من النار وطلبه الإنظار، والتسلط على ذرية آدم، والإذن له في ذلك ووعيده ووعيد متبعيه، ثم أخذه في الوسوسة إلى آدم عليه السلام وحلقه له: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾ [الأعراف: ٢١]، وكل هذا مما أجمل في سورة البقرة، ولم تتكرر قصة إلا وهذا شأنها، أعني أنها تفيد مهما تكررت ما لم يكن حصل منها أولاً.

ثم انجرت الآية إلى ابتداء قصة نوح، واستمرت القصص إلى قصص بني إسرائيل، فبسط هنا من حالهم وأخبارهم شبيه ما بسط في قصة آدم، وما جرى من محنة إبليس، وفصل هنا الكثير، وذكر ما لم يذكر في البقرة، حتى لم يتكرر بالحقيقة إلا للتعريض لقصص طائفة معينة فقط. ومن عجيب الحكمة أن الواقع في السورتين من كلا القصتين مستقل شاف، وإذا ضم بعض ذلك إلى بعض ارتفع إجماله ووضح كماله، فتبارك من هذا كلامه، ومن جعله حجة قاطعة وآية باهرة.

ولما أعقب تعالى قصصهم في البقرة بأمره نبيه والمؤمنين بالعفو والصفح فقال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة: ١٠٩]، أعقب أيضاً هنا بقوله لنبيه: ﴿خُذِ الْفَوَاقِشَ بِالْعِزِّ وَالْأَعْرَاضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقد خرجنا عن المقصود فلنرجع إليه.

(١) في ٢٠: تصور خيبرته.

سورة الأنفال

لما قصَّ سبحانه على نبيه ﷺ في سورة الأعراف أخبار الأمن، وقطع المؤمنين من مجموع ذلك بأنه لا يكون الهدى إلا بسابقة السعادة لافتتاح السورة من ذكر الأشقياء بقصة إبليس وختمها بقصة بلعم، وكلاهما كَفَرَ على علم، ولم ينفعه ما قد كان حصل عليه، ونبه تعالى عباده على الباب الذي أتى منه على بلعم بقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّهُ أَغْلَا إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فأشار سبحانه إلى أن اتباع الأهواء أصل كل ضلال، نبهوا على ما فيه من الحزم من ترك الأهواء جملة فقال تعالى: ﴿يَسْتُلْزِمُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلُ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] فكان قد قيل لهم: اتركوا ما ترون أنه حق واجب لكم، وفوضوا في أمره لله ورسوله، فذلك أسلم لكم وأحزم في ردع أغراضكم، وقمع شهواتكم، وترك أهوائكم، وقد أُلْفَ في هذه الشريعة السمحة البيضاء حسم الذرائع^(١) كثيراً، وإقامة مظنة الشيء مقامه، كتحريم الجرعة من الخمر، والنظرة، والخطبة في العدة، واعتداد النوم الثقيل ناقضاً، فهذه مظان لم يقع الحكم فيها على ما هو لأنفسها، ولا بما هي كذا، بل بما هي مظان ودواع إلى ما منع لعينه، أو استوجب حكماً ما لعينه وعلته الخاصة به.

ولما أمر المسلمون بحل أيديهم عن الأنفال يوم بدر، إذ كان المقاتلة قد هموا بأخذها، وحدثوا أنفسهم بالانفراد بها، ورأوا أنها من حقهم وأن من لم يباشر قتالاً، من الشيوخ ومن انحاز فئة لهم، فلا حق لهم فيها. ورأى الآخرون أيضاً أن حقهم فيها ثابت، لأنهم كانوا فئة للمقاتلين وعدة وملجأ وراء ظهورهم، كان ما أمرهم الله به من تسليم الحكم في ذلك إلى الله ورسوله، من باب حسم الذرائع، لأن تمشية أغراضهم في ذلك - وإن تعلق

(١) يعني: سلبها وقطعها، والذريعة عند الأصوليين ما يتوصل به إلى شيء ممنوع مشتمل على مفسدة، وسلبها منعها حتى لا تفضي إلى المفسدة، انظر: إعلام الموقعين: ٢٤٨/٣.

كل من الفريقين بحجة - مظنة لرئاسة النفوس واستسهال اتباع الأهواء، فأمرهم الله بالتنزه عن ذلك والتفويض فيه لله ورسوله، فإن ذلك أسلم لهم وأوقى لدينهم، وأبقى في إصلاح ذات البين وأجدى في الاتباع: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...﴾ الآية.

ثم ذكروا بما ينبغي لهم أن يلتزموا فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾. ثم نبهوا على أن أعراض (الدنيا)^(١)، من نفل أو غيره، لا ينبغي للمؤمن أن يعتمد عليه اعتماداً يدخل عليه ضرباً من الشرك والتفاتاً إلى غير الله سبحانه، بقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ثم ذكروا بما وصف به المتقون في الصلاة والإنفاق، ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] تنبيهاً على أن من قصر على هذه الأحوال، أو لم يأت بها على كمالها، لم يخرج عن الإيمان، ولكن نزل عن درجة الكمال بحسب تقصيره، وكان في (هذا)^(٢) إشعاراً بعُذرهم في كلامهم في الأنفال، وأنهم قد كانوا في مطلبهم على حالة من الصواب وشوب من التمسك والاتباع، لكن أعلى الدرجات ما بين لهم ومنحوه، وأنه الكمال والفوز.

ثم نبههم سبحانه بكيفية أمرهم في الخروج إلى بدر، وودهم أن غير ذات الشوكة تكون لهم، وهو - سبحانه - يريهم حسن العاقبة فيما اختاره لهم، فقد كانوا تمنوا لقاء العير، واختاروا ذلك على لقاء العدو ولم يعلموا ما وراء ذلك: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَيِّطَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقَطَّ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]، إلى ما قصه تعالى عليهم من اكتنافهم برحمته وشمول الطافه وآلائه، ويسط نفوسهم، ونبههم على ما يثبت يقينهم ويزيد في إيمانهم، ثم أعلمهم أن الخير كله في التقوى فقال جل وعز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ مَرْقَانًا...﴾ الآية [الأنفال: ٢٩]، وهذا الفرقان هو الذي حُرِّمَ إبليس وبلعَمَ، فكان منهما ما تقدم من اتباع الأهواء القاطعة لهم عن الرحمة.

وقد تضمنت الآية حصول خير الدنيا والآخرة بنعمة الاتقاء، ثم أجمل

(٢) في ١: هذه.

(١) بهامش ٢٠.

الخبران معاً في قوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، بعد تفصيل ما إليه إسراع المؤمن من الفرقان والتكفير والغفران، ولم يقع التصريح بخير الدنيا الخاص بها مع اقتضاء الآية إياه تنزيهاً للمؤمن في مقام إعطاء الفرقان وتكفير السيئات والغفران عن ذكر متاع الدنيا التي هي لهو ولعب، فلم يكن ذكر متاعها الفاني ليذكر مفصلاً مع ما لا يجانسه ولا يشاكله، ﴿وَلَا تَدَارُ الْآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] ثم التهمت الآي.

ووجه آخر وهو أنه سبحانه لما قال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، فبين لهم كيفية هذا الاستماع، وما الذي يتصف به المؤمن من ضروبه، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، فهؤلاء لم يسمعون بآذانهم فقط، ولا كانت لهم آذان لا يسمعون بها ولا قلوب لا يفقهون بها، ولو كانوا كذلك لما وجلت (قلوبهم)^(١) وعمهم الفزع والخشية، وزادتهم الآيات إيماناً، فإذا إنما يكون سماع المؤمن هكذا، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١].

ولما كان هؤلاء إنما أتى عليهم من اتباع أهوائهم والوقوف مع أغراضهم وشهواتهم: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ﴿وَلَكِنَّهُمْ أَخْلَدُوا إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وهذه بعينها كانت آفة إبليس، فإنه رأى لنفسه المزية، واعتقد لها الحق، ثم اتبع هذا الهوى حين قال: ﴿لَمْ أَكُنْ لَآتِجًا لِّسَخْرِ خَلْقَتُمْ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣]، فلما كان اتباع الأهواء أصلاً في الضلال وتنكّب الصراط المستقيم، أمر المؤمنون بحسم باب الأهواء، والتسليم بما لهم فيه تعلق وإن لم يكن هوى مجرداً لكنه مظنة تيسير لاتباع الأهواء، فافتتحت السورة بسؤالهم عن الأنفال، وأخبروا أنها لله ورسوله يحكم فيها بما شاء، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واحذروا الأهواء التي أهلكت من قص عليكم ذكره، ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ برفع التنازع، وسلموا لله ورسوله

(١) سقط من ن ٢.

وإلا لم تكونوا سامعين، وقد أمرتم أن تسمعوا السماع الذي عنه ترجى الرحمة، وبيانه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ...﴾ الآيات.

ووجه آخر وهو أن قصص بني إسرائيل أعقب بوصاة المؤمنين وخصوصاً بالتقوى، وعلى حسب ما يكون الغالب فيما يذكر من أمر بني إسرائيل، (ففي) ^(١) البقرة أتبع قصصهم مفتتحاً بذكر تفضيلهم: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ أَنَّمَا عَلَيْنَا دِينُكُمْ وَآتَىٰ فَضْلَكُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، افتتح خطاب هذه الأمة بما يشعر بتفضيلهم، وتأمل ما بين: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ﴾ و﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وأمر أولئك بالإيمان: ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾ [البقرة: ٤١]، وأمر هؤلاء بتعبد احتياطي فقيل: ﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَأَسْمِعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، ثم أعقب سورة البقرة بآل عمران، وافتتحت ببيان المحكم والمتشابه الذي من جهته أتى على بني إسرائيل في كثير من مرتكباتهم.

ولما ضمنت سورة آل عمران من ذكرهم ما ورد فيها أعقب بقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُلَاحِظُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بِدَٰءِ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ثم أعقب السورة بقوله ﷻ: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِهَةٍ﴾ [النساء: ١]، وعدل عن الخطاب باسم الإيمان للمناسبة، وذلك أن سورة آل عمران خصت من مرتكبات بني إسرائيل بجرائم، كقولهم في الكفار: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] فهذا بهت، ومنها قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكُمُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، إلى ما تخلل هاتين من الآيات المنبئة عن تعمد الجرائم، فعدل عن: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ﴾ ليكون أوقع في الترهيب وأخوف، وأوضح مناسبة لما ذكر.

ولما ضمنت سورة النساء قوله تعالى: ﴿فَيُظَاهَرُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَلَبَتِ أُجُلَتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] إلى قوله: ﴿وَأَكَلْتُم مَّا كَانَتْ تُحَرِّمُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ١٦١]، أتبع بقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]،

(١) في ٢٠: يعني.

ثم ذكر لهم ما أحل لهم وحرّم عليهم ليحذروا مما وقع فيه أولئك. فعلى هذا لما ضمنت سورة الأعراف من قصصهم جملة، وبيّن فيها اعتداؤهم، (وبناؤه)^(١) على اتباع الأهواء والهجوم على الأعراض، طلب هؤلاء باتقاء ذلك والبعد عما يشبهه جملة، ف قيل في آخر السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ثم افتتحت السورة الأخرى بصرفهم عما لهم به تعلق وإليه سبب يقيم عذرهم شرعاً فيما كان منهم، فكأن قد قيل لهم: ترك هذا أسلم وأبعد عن اتباع الأهواء، فسلموا الحكم في ذلك لله ورسوله، واتقوا الله. ثم تناسج السياق، والتحت الآي، وقد تبيّن وجه اتصال الأنفال بالأعراف من وجوه، والحمد لله.

سورة براءة

اتصالها بالأنفال أوضح من أن يتكلف توجيهه، حتى أن شدة المشابهة والالتئام - مع أن الشارع ﷺ لم يكن بين انفصالهما^(٢) - أوجب أن لا يفصل بينهما ﴿يَسِّرْ اللَّهُ لَكَ الْقِتَالَ﴾، وذلك أن الأنفال قد تضمنت الأمر بالقتال ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وبين حكم (الفرار)^(٣) من الزحف، وحكم النسبة المطلوب فيها بالثبوت، ولحوق التأثيم للفرار، وأنها على الضعف، وحكم الأسرى، وحكم ولاية المؤمنين، ومن يدخل تحت هذه الدلالة ومن يخرج عنها.

ثم ذكر في السورة الأخرى حكم من عهد إليه من المشركين، والبراءة منهم إذا لم يوفوا، وحكم من استجار منهم، إلى ما يتعلق بهذا، وكله باب واحد وأحكام متواردة على قضية واحدة، وهي تحرير حكم المخالف، فالتحت السورتان (أوضح)^(٤) التحام، ثم عاد الكلام إلى حكم المنافقين وهتك أسرارهم.

(١) في ن ٢: وبناه.

(٢) يشير إلى حديث ابن عباس الذي رواه يزيد الفارسي (انظر صفحة ٥٠).

(٣) في ن ٢: القرآن، وهو خطأ. (٤) في ن ٢: اعظم.

سورة يونس

لما تضمنت سورة براءة قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرِبُ فُجْرَهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿عَمَّا أَثَبَّ اللَّهُ عَنْكَ إِمْ أَذِنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقوله: ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة، إلى ما تخلل أثناء هذه السورة المكرمة مما شهد لرسول الله ﷺ بتخصيصه بمزايا السبق والقرب والاختصاص والملاطفة في الخطاب ووصفه بالرفافة والرحمة، هذا مع ما انطوت عليه هي والأنفال من قهره أعداءه، وتأبيده ونصره عليهم وظهور دينه، وعلو دعوته، وإعلاء كلمته، إلى غير هذا من نعم الله سبحانه عليه، كان ذلك كله مظنة لتعجب المرتاب وتوقف الشاك، ومثيراً لتحرك ساكن الحسد من العدو لعظيم ما منحه ﷺ.

قال تعالى: ﴿أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا (أَنِ أَوْحَيْنَا^(١)) إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ...﴾ [يونس: ٢] إلى قوله: ﴿لَسَجَرٌ يُؤْنِسُ﴾ [يونس: ٢]، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ...﴾ [الآيات [يونس: ٣]، فبين انفراده تعالى بالربوبية والخلق والاختراع والتدبير، فكيف تعترض أفعاله، أو يطلع البشر على وجه الحكمة في كل ما يفعله ويبدئه إذا كان الكل ملكه وخلق، فيفعل في ملكه ما يشاء، ويحكم في خلقه بما يريد؟، ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [يونس: ٣] ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥].

ثم توعد سبحانه الغافلين عن التفكير في عظيم آياته حتى أدتهم الغفلة إلى مرتكب سلفهم في العجب والإنكار حتى قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِئُ فِي الْأَمْوَالِ﴾ [الفرقان: ٧]، وقالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ نُزْلًا رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وهذه مقالات الأمم المتقدمة: ﴿قَالُوا مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [يس: ١٥] فقالوا: ﴿مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧]^(٢)، فقالوا: ﴿أَتُؤْمِنُ لِلشَّيْءِ مِثْلُنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧]، ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ

(١) بهامش ن ٢.

(٢) وقد سقطت من ن ١.

يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ ﴿سبأ: ٤٣﴾، فقال تعالى متوعداً للغافلين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ الآية [يونس: ٧]، ثم وعد المعتبرين فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ...﴾ الآيات [يونس: ٩]، وكل هذا بين الالتحام جليل الالتئام، ثم تناسجت آي السورة.

سورة هود

لما كانت سورة يونس ﷻ قد تضمنت من آي التنبيه والتحريك للنظر، ومن العظات والتخويف والتهديد والترهيب والترغيب، وتقريع المشركين والجاحدين والقطع بهم، والإعلام بالجريان على حكم السوابق، ووجوب التفويض والتسليم، ما لم تشتمل على مثله سورة لتكرر هذه الأغراض فيها، وسبب تكرر ذلك فيها - والله أعلم - أنها أعقب بها السبع الطوال. وقد مر التنبيه على أن سورة الأنعام بها وقع استيفاء بيان حال المتنبكين عن الصراط المستقيم على اختلاف أحوالهم، ثم استوفت سورة (الأعراف) ^(١) (ما وقعت) ^(٢) الإحالة عليه من أحوال الأمم السالفة كما تقدم، وبسطت ما أجمل من أمرهم، ثم أتبع ذلك بخطاب المستجيبين لرسول الله ﷺ، وحذروا وأنذروا، وكشف عن حال من تلبس بهم من عدوهم من المنافقين، وتم المقصود من هذا في سورتي (الأنفال) ^(٣) وبراءة، ثم عاد الخطاب إلى طريقة الدعاء إلى الله والتحذير من عذابه بعد بسط ما تقدم، فكان مظنة لتأكيد التخويف والترهيب لإتيان ذلك بعد بسط حال (وإيضاح) ^(٤) أدلة، فلهذا كانت سورة يونس مضمنة من هذا ما لم يضمن غيرها.

ألا ترى افتتاحها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ...﴾ الآيات [يونس: ٣]، ومناسبة هذا الافتتاح دعاء الخلق إلى الله في سورة البقرة بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، (ثم نبهوا) ^(٥) هنا كما نبهوا هناك، فقال تعالى:

(٢) بهامش ن ٢.
(٤) في ن ١: اتضح.

(١) في ن ٢: الأنعام.
(٣) في ن ٢: الأنعام.
(٥) في ن ٢: ثم قد نبهوا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاقْرَءُوا سُورَةَ زُحْرَةَ﴾ [يونس: ٣٨]، ثم تأكدت المواعظ والزواجر والإشارات إلى أحوال المكذبين.

(فمن التنبيه)^(١): ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣]، ﴿الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ [يونس: ٦]، ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [يونس: ٣٤]، ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥]، ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، إلى غير (ذلك)^(٢)، وعلى هذا السنن تكررت العظات، والأغراض المسلم إليها في هذه السورة إلى قوله: ﴿قُلْ﴾^(٣) يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨].

(فتحصل)^(٤) من سورة الأعراف والأنفال وبراءة ويونس تفصيل ما كان أجمل فيما تقدمها، كما حصل مما تقدم تفصيل أحوال السالكين والمنتكبين. فلما تقرر هذا كله أتبع المجموع بقوله: ﴿كِتَابُ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وتأمل مناسبة الإتيان بهذين الاسمين الكريمين^(٥) وهما: الحكيم والخبير، ثم تأمل (تلاء)^(٦) صدر السورة لقوله تعالى: وقد كان تقدم قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨]، فأتبع قوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: [يونس: ١٠٨] بقوله في صدر سورة هود: ﴿كِتَابُ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١]، فكأنه في معرض بيان الحق والموعظة، وإذا كانت محكمة مفصلة فحق لها أن تكون شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، وحق توبيخهم في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، والعجب في عَمَهُمْ مع إحكامه وتفصيله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧) [يونس: ٩٦].

-
- (١) في ٢: في الشبه.
 (٢) سقط من ٢.
 (٣) في ١: المكرمين.
 (٤) في ٢: تلاؤم وما في ١: أنسب وقد تكرر من المؤلف هذا الاستعمال.
 (٥) في ٢: هذا.
 (٦) في ٢: فصل.

وتأمل قوله سبحانه آخر هذه السورة: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِيَتْ بِهِمْ فُؤَادُكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، (فكل)^(١) الكتاب حق وموعظة وذكرى، وإنما الإشارة - والله أعلم بما أراد - إلى ما تقرر الإيماء إليه من كمال بيان الصراط المستقيم وملتزمات متبعيه أخذاً وتركاً، وذكر أحوال المتنكبين على شتى طرقهم واختلاف أهوائهم وغاياتهم، وشرهم إبليس، فإنه متبعهم والقائل لجميعهم في إخبار الله تعالى (عنه)^(٢): ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وبسط في أمره وقصته في البقرة^(٣) والأعراف^(٤) ما يسر على المؤمنين الحذر منه، وعرفهم به، وذكر اليهود والنصارى والمشركون والصابئون والمنافقون وغيرهم، وفصل مرتكب كل فريق منهم.

كما استوعب ذكر أهل الصراط المستقيم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وفصل من أحوالهم ابتداء وانتهاء، والتزاماً وتركاً، ما أوضح طريقهم وعيّن حزبهم وفريقهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وذكر أحوال الأمم مع أنبيائهم، وأخذ كل من الأمم بذنبه (مفصلاً)^(٥)، وذكر ابتداء الخلق في قصة آدم عليه السلام وحال الملائكة في التسليم والإذعان، وذكر فريقاً الجن من مؤمن وكافر، وأمر الآخرة، وانتهاء حال الخلائق، واستقرارهم (الأخروي)^(٦)، (وتكرر)^(٧) دعاء الخلق إلى الله تعالى لطفاً منه ورحمة، وإعلام الخلق بما هو عليه سبحانه، وما يجب له من الصفات العلى والأسماء الحسنى، ونُبه العباد على الاعتبار، وعُلموا طريق الاستدلال، ورغبوا ورهبوا، وبشروا، وأنذروا، وأعلموا بافتقار المخلوقات بجملتها إليه سبحانه كما هو المنفرد بخلقهم، إلى ما تخلل ذلك مما يعجز الخلائق عن حصره والإحاطة به: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

فلما تقدم هذا كله في السبع الطوال وما تلاها، أعقب ذلك بقوله

-
- | | |
|------------------------------|------------------------|
| (١) في ن: ١: وكل. | (٢) سقط من ن: ٢. |
| (٣) بداية من الآية ٣٤. | (٤) بداية من الآية ١١. |
| (٥) في ن: ١: مجملاً ومفصلاً. | (٦) في ن: ٢: الأخروي. |
| (٧) في ن: ١: وتذكر. | |

تعالى: ﴿كَتَبَ أَتَمَّكُمْ مَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ قُضِيَكَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، ثم أتبع هذا بالإيماء إلى فصول ثلاثة عليها مدار آي الكتاب، وهي: فصل الإلهية، وفصل الرسالة، وفصل التكليف.

أما الأول فأشار إليه قوله (الحق)^(١): ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [هود: ٢٢]، وأما فصل الرسالة فأشار إليه قوله سبحانه: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢٢]، وأما فصل التكليف فأشار إليه قوله سبحانه: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٢٣]، وهذه الفصول الثلاثة هي التي تدور عليها آي القرآن، وعليها مدار سورة الكريمة.

فلما حصل استيفاء ذلك كله فيما تقدم، ولم يبق وجه شبهة للمعاند ولا تعلق للجاحد، واتضح الحق وبيان المطلوب، واستيفاء التعريف بوضوح الطريق، وقد وضح من هذا تلاء هذه السورة الكريمة لما تقدمها.

ومما يشهد لهذا - والله أعلم - قوله تعالى: ﴿أَفَننَّ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ. وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْتِمُ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: ١١٢]، فقد وضح طريقك وفاز بالفلاح (حزبك)^(٢) وفريقك، ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣] فقد عرفتم سبيلهم ومصيرهم، فقد (بان)^(٣) طريق الحق فكيف تنكب من حرم سلوكه من الخلق، ونظير قوله سبحانه: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ عقب ما ذكر، قوله سبحانه: ﴿لَئِنِ الْمُلُكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الأنفطار: ١٩]. فتأمل ذلك، والله المستعان.

سورة يوسف

هذه السورة من جملة ما قص عليه ﷺ من أنباء الرسل وأخبار من تقدمه مما فيه التثبيت الممنوح في قوله سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، ومما وقعت الإحالة عليه في سورة الأنعام كما تقدم.

(٢) في ن: ١: مرادك.

(١) سقط من ن: ٢.

(٣) في ن: ١: كان.

وإنما أفردت على حدثها ولم تنسق (على قصص) ^(١) الرّسل مع (أمهم) ^(٢) في سورة واحدة لمفارقة مضمونها تلك القصص، ألا ترى أن تلك قصص إرسال من تقدم ذكرهم ﷺ، وكيفية تلقي قومهم لهم، وإهلاك مكذبيهم، أما هذه القصة فحاصلها فرج بعد شدة، وتعريف بحسن عاقبة الصبر، فإنه تعالى امتحن يعقوب ﷺ بفقد ابنه وبصره وشتات بنيه، وامتنح يوسف ﷺ بالجب، والبيع، وامرأة العزيز، وفقد الأب والإخوة، والسجن، ثم امتحن جميعهم بشمول الضر وقلّة ذات اليد: ﴿مَسْنَا وَأَهْلَنَا الْفُرُوجُ وَجَحْنَا يَضَعُو مُزْحَقًا﴾ [يوسف: ٨٨]، ثم تداركهم الله بإفقتهم، وجمع شملهم، ورد بصر أبيهم وائتلاف قلوبهم، ورفع ما نزغ (به) ^(٣) الشيطان، وخلاص يوسف ﷺ من كيد من كاده، واكتنافه بالعصمة، وبرأئه عند الملك والنسوة، وكل ذلك مما أعقبه جميل الصبر، وجلالة اليقين في حسن تلقي الأقدار بالتفويض والتسليم على توالي الامتحان وطول المدة.

ثم انجر في أثناء هذه القصة الجليلة إنابة امرأة العزيز ورجوعها إلى الحق وشهادتها ليوسف ﷺ بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين، ثم استخلاص العزيز إياه، إلى ما انجر في هذه القصة الجليلة من العجائب والعبر ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، فقد انفردت هذه القصة بنفسها، ولم تناسب ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى ﷺ وما جرى في أمهم، فلهذا فصلت عنهم.

وقد أشارت السورة برأسها إلى عاقبة من صبر ورضي وسلم لينبه المؤمنين على ما في طي ذلك، وقد صرح لهم بما أجملته هذه السورة من الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] إلى قوله: ﴿أَمَنَّا﴾.

وكانت قصة يوسف بجملتها أشبه شيء بحال المؤمنين في مكابدتهم في

(٢) في ٢٠: أنهم.

(١) بهامش ٢٠.

(٣) سقط من ١٠.

أول الأمر، وهجرتهم، وتشتتهم مع قومهم، وقلة ذات أيديهم، إلى أن جمع الله شملهم: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وأورثهم الأرض وأيدهم ونصرهم، ذلك لجليل إيمانهم وعظيم صبرهم، فهذا ما أوجب تفرد هذه القصة عن تلك القصص، والله أعلم.

وأما تأخر ذكرها عنها فمناسب لحالها، ولأنها إخبار بعاقبة من آمن واتعظ، ووقف عندما حدد له، فلم يضره ما كان، ولم تذكر إثر قصص الأعراف لما بقي من استيفاء تلك القصص، الحاصل ذلك في سورة هود، ثم إن ذكر أحوال المؤمنين مع من كان معهم من المنافقين وصبرهم عليهم مما يجب أن يتقدم ويعقب بهذه القصة (الجليلة)^(١) من حيث عاقبة الصبر والحض عليه كما مر، فأخرت إلى عقب سورة هود لمجموع هذا، والله أعلم.

ثم ناسب سورة يوسف أيضاً أن تذكر إثر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ الآية [هود: ١١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ [هود: ١٢١، ١٢٢]^(٢) فتدبر ذلك.

أما نسبتها للآية الأولى، فإن ندم إخوة يوسف، واعترافهم بخطأ فعلهم، وفضل يوسف عليهم: ﴿لَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلِيمًا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيلِينَ﴾ [يوسف: ٩١]، وعفوه عنهم: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، وندم امرأة العزيز وقولها: ﴿أَلَنْ حَصَحَ الْحَقُّ...﴾ الآية [يوسف: ٥١]. كل هذا من باب إذهاب الحسنة السيئة، وكأن ذلك مثال لما عرف به المؤمنون من إذهاب الحسنة السيئة.

وأما نسبة السورة لقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]، فإن هذا أمر منه سبحانه لنبيه ﷺ بالصبر على

(١) سقط من ن.

(٢) ما بين القوسين بهامش ن.


قومه، فأتبع بحال يعقوب ويوسف عليهما السلام، وما كان من صبرهما مع طول المدة وتوالي امتحان يوسف بالجلب ومفارقة الأب والسجن حتى خلّصه الله أجمل خلاص بعد طول تلك المشقات.

ألا ترى قول نبينا عليه الصلاة والسلام وقد ذكر يوسف عليه السلام، فشهد له بجلالة الحال وعظيم الصبر، فقال: ولو لبثت في السجن ما لبث أخي يوسف لأجبت الداعي^(١).

فتأمل عذره له عليه السلام، وشهادته بعظيم قدر يوسف: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، لما قيل له عليه السلام: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥] أتبع بحال يعقوب ويوسف من المحسنين: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤] وقد شملت الآية ذكر يعقوب ويوسف، ونبينا عليه السلام قد أمر بالافتداء في الصبر بهم، وقيل له: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ويوسف عليه السلام من أولي العزم صلى الله عليهم أجمعين.

ثم إن حال يعقوب ويوسف عليهما السلام في صبرهما، ورؤية حسن عاقبة الصبر في الدنيا، مع ما أعد الله لهما من عظيم الثواب، أنسب شيء لحال نبينا عليه السلام في مكابدة قريش ومفارقة وطنه، ثم تعقب ذلك بظفره بعدوه، وإعزاز دينه وإظهار كلمته، ورجوعه إلى بلده على حالة قرت بها عيون المؤمنين، وما فتح الله عليه وعلى أصحابه، فتأمل ذلك.

ويوضح ما ذكرناه ختم السورة بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا...﴾ الآية [يوسف: ١١٠]، فحاصل هذا كله الأمر بالصبر وحسن عاقبة أولياء الله فيه.

وأما النسبة لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَاؤُنَ مُحْتَلِفِينَ﴾  [هود: ١١٨]، فلا أنسب لهذا، ولا أعجب من حال إخوة فضلاء لأب واحد من أنبياء الله وصالحى عباده جرى بينهم من التششت ما جعله الله عبرة لأولي الألباب.

(١) البخاري: أنبياء: ١١ - ١٩، مسلم: إيمان: ٢٣٨.

وأما النسبة لآية التهديد فبينة، وكان الكلام في قوة: اعملوا على مكانتكم وانتظوا، فلن نصبر عليكم مدة صبر يعقوب ويوسف عليهما السلام. وقد وضع بفضل الله وجه ورود هذه السورة عقب سورة هود، والله أعلم.

سورة الرعد

هذه السورة تفصيل لمجمل قوله سبحانه في خاتمة سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَاتٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسِحْجَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٥ - ١٠٨].

فبيان آي السماوات في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَىٰ الرَّفِيقِ وَسَوَّاهُ الْقُنُوسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢]، وبيان آي الأرض في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الرعد: ٣]، (هذه آي السماوات والأرض وقد زيدت بياناً في مواضع، ثم في قوله تعالى: ﴿يَقْنِىَ أَيْلَ النَّهَارِ﴾ [الرعد: ٣])^(١) ما يكون من الآيات عنهن، لأن الظلمة عن جرم الأرض والضياء عن نور الشمس، وهي سماوية، ثم زاد تعالى آيات الأرض بياناً وتفصيلاً في قوله عليه السلام: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّدَاتٌ...﴾ [الرعد: ٤] إلى قوله: ﴿لَقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٤].

ولما كان إخراج الثمر بالماء النازل من السماء من أعظم آيه ودليلاً واضحاً على صحة المعاد، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وكان (قد)^(٢) ورد هنا على أعظم جهة من الاعتبار من إخراجها مختلفات في الطعوم والألوان والروائح مع اتحاد المادة، ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنَقِضٌ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]، كذلك ما أعقب قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّدَاتٌ﴾ [الرعد: ٤] بقوله: ﴿وَإِنْ تَجَبَّ فَعَجَبٌ قَوْمُكُمْ إِذَا كُنَّا تَرَاكُمَا لَأَنَّا لَمِنَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥].

(٢) سقط من ١٥.

(١) ما بين القوسين، ساقط من ١٥.

ثم بين سبحانه الصنف القائل بهذا، وأنهم الكافرون أهل الخلود في النار، ثم أعقب ذلك ببيان (عظيم)^(١) حلمه وعفوه فقال: ﴿وَسْتَغْلِبُكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الآية... [الرعد: ٦]، ثم أتبع الآية بما يشعر بالجري على السوابق في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ثم بين عظيم ملكه واطلاعه على دقائق ما أوجده من جليل صنعه واقتداره فقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ...﴾ الآيات [الرعد: ٨]، إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، ثم خوَّف عباده وأنذرهم ورغبهم فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَافَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ [الرعد: ١٢] الآيات، وكل ذلك راجع إلى ما أودع سبحانه في السماوات والأرض وما بينهما من الآيات، وفي ذلك أكثر آي السورة.

ونبه تعالى على الآية الكبرى والمعجزة العظمى، فقال جل وعز: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ أَلْمُوتُ﴾ [الرعد: ٣١]، والمراد لكان هذا القرآن، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

والتنبيه بعظيم هذه الآية مناسب لمقتضى السورة من التنبيه بما أودع تعالى من الآيات في السماوات والأرض، وكأنه جل وتعالى لما بين لهم من عظيم ما أودع في السماوات والأرض وما بينهما في الآيات وبسط ذلك وأوضحه، أردف ذلك (بآية)^(٢) أخرى جامعة للآيات ومتسعة للاعتبارات فقال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]، فهو من نحو: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (١٥) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، أي: لو فكرتم في آيات السماوات والأرض لأقلتكم وكفتكم في بيان الطريق إليه، ولو فكرتم في أنفسكم وما أودع تعالى فيكم من العجائب لاكتفيتم: من عرف نفسه عرف ربه، فمن قبيل هذين الضربين من الاعتبار هو الواقع في سورة الرعد من بسط آيات السماوات والأرض، ثم ذكر القرآن وما تحمل، فهذه إشارة إلى ما تضمنته هذه السورة الجليلة من بسط الآيات المودعة في الأرضين والسماوات.

(١) سقط من ن. ١.

(٢) بهامش ن. ٢.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] فقد أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]، ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الرعد: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فالذين تطمئن قلوبهم بذكر الله هم أولو الألباب المتذكرون التامو الإيمان، وهم القليل المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤] والمقول فيهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤]، ودون هؤلاء طوائف من المؤمنين ليسوا في درجاتهم ولا بلغوا يقينهم، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] قال عليه السلام: (الشرك أخفى في أمتي)^(١) من ديب النمل^(٢)، فهذا بيان ما أجمل في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ...﴾ الآية [يوسف: ١٠٦].

وأما قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧]، (فقد أشعروا بما)^(٣) عجل لهم من ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣١] القاطع دابرهم والمستأصل لأمرهم.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾ الآية [يوسف: ١٠٨]، فقد أوضحت آي سورة الرعد سبيله عليه السلام وبينته بما تحمله من عظيم التنبيه وبسط الدلائل بما في السماوات والأرض وما بينهما، وما في العالم بجملته، تحمله الكتاب المبين كما تقدم.

ثم قد تعرضت السورة لبيان جلي سالكى تلك السبيل الواضحة المنجية، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ أَلَيْسَ﴾ [الرعد: ٢٠]... إلى (آخر ما)^(٤) حلأهم به أخذاً وتركاً. ثم عاد الكلام بعد إلى ما منه بدأ من التنبيه والبسط وتقريع الكفار وتوبيخهم، وتسليته عليه السلام في أمرهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ

(١) في ن: ٢: الشرك في أمتي أخفى.

(٢) مسند أحمد: ٤٠٣/٤.

(٣) سقط من ن: ٢.

(٤) في ن: ١: آخرها، والصحيح: آخر ما.

مُنْذِرٌ ﴿الرعد: ٧﴾، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣].

فالسورة بجملتها غير حادثة عن تلك الأغراض المجملة في الآيات الأربع المذكورات من آخر سورة يوسف، ومعظم السورة غالب آيها في التنبيه وبسط الدلالات والتذكير بعظيم ما أودعت من الآيات، ولما كان هذا شأنها أعقبت بمفتتح سورة إبراهيم عليه السلام.

سورة إبراهيم عليه السلام

لما^(١) كانت سورة الرعد على ما تمهّد، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١]، لما كانت تلك الآيات والبراهين لا يبقى معها شك لمن اعتبر بها لعظيم شأنها واتضح أمرها قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] إذ هم تذكروا به واستبصروا ببراهينه وتدبروا آياته، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سِيرَتِ فِي الْجِبَالِ أَوْ قُطِعَتْ فِي الْأَرْضِ أَوْ كُلُّ مَوْقِفٍ﴾ [الرعد: ٣١] لكان هو.

ولما كان الهدى والضلال كل ذلك موقوف على (مشيئته سبحانه)^(٢) وسابق لإرادته، وقد قال لنبيه عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، قال تعالى هنا: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الرعد: ٤٠]، (ولما)^(٣) قال تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٥] ثم بسطها في سورة الرعد، أعلم هنا أن ذلك كله له وملكه، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَلَمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٢] فالسماوات والأرض بجملتها ما فيها وما بينهما من عظيم ما أوضح لكم الاعتبار به، كل ذلك له ملكاً وخلقاً واختراعاً، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ

(٢) في ٢: على مشيئة الله سبحانه.

(١) بهامش ن ٢.

(٣) في ن ٢: كما.

وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴿٨٣﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢] لعنادهم مع وضوح الأمر وبيانته، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣] مع وضوح السبيل وانتهاج ذلك الدليل، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يُلَاقِي قَوْمَهُ﴾ [إبراهيم: ٤]، وكان هذا من تمام قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وذلك أن الكفار لما حملهم الحسد والعناد وبُعد الفهم بما (جعل)^(١) على قلوبهم وطبع عليها على أن أنكروا كون الرسل من البشر حتى قالوا: ﴿أَبَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [التغابن: ٦]، ﴿مَا أُنْتَرِ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [يس: ١٥]، وحتى قالت قريش: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ مَلَكٌ...﴾ الآية [الفرقان: ٧]، ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْتَضِلُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ مَلَكٌ...﴾ الآية [الفرقان: ٧]، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، فلما كثر هذا منهم، وتبع خلفهم في (ذلك)^(٢) سلفهم، ردد تعالى إرغامهم وإبطال توهمهم في آيات وردت على التدرج في هذا الغرض شيئاً فشيئاً، فأول الوارد من ذلك في معرض الرد عليهم وعلى ترتيب سور الكتاب قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ﴾^(٣) أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ... الآية [يونس: ٢]، ثم أتبع ذلك بانفراده بالخلق والاختراع والتدبير والربوبية، وفي طي ذلك أنه يفعل ما يشاء لأن الكل خلقه وملكه، وأنه العليم بوجه الحكمة في إرسال الرسل وكونهم من البشر، فأرغم تعالى بمضمون هذه الآي كل جاحد ومعاوند.

ثم ذكر تعالى في سورة هود قول قوم نوح: ﴿مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا...﴾ الآية، وجوابه ﷻ: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَتَتَوَّ مِنْ رَبِّي وَأَلَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي فَمُعِيتٌ عَلَيْكُمْ أَنْزِلَكُمْ كُتُوبًا وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ كُتُوبٌ﴾ [هود: ٢٨]، أي: وإني وإن كنت في البشرية مثلكم فقد خصني الله بفضله، آتاني رحمة من عنده وبرهاناً على ما جئتكم به عنه، وفي هذه القصة أوضح عظة.

(٢) في ن ٢٥: هذا.

(١) في ن ٢٥: حبل.

(٣) سقط من ن ٢٥.

ثم جرى هذا لصالح وشعيب عليهما السلام، وديدن الأمم أبداً مع أنبيائهم ارتكاب هذه المقالات، وفيها من الحيد والعجز عن مقاومتهم ما لا يخفى، وما هو شاهد على تعنتهم، ثم زاد تعالى نبيه عليه السلام تعريفاً بأحوال من تقدمه من الأنبياء، وليسمع ذلك من جرى له مثل ما جرى لهم فقال مثل مقالته، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وأعلم سبحانه أن هذا لا يحيط شيئاً من مناصبهم بل هو (أوقع) ^(١) في قيام الحججة على العباد، ثم تلي ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] أي: ليكون أبلغ من الحججة وأقطع للعذر، فزما كانوا يقولون عند اختلاف الألسنة لا نفهم عنهم، إذ قد قالوا ذلك مع اتفاق اللغات، فقد قام قوم شعيب عليه السلام: ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، هذا وهو عليه السلام يخاطبهم بلسانهم، فكيف لو كان على خلاف (ذلك) ^(٢)، بل لو خالفت الرسل عليهم السلام الأمم في التبتل وعدم اتخاذ الزوجات والأولاد واستعمال الأغذية وغير ذلك من (مألوفات) ^(٣) الشر لكان (ذلك) ^(٤) منفراً، فقد بان وجه الحكمة في كونهم من البشر، ولو كانوا من الملائكة لوقع النفار والشرود لافتراق الجنسية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، أي: ليكون أقرب إليهم لئلا يقع تنافر. فكونهم من البشر أقرب وأقوم للحجة.

ولما كانت رسالة محمد عليه السلام (عامة) ^(٥) كان عليه السلام يخاطب كل طائفة من طوائف العرب بلسانها، ويعلمها بما تفهم. وتأمل كم بين كتابه عليه السلام لأنس في الصدقة ^(٦) وكتابه إلى وائل بن حجر ^(٧) مع اتحاد الغرض، وللكتابين

(١) في ٢٠: واقع.

(٢) في ١٠: مألوفات.

(٣) في ٢٠: تامة.

(٤) البخاري: ٣٨/٢٤، ٣٩/٢٤.

مسند أحمد: ١١/١ - ١٢.

سنن أبي داود: ٣/٩ - ٤.

المستدرک: ١٤/٢ - ١٥.

(٧) انظر في ذلك القلقشندي: ٣٧١/٦.

نظائر يوقف عليها في مظانها، وكل ذلك لتقوم الحجة على الجميع.
واستمر باقي سورة إبراهيم ﷺ على التعريف بحال مكذبي الرسل
ووعيد من خالفهم وبيان بعض أهوال الآخرة وعذابها.

سورة الحجر

لما تقدم من وعيد الكفار ما تضمنته الآي المختتم بها سورة إبراهيم ﷺ
من لدن قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾
[إبراهيم: ٤٢] إلى خاتمتها، أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] أي: عند مشاهدة تلك الأهوال الجلائل، ثم
قال تعالى تأكيداً لذلك الوعيد: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَسِعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

ثم أعقب هذا ببيان ما جعله سنة في عباده من ارتباط الثواب والعقاب
معجمله ومؤجله بأوقات وأحيان لا انفكاك لها عنها ولا تقدم ولا تأخر، إذ
استعجال البطش في الغالب إنما يقع ممن يخاف الفوت، والعالم بجملتهم في
ملكه تعالى وقبضته لا يفوته أحد منهم ولا يعجزه: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مُقْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، وكان (هذا)^(١) يزيد إيضاحاً قوله سبحانه:
﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقوله: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ
يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ...﴾ الآية
[إبراهيم: ٤٨]، وتأمل نزول قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾
[الحجر: ٢] على هذا، وعظيم موقعه في اتصاله به، ووضوح ذلك كله.
أما افتتاح السورة بقوله ﷻ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١]

= الشفا للقاضي عياض: ٦٣/١.

وائل بن حجر: (ت ٥٠هـ)، هو وائل بن حجر الحضرمي القحطاني أبو هندة من أقبال
حضرموت، استعمله الرسول ﷺ على أقبال حضرموت وأعطاه كتاباً لمهاجر بن أبي
أمية وكتاباً للأقبال والعباهلة، شارك في الفتوح (أسد الغابة: ٨١/٥).

(١) سقط من ن.

فإحالة على أمرين واضحين: أحدهما: ما نبه به سبحانه من الدلائل والآيات كما تفسر، والثاني: ما بيّنه القرآن المجيد وأوضحه وانطوى عليه من الدلائل والغيوب والوعد والوعيد، وتصديق بعض ذلك بعضاً، فكيف لا يكون المتوعد به في قوة الواقع الشاهد لشدة البيان في حجة الوقوع، فالعجب من التوقف والتكذيب، ثم أعقب هذا بقوله سبحانه: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

سورة النحل

هذه السورة في التحامها بسورة الحجر (مثل الحجر)^(١) بسورة إبراهيم من غير فرق، لما قال تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَأْذِنَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩٢، ٩٣]، وقال بعد ذلك في وعيد المستهزئين: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦]، أعقب هذا بيان تعجيل الأمر فقال: ﴿أَنَّى أَمُرُّ اللَّهَ فَلَا سَتَعِجْلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وزاد هذا بياناً قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١]، فزده سبحانه نفسه عما فاهوا به في استهزائهم وشركهم وعظيم بهتهم، وأتبع ذلك ترهيباً وتعظيماً فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣].

ثم أتبع ذلك بذكر ابتداء خلق الإنسان وضعف جبلته: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: ٤]، ثم أبلغه تعالى حداً يكون منه الخصام والمحااجة، كل ذلك ابتلاء منه واختبار ليميز الخبيث من الطيب، وعقب هذا بذكر بعض ألطافه سبحانه في خلق الأنعام وما جعل فيها من المنافع المختلفة، وما هو سبحانه عليه من الرأفة والرحمة اللتين بهما أخرج العقوبة عن مستوجبها، وهدى لمن يستحق الهداية بذاته، بل كل هداية فبرأفة الخالق ورحمته، ثم أعقب ما ذكره بعد من خلق الخيل والبغال والحمير وما في ذلك كله بقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

فتبين أن كل الواقع من هداية وضلال خلقه وفعله، وأنه أوجد الكل من

(١) سقط من ١٠.

واحد، وابتدأهم ابتداءً واحداً، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ تُطْفَأَةٍ﴾ [النحل: ٤]. فلا بُدَّ في اختلاف غاياتهم بعد ذلك. فقد أَرَانَا سبحانه مثال هذا الفعل ونظيره في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ [النحل: ١٠] إلى قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ لِقَاؤُ رَبِّكَ يُفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، والله أعلم.

سورة الإسراء

لما تقدم قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية... [النحل: ١٢٣]، كان ظاهر ذلك تفضيل إبراهيم عليه السلام على محمد ﷺ وعلى جميع النبيين، لا سيما مع الأمر بالاتباع، فأعقب ذلك بسورة الإسراء، وقد تضمنت من خصائص نبينا ﷺ وانطوت على ما حصل منه المنصوص في الصحيح المقطوع به والمجمع عليه أنه ﷺ سيد ولد آدم^(١) فاستفتحت السورة بقصة الإسراء، وقد تضمنت حسبها وقع في صحيح مسلم^(٢) وغيره^(٣) إمامته للأنبياء ﷺ، وفيهم إبراهيم وموسى وغيرهما من الأنبياء من غير استثناء، هذه رواية ثابتة عن أنس وهي أقن رواية عند أهل صناعة الحديث وأجودها.

وفي حديث أبي هريرة أنه ﷺ أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً، وأنزل عليّ القرآن فيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خير أمة، وجعل أمتي وسطاً، وجعل أمتي هم الأولون والآخرين، شرح لي صدري، ووضع عني وزري، ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحاً (وخاتماً)^(٤)، فقال إبراهيم: بهذا فضلكم الله.

وفي رواية أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس وذكر سدره المنتهى، وأنه

(١) سنن الدارمي: ١٣، ابن ماجه: زهد ٣٧.

(٢) مسلم: مساجد: ٥، مسلم بشرح النووي: ٢/٢١٠.

(٣) نسائي: صلاة ١، البيهقي في دلائل النبوة: البخاري: ٢٤٧/٤.

(٤) سقط من ن.

تبارك وتعالى قال له: سل، فقال: إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً، وكلّمت موسى تكليماً، (وأعطيت داود ملكاً عظيماً، وألنت له الحديد، وسخرت له الجبال)^(١)، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً وسخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح، وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل.

فقال له ربه تعالى: قد اتخذتك حبيباً، فهو مكتوب في التوراة: محمد حبيب الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً، وأعطيتك سبعاً من المثاني، ولم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتم (سورة)^(٢) البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك، وجعلتك فاتحاً وخاتماً^(٣).

وفي حديث شريك: أنه رأى موسى في السابعة قال: بتفضيل كلام الله، قال: ثم علا به فوق ذلك ما لا يعلمه إلا الله، فقال موسى: لم أظن أن يرفع عليّ أحد^(٤).

وفي حديث علي بن أبي طالب خرّجه البزار^(٥) في ذكر تعليمه ﷺ الأذان وخروج الملك: فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل من هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق إني لأقرب مكاناً، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه...» الحديث، وفيه ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأّم أهل السماء فيهم آدم ونوح. وفي هذا الحديث، قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه: أكمل الله تعالى لمحمد ﷺ (الشرف)^(٦) على أهل السماوات والأرض.

(٢) سقط من ن ٢.

(١) سقط من ن ١.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان: ٦/١٥ وما بعدها. الطبعة الثانية مصر، ١٩٥٤م.

(٤) انظر في ذلك: جامع البيان للطبري، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير في تفسير سورة الإسراء.

(٥) هو: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. البصري صاحب المسند الكبير، ذكره الذهبي في وفيات سنة ٢٩٢هـ.

(٦) في ن ٤: الحسن.

قلت: وفي هذا الحديث إشكالات صعبة، فلهذا لم نورد منه هنا إلا أطرافاً بحسب الحاجات، إذ ليس ما فيه الإشكال من مطلوبنا هنا. وقد حصل منه تفضيله ﷺ بالإسراء، وخصوصه بذلك.

ثم قد انطوت السورة على ذكر المقام المحمود، وهو مقامه في الشفاعة الكبرى، وذلك مما خص به حسبما ثبت في الصحيح^(١)، وانعقد عليه إجماع أهل السنة، ولا أعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه التي فضل بها على كافة الأنبياء مثل ما تضمنت هذه، والحمد لله.

سورة الكهف

من الثابت المشهور أن قريشاً بعثت إلى يهود المدينة يسألونهم في أمر رسول الله ﷺ، فأجابتهم يهود بسؤاله عن ثلاثة أشياء، قالوا: فإن (جاءكم)^(٢) بجوابها فهو نبي، وإن عجز عن جوابكم فالرجل متقول، فَرَوْا فيه رأيكم، وهي: الروح، وفتية ذهبوا في الدهر الأول (وهم أهل الكهف)^(٣)، وعن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، فأنزل الله سبحانه عليه جواب ما سألوه^(٤) وبعضه في سورة الإسراء: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...﴾ الآية [الإسراء: ٨٥].

وافتح تعالى سورة الكهف بحمده، وذكر نعمة الكتاب وما أنزل بقريش وكفار العرب من البأس يوم بدر وعام الفتح، وبشارة المؤمنين بذلك، وبما منحهم الله من النعيم الدائم، وإنذار القائلين بالولد من النصارى وعظيم مرتكبهم وشناعة قولهم: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] وتسلية النبي ﷺ في أمر جميعهم: ﴿فَلَمَّا كَ تَجْعُ نَفْسَكَ...﴾ الآية [الكهف: ٦]، والتحمت الآي أعظم التحام وأحسن التثام، إلى ذكر ما سأل عنه الكفار من أمر الفتية: ﴿أَمْرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۝١﴾... [الكهف: ٩]، ثم بسطت الآي قصتهم وأوضحت أمرهم، واستوفت خبرهم.

(١) البخاري تيمم: ١.

(٢) في ن ٢: أجابكم.

(٣) بهامش ن ٢.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٠٥.

ثم ذكر سبحانه أمر ذي القرنين وطوافه وانتهاء أمره، فقال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ...﴾ [الكهف: ٨٣] الآيات، وقد فصلت بين القصتين مواعظ وآيات مستجرة على أتم ارتباط وأجلّ اتساق، ومن جملتها قصة الرجلين وجنتي أحدهما وحسن الجنتين وما بينهما، وكفر صاحبهما واغتراره، وهما من بني إسرائيل.

وقد أفصحت هذه الآي منها باغترار أحدهما بما لديه وركونه إلى توهم البقاء، وتعويل صاحبه على ما عند ربه ورجوعه إليه، وانتهاء الأمر بعد المحاوراة الواقعة في الآيات بينهما إلى إزالة ما تخيل (المغتر)^(١) بقاءه، (ورفع)^(٢) ذلك كأن لم يكن. ولم يبق بيديه إلا الندم ولا صح له من جنتيه بعد عظيم تلك البهجة سوى التلاشي والعدم، وهذه حال من ركن إلى سوى المالك ومن كل شيء إلا وجهه ﷺ فإن وهالك، ﴿إِنَّمَا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا لُغَبٌ وَلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٦] ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

ثم أعقب سبحانه ذلك بضرب مثل الحياة الدنيا لمن اعتبر واستبصر، وأعقب تلك الآيات بقصة موسى والخضر ﷺ إلى تمامها، وفي كل ذلك تأديب بني إسرائيل وتقريعهم وتوبيخ مرتكبهم في توقفهم عن الإيمان وتعنيفهم في توهمهم عند فتواهم لكفار قريش بسؤاله ﷺ عن القصص الثلاث أن قد حازوا العلم وانفردوا بالوقوف على ما لا يعلمه غيرهم، فجاء جواب قريش بما يرغم الجميع ويقطع دابرهم، وفي ذكر قصة موسى والخضر إشارة لهم لو عقلوا، وتحريك لمن سبقت له منهم السعادة، وتنبيه لكل موفق في تسليم الإحاطة لمن هو العليم الخبير.

وبعد تقريعهم وتوبيخهم بما أشير إليه عاد الكلام إلى بقية سؤالهم فقال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ إلى آخر القصة، وليس بسط هذه القصص مقصودنا، وقد (حصل)^(٣) ما أردناه، ولم يبق إلا السؤال عن وجه انفصال

(١) في ن ٢: المفتون.

(٢) في ن ٢: رجع.

(٣) في ن ١: اتصل.

جوابهم ووقوعه في السورتين مع أن السؤال واحد، وهذا ليس من شرطنا فلننساه^(١) بحول الله إلى موضعه إن قدر به.

سورة مريم

لما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والخضر، وقصة ذي القرنين، أتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب ما هو أشد عجباً وأخفى سبباً، فافتتح سورة مريم (بقصة)^(٢) يحيى بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج، حتى سأل زكريا مستفهماً متعجباً: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]، (فأجابه)^(٣) تعالى بأن ذلك عليه هين، وأنه يجعل ذلك آية للناس.

وأمر هذا أعجب من القصص المتقدمة، فكان قد قيل: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً نحن نخبرك بخبرهم ونخبرك بما هو أعجب وأغرب وأوضح آية، وهو قصة زكريا في ابنه يحيى ﷺ وقصة عيسى في كينونته بغير أب، ليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسياتها إلا بحسب سنة الله وإنما الفعل له سبحانه لا للسبب، وإلى هذا أشار قوله تعالى لزكريا ﷺ: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]. ثم أتبع سبحانه بشارة زكريا بيحيى بإتيانه الحكم صبياً. ثم بذكر مريم وابنها ﷺ وتعلقت الآي بعد إلى انقضاء السورة.

سورة طه

لما ذكر سبحانه قصة إبراهيم وما منحه وأعطاه، وقصص الأنبياء بعده وما خصهم به، وأعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

(١) نَسَا نَسَا وَمَنْسَأَ الشَّيْءُ آخَرُهُ. انظر لسان العرب: مادة نسا.

(٢) سقط من ن ٢٠. (٣) في ن ١: اجابته.

مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ ﴿[مريم: ٥٨]، وكان ظاهر الكلام تخصيص هؤلاء بهذه المناصب العلية والدرجات المنيفة الجليلة، لا سيما وقد أتبع ذلك بقوله تعالى: ﴿كَلَّمَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفَ أَصَاغُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩]، كان هذا مظنة إشفاق وخوف، فأتبعه تعالى بملاطفة نبيه محمد ﷺ ملاطفة المحبوب المقرب المجتبي فقال: ﴿مَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٦٠﴾﴾ [طه: ٢]، وأيضاً فقد ختمت سورة مريم بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُخَشِئُهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٦١﴾﴾ [مريم: ٩٨] بعد قوله: ﴿وَنُذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧].

وقد رأى ﷺ من تأخر قريش عن الإسلام ولددها ما أوجب إشفاقه وخوفه عليهم، ولا شك أنه ﷺ: (يحزنه تأخر إيمانهم ولذلك قيل له: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾﴾ [النحل: ١٢٧]، فكانه ﷺ: ^(١) ظن أنه (سيستصعب) ^(٢) المقصود من استجابتهم أو ينقطع الرجاء من إنابتهم فيطول العناء والمشقة، فبشّره سبحانه بقوله: ﴿مَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٦٠﴾﴾ [طه: ٢]، فلا عليك من لدد هؤلاء وتوقفهم فسيستجيب من انطوى على الخشية إذا ذكر وحرك إلى النظر في آيات الله، كما قيل له في موضع آخر: ﴿فَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: ٧٦]، ثم أتبع سبحانه ذلك تعريفاً وتأنيساً بقوله: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْمَرْثِ آمَنَ مَثَلٌ ﴿٦١﴾﴾ [طه: ٥] إلى أول قصص موسى ﷺ.

فأعلم سبحانه أن الكل خلقه وملكه وتحت قهره وفي قبضته، ولا يشذ شيء عن ملكه، فإذا شاء هداية من وفقه لم يصعب أمره، ثم أتبع ذلك بقصة موسى ﷺ، وما كان منه في إلقائه صغيراً في اليم، وما جرى بعد ذلك من عجيب الصنع، وهلاك فرعون، وظهور بني إسرائيل، وكل هذا مما يؤكد القصد المتقدم، وهذا الوجه الثاني أولى من الأول، والله أعلم.

(٢) في ن ٢: سيستضعف.

(١) ما بين القوسين ساقط من ن ١.

سورة الانبياء

لما تقدم قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١] إلى قوله: ﴿فَسْتَغْلَمُونَ مِنِّي أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [طه: ١٣٥]، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) [الأنبياء: ١] أي: لا تمدن عينيك إلى ذلك فإني جعلته فتنة لمن ناله (بغير حق)^(١)، وسيسأل عن قليل ذلك وكثيره: ﴿لَتُشْفَلَنَّ يَوْمَئِذٍ مِنَ النَّفِيرِ﴾ [التكاثر: ٨] والأمر قريب: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

وأيضاً فإنه تعالى لما قال: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ [مريم: ٩٧] وهم الشديديو الخصومة في الباطل، المرتكبو اللجج، ثم قال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ يُخَشِئُ مِنْهُمْ مِّنَ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]، استدعت هذه الجملة بسط حال ابتدئت بتأنيسه ﷺ، وتسليته حتى لا يشق عليه لددهم، فتضمنت سورة طه من هذا الغرض بشارته بقوله: ﴿مَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]، وتأنيسه بقصة موسى ﷺ وما كان من حال بني إسرائيل، وانتهاء أمر فرعون، ومكابدة موسى ﷺ لدد فرعون ومرتكبه، إلى أن وقصه^(٢) الله وأهلكه، وأورث عباده أرضهم وديارهم.

ثم أتبع بقصة آدم ﷺ ليري نبيه سنته في عباده، حتى أن آدم ﷺ وإن لم يكن امتحانه بذريته ولا مكابدته من أبناء جنسه فقد كابد من إبليس ما قصه الله تعالى في كتابه، وكل هذا تأنيس للنبي ﷺ، فإنه إذا تقرر لديه أنه سنة الله تعالى في عباده هان عليه لدد قريش ومكابدتهم.

ثم ابتدئت سورة الأنبياء ببقية هذا التأنيس، فبين اقتراب الحساب، ووقوع يوم الفصل المحمود فيه ثمرة ما كويد في ذات الله، والتمنى فيه أن لو كان ذلك أكثر والمشقة أصعب لجليل الثمرة (وجزيل)^(٣) الجزاء.

(١) سقط من ن ١.

(٢) وقصه الله: وقص يقص وقصاً غنقه: كسرهما، الشيء: عابه ونقصه.

(٣) في ن ٢: جليل.

ثم أتبع سبحانه ذلك بعظات ودلائل ومواعيد وبسط آيات، وأعلم أنه سبحانه قد سبقت سنته بإهلاك من لم يكن منه الإيمان من متقدمي القرون وسالف الأمم: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأنبياء: ٦]، وفي قوله: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٦] تعزية لرسول الله ﷺ في أمر قريش ومن قبيل ما الكلام بسبيله.

وقد تضمنت هذه السورة إلى ابتداء قصة إبراهيم عليه السلام، من المواعظ والتنبية على الدلالات وتحريك العباد إلى الاعتبار بها ما يعقب لمن اعتبر به التسليم والتفويض إليه سبحانه والصبر على الابتلاء، وهو من مقصود السورة، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٩] إجمال لما فسرهُ النصف الأخير من هذه السورة من تخليص الرسل وتأبيدهم الذي تضمنه النصف الأخير من لدن قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ [الأنبياء: ٥١] إلى آخر السورة وكمال للغرض المتقدم من التأنيس وملاءمة ما تضمنته سورة طه وتفسير لمجمل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُخَشِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سَمِعَ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

سورة الحج

لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿اقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، وكان وارداً في معرض التهديد، وتكرر في مواضع منها كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨]، ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣٩]، ﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [الأنبياء: ٤٦]، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، ﴿كُلُّ إِلَهِنَا رَجُومٌ﴾ [الأنبياء: ٩٣]، ﴿وَاقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكَتُوبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، إلى ما تخلل هذه الآي من

التهديد وشديد الوعيد حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وبين يديها في نظائر هذه السورة، وقد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتدئت، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول القيامة وعظيم أمرها، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ نَفْقًا رَكُمْ﴾ [الحج: ١] إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

ثم أتبع هذا ببسط الدلالة على البعث الأخير وإقامة البرهان: ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ...﴾ الآية [الحج: ٥]، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْخَقُّ﴾، أي: اطردها هذا الحكم العجيب ووضح من تقلبكم من حالة إلى حالة في الأرحام وبعد خروجكم إلى الدنيا، وأنتم تعلمون ذلك من أنفسكم، وتشاهدون الأرض على صفة من الخمود والموت إلى حين نزول الماء فتحيا وتخرج أنواع النبات وضروب الثمرات، ﴿يُسْقَى يَمْلَأُ وَيَجْرِي﴾ [الرعد: ٤]، ﴿ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْخَقُّ وَأَنْتُمْ يُحْيِ الْمَوْتِ﴾ [الحج: ٦]، كما أحياكم أولاً وأخرجكم من العدم إلى الوجود، وأحيا الأرض بعد موتها وهمودها، كذلك يأتي بالساعة من غير ريب ولا شك، ويبعثكم لما وعدتم من حسابكم جزائكم ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

سورة المؤمنون

فُضِّلَ فِي افْتِتَاحِهَا مَا أَجْمَلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وأعلم بما ينبغي للراعي الساجد التزامه من الخشوع، ولالتحام الكلامين ما ورد الأول أمراً والثاني مدحة وتعريفاً (بمزية)^(١) كمال الحال، وكأنه لما أمر (المؤمن)^(٢) وأطمع بالفلاح جزاء لامتناله كان مظنة لسؤاله عن تفصيل ما أمر به من العبادة وفعل الخير الذي به يكمل فلاحه ف قيل له: المفلح من التزم كذا وكذا، وذكر له سبعة أضرب من العبادة هي أصول لما وراءها

(١) في ن: ٢: بالمه. (٢) في ن: ٢: المؤمنين، وهذا خطأ.

ومستتبعة سائر التكاليف، وقد بُسِطَ حكم كل عبادة منها وما يتعلق بها في الكتاب والسنة.

ولما كانت المحافظة على الصلاة منافرة إتيان الإثم جملة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، لذلك ختمت بها هذه العبادات بعد التنبيه على محل الصلاة من هذه العبادات بذكر الخشوع فيها أولاً، وأتبع هذه الضروب السبعة بذكر أطوار سبعة يتقلب فيها الإنسان قبل خروجه إلى الدنيا، فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [١٦]... إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وكأن قد قيل له: إنما كمل خلقتك وخروجك إلى الدنيا بعد هذه التقلبات السبعة، وإنما تتخلص في دنياك بالتزام هذه العبادات السبع، وقد وقع عقب هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، ولعل ذلك مما يقرر هذا الاعتبار ووارد لمناسبته، والله أعلم.

وكما أن صدر هذه السورة مبين لما أجمل في الآية قبلها، فكذا الآيات بعد مفصلة لمجمل ما تقدم، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ^(١) إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ...﴾ [الحج: ٥]، وهذا كاف في التحام السورتين، والله سبحانه المستعان.

سورة النور

لما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [٥]... الآية [المؤمنون: ٥]، ثم قال تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٧] [المؤمنون: ٧]، استدعى الكلام بيان حكم العادي في ذلك، ولم يبين فيها، فأوضحه في سورة النور فقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي...﴾ الآية، ثم أتبع ذلك بحكم اللعان والقذف، وانجر مع ذلك الإخبار بقصة الإفك تحذيراً للمؤمنين من زلل الألسنة رجماً بالغيب، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]،

(١) في ن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهو خطأ.

وأُتبع ذلك بعد بوعيد محبي شيوخ الفاحشة في المؤمنين بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾ [النور: ٢٣]، ثم بالتحذير من دخول البيوت إلا بعد الاستئذان المشروع، ثم بالأمر بغض (الأبصار)^(١) للرجال والنساء، ونهي النساء عن إبداء الزينة إلا لمن سمى الله سبحانه في الآية، وتكررت هذه المقاصد في هذه السورة، إلى ذكر حكم العورات الثلاث، ودخول بيوت الأقارب وذوي الأرحام، وكل هذه مما تبرأ به ذمة المؤمن، بالتزام ما أمر الله فيه من ذلك، والوقوف عند ما حده تعالى، من أن يكون من العادين المذمومين في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَعْنَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰدُونَ﴾ [المؤمنون: ٧] وما تخلل الآي المذكورات ونُسق عليها - مما ليس من الحكم المذكور - فلاستجرار الآي إياه واستدعائه، ومظنة استيفاء ذلك، وبيان ارتباط التفسير ليس من شروطنا هنا، والله سبحانه يوفقنا لفهم كتابه.

سورة الفرقان

لما تضمنت سورة النور بيان كثير من الأحكام، كحكم الزنا، ورمي الزوجات به، والقذف والاستئذان، والحجاب، واستعفاف الفقير، والكتابة وغير ذلك، والكشف عن مغيبات من تغير حالات يُتبين بمعرفتها والاطلاع عليها الخبيث من الطيب، كإطلاعه سبحانه نبيه والمؤمنين على ما يقوله أهل الإفك، وبيان سوء حالهم واضمحلال محالهم، ثم قصة المنافقين في إظهارهم ضد ما يضمرون، ثم كريمة وعده الخلفاء الراشدين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ...﴾ [النور: ٥٥]، ثم ما فضح به تعالى منافقي الخندق: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْلُلُونَ إِلَيْكُم مِّنْ أَدْنَىٰ...﴾ [النور: ٦٣] إلى آخر الآية، كان مجموع هذا فرقاناً يعتضد به الإيمان، ولا ينكره مقر بالرحمن يشهد لرسول الله ﷺ بصحة رسالته، ويوضح مضمون قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ

(١) بهامش ٢٠.

كَذُوعًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» [النور: ٦٣] من عظيم قُدْرِهِ ﷻ وَعَلِيَّ جَلَالَتِهِ، أَتْبَعَهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْفَارِقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْمُطْلَعُ عَلَى مَا أَخْفَاهُ الْمُنَافِقُونَ وَأَبْطَنُوهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْكَفْرِ، ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، فَيَحْذَرُهُمُ مِنْ مَرْتَكِبَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَالتَّشْبِيهِ بِهِمْ، ثُمَّ تَنَاسَجَ الْكَلَامُ، وَالتَّحَمَّ جَلِيلُ الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ النِّظَامِ.

وَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنَ النِّعَى عَلَى الْكَفَّارِ وَالتَّعْرِيفِ بِبُهْتَمِهِمْ وَسُوءِ مَرْتَكِبِهِمْ مَا لَمْ يَتَضَمَّنْ كَثِيرٌ مِنْ نِظَائِرِهَا، كَقَوْلِهِمْ: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الظُّلُمَ...﴾ [الفرقان: ٧]. وَقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْقِتَابَ لَكُنَّا أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، إِلَى مَا عَصَدَ هَذِهِ وَتَخَلَّلَهَا، وَلِهَذَا خَتَمَتْ بِقَاطِعِ الْوَعِيدِ وَأَشَدِّ التَّهْدِيدِ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَدْ كَذَبْتَ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧].

سورة الشعراء

لَمَّا عَرَفَتْ سُورَةُ الْفُرْقَانِ بِشَنِيْعِ مَرْتَكِبِ الْكُفْرِ الْمُعَانِدِينَ، وَخَتَمَتْ بِمَا^(١) ذَكَرَ مِنَ الْوَعِيدِ، كَانَ ذَلِكَ مِظْنَةً لِإِسْفَاقِهِ ﷻ وَتَأْسُفِهِ عَلَى فَوْتِ إِيْمَانِهِمْ، لَمَّا جُبِلَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْإِسْفَاقِ، فَافْتَتَحَتْ السُّورَةُ الْآخَرَى بِتَسْلِيَتِهِ ﷻ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ شَاءَ لَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ آيَةً تَبْهَرُهُمْ وَتُذِلُّ جَبَابَرَتَهُمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَمَّا بَنَعَ نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ١٠٠ إِنْ شَاءَ نَزَّلَ عَلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ١٠١﴾ [الشعراء: ٣، ٤].

وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ إِرَادَةِ تَسْلِيَتِهِ ﷻ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

(١) سقط من ن.

ثم أعقب سبحانه بالتنبيه والتذكير: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّمْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ نَجْعٍ كَهَيْئَةِ ①﴾ [الشعراء: ٧]، ﴿وَلَا تَأْدبُكُمْ فِيهَا مَوْجٌ ②﴾ [الشعراء: ١٠]، وقل ما تجد في الكتاب العزيز ورود تسليته ﷺ إلا معقبة بقصص موسى ﷺ وما كابد من بني إسرائيل وفرعون، وفي كل قصة منها إحراز ما لم تحزره الأخرى من الفوائد والمعاني والأخبار، حتى لا تجد قصة تتكرر وإن ظن ذلك من لم يمعن النظر، فما من قصة من القصص المتكررة في الظاهر إلا ولو سقطت أو قدر إزالتها لنقص من الفائدة ما لا يحصل في غيرها، وستوضح هذا في التفسير بحول الله.

ثم أتبع جل وتعالى قصة موسى بقصص غيره من الأنبياء مع أهمهم على الطريقة المذكورة وتأنيساً له ﷺ حتى لا يهلك نفسه أسفاً على فوت إيمان قومه، ثم أتبع سبحانه ذلك بذكر الكتاب وعظيم النعمة به، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ③﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤]، فإيا لها كرامة تقصر الألسنة عن شكرها، وتعجز العقول عن تقديرها، ثم أخبر تعالى أنه بلسان عربي مبين، ثم أخبر سبحانه بعلي صيت الكتاب وشائع ذكره على ألسنة الرسل والأنبياء فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ لَبِىْنَا نُبُّ الْأَوَّلِينَ ④﴾ [الشعراء: ١٩٦]، وأخبر أن علم بي إسرائيل به من أعظم آية وأوضح برهان وبينه، وأن تأمل ذلك كاف واعتباره شاف، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمُ الْبُيُوتُ ⑤﴾ [الشعراء: ١٩٧]، كعبد الله بن سلام وأشباهه، ثم ويخ تعالى متوقفي العرب فقال: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْمِينَ ⑥﴾ فَرَأَاهُمْ مَا كَانُوا مِنْهُ مُخَوِّينَ ⑦﴾ [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩]، ثم أتبع ذلك بما يتعظ به المؤمن الخائف من أن الكتاب مع أنه نور وهدي قد يكون محنة في حق طائفة، كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّهُمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَكِينًا مَّرْغِيًّا ⑧﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِي قُلُوبِهِم مَّرْثًا فَرَادَهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رُءُوسِهِمْ ⑨﴾ [التوبة: ١٢٥]، فقال تعالى في هذا المعنى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ⑩﴾ لَا يَتُوبُونَ عَلَيْهِمْ ⑪﴾ [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١] الآيات.

ثم عاد الكلام إلى تنزيه الكتاب وإجلاله عن أن تتسور (الشياطين)^(١) على شيء منه أو تصل إليه، فقال سبحانه: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠، ٢١١] أي: ليسوا أهلين له، ولا يقدرّون على استراق سمعه، بل هم معزولون عن السمع ومرجومون بالشهب.

ثم وصّى تعالى نبيه ﷺ (والمراد)^(٢) المؤمنون، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُلَاقَ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا آخِرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُغْلَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، ثم أمره بالإنذار، ووصاه بالصبر فقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥]، ثم أعلم تعالى بموقع ما توهموه وأهلية ما تخيلوه فقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢] ثم وصفهم، وكل هذا تنزيه لنبيه ﷺ عما تقولوه، ثم هددهم وتوعدهم فقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

سورة النمل

لما وضع في سورة الشعراء عظيم رحمته بالكتاب، وبيان ما تضمنته مما فضح به الأعداء ورحم به الأولياء، وبرأته من أن تتسور الشياطين عليه، وباهر آياته الداعية من اهتدى بها إليه، فتميز بعظيم آياته كونه فرقاناً قاطعاً ونوراً ساطعاً، أتبع سبحانه ذلك مدحة وثناء، وذكر من شملته رحمته به تخصيصاً واعتناء، فقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ [النمل: ١] أي: الحاصل عنها مجموع تلك الأنوار: ﴿آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ١] هُذًى وَفُتًى لِلْمُتَّبِعِينَ

ثم وصفهم ليحصل للتابع قسطه من بركة المتبع، وليقوي رجاءه والنجاة مما أشار إليه، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الشعراء: ٢٢٧] من عظيم ذلك المطلع، ثم أتبع ذلك بالتنبيه على صفة الأهلين لما تقدم من القول والافتراء (تنزيهاً

(٢) سقط من ن ١.

(١) سقط من ن ١.

لعباده المتقين وأوليائه المخلصين من دنس الشكوك والامتراء^(١) فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَفْعَلُ لَهُمْ فَأَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۖ﴾ [النمل: ٤] أي: يتحiron، فلا يفرقون بين النور والظلام لارتباك الخواطر والأفهام، ثم أتبع ذلك بتسليته ﷺ بالقصص الواقعة بعد، تنشيطاً له وتعريفاً بعليّ منصبه، وإطلاعاً له على عجب صنعه تعالى فيمن تقدم.

ثم ختمت السورة بذكر (أهوال)^(٢) القيامة وبعض ما بين يديها، والإشارة إلى الجزاء، ونجاة المؤمنين، وتهديد من تنكب عن سبيله ﷺ.

سورة القصص

لما تضمن قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَٰذَا الْبَلَدَ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١] إلى آخر السورة من التخويف والترهيب والإنذار والتهديد ما انجر معه الإشعار بأنه ﷺ سيملك مكة، ويفتحها تعالى عليه، ويذل عتاة قريش ومتمرديهم، ويعز أتباع رسوله ﷺ ومن استضعفته قريش من المؤمنين، أتبع سبحانه ذلك بما قصه على نبيه من نظير ما أشار إليه (من فتنة)^(٣) بني إسرائيل، وابتداء امتحانهم بفرعون، واستيلائه عليهم وفتكه بهم، إلى أن أعزهم الله وأظهرهم على عدوهم، وأورثهم أرضهم وديارهم، ولهذا أشار تعالى في كلا القصتين كقوله في الأولى: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣]، وكقوله في الثانية: ﴿وَرَبِّيَ فِرْعَوْنُ وَهَمَنَ وَخُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦] ثم قص ابتداء أمر فرعون وحذره (واستعصامه)^(٤) بقتل ذكور الأولاد، ثم لم يغن ذلك عنه من قدر الله شيئاً، ففي حاله عبرة لمن وفق للاعتبار، ودليل أنه سبحانه المنفرد بملكه، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، (لا يزعه وازع)^(٥) ولا يمنعه عما يشاؤه مانع: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

(١) سقط من ٢٠. (٢) في ٢٠: أهل.

(٣) في ٢٠: في قصة، وما جاء بعد يؤيده. (٤) في ٢٠: استعصائه.

(٥) في ٢٠: ينزعه نازع.

وقد أفصح قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية [النور: ٥٥] بما أشار إليه مجمل ما أوضحنا اتصاله من خاتمة النمل وفاتحة القصص ونحن نزيده بياناً بذكر لمع من تفسير ما قصد التحامه فنقول: إن قوله تعالى (مُعلِّماً) ^(١) لنبيه وأمرأ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [النمل: ٩١] إلى قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرِكُمْ وَأَيِّنَّهُ﴾ [النمل: ٩٣] لا خفاء بما تضمن ذلك من التهديد وشديد الوعيد، ثم في قوله: ﴿رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ إشارة أنه ﷺ سيفتحها ويملكها لأنها بلد ربه وملكه، ففي هذا من الإشارة مثل ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩٢] أي: ليسمعوه فيتذكر من سبقت له السعادة، ويلحظ سنة الله في العباد والبلاد، ويسمع ما جرى لمن عاند وعتا وكذب واستكبر، وكيف وقصه الله وأخذه ولم يغن عنه حذره، وأورث مستضعف عباده أرضه ودياره، ويمكن لهم في الأرض، وأعز رسله وأتباعهم: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبِيِّ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعُوا بِلَاغَ الْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣]، أي يصدقون ويعتبرون ويستدلون فيستوضحون.

وقوله: ﴿سَيَّرِكُمْ وَأَيِّنَّهُ﴾ [النمل: ٩٣] يشير إلى ما حل بهم يوم بدر وبعد ذلك إلى يوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجاً، وعزة أقوام وذلة آخرين بحكم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، إلى فتح الله على الصحابة وما وعدهم به نبيهم، فكان كما وعد.

فلما تضمنت هذه الآي ما أشير إليه بما هو في قوة أن لو قيل: ليس عتوكم بأعظم من عتو فرعون وآله، ولا حال مستضعفي المؤمنين بمكة - ممن قصدتم فتنته في دينه - بدون حال بني إسرائيل حين كان فرعون يمتحنهم بذبح آبائهم، فهلاً تأملتم عاقبة الفريقين وسلكتهم أنهج الطريقين: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [غافر: ٨٢] إلى قوله: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: ٨٢]، فلو تأملتم ذلك لعلمتم أن العاقبة للمتقين فقال سبحانه بعد افتتاح السورة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

(١) سقط من ن ٢.

ثم ذكر من خبره ما فيه عبرة، وذكر سبحانه آيته الباهرة في أمر موسى وحفظه ورعايته وأخذ أم عنده إياه: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْفَعَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]، فلم (يزل)^(١) يذبح الأبناء خيفة من مولود يهتك ملكه حتى إذا كان ذلك المولود، تولى بنفسه تربيته وحفظه ليعلم لمن التدبير والإمضاء، وكيف نفوذ سابق الحكم والقضاء، فهلاً سألت قریش وسمعت وفكرت واعتبرت؟ ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الْصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [طه: ١٣٣].

ثم أتبع سبحانه ذلك بخروج موسى ﷺ من أرضه ﴿فَفَرَجَ مِنْهَا خَافًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١] وما ناله ﷺ في ذلك الخروج من عظيم السعادة، وفي ذلك منبهة لرسول الله ﷺ على خروجه من مكة، وتعزيه له، وإعلام بأنه تعالى سعيده إلى بلده ويفتحه عليه. وبهذا المستشعر من هنا صُرح آخر السورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيْنَا﴾ [القصص: ٨٥]، وهذا كاف فيما قصد.

سورة العنكبوت

افتتحت سورة القصص بذكر امتحان بني إسرائيل بفرعون، وابتلائهم بذبح أبنائهم، وصبرهم على عظيم تلك المحنة، ثم ذكر تعالى حسن عاقبتهم وثمرة صبرهم، وانجر مع ذلك مما هو منه، لكنه انفصل عن عمومه (بالنضية)^(٢) امتحان أم موسى بفراقه حال الطفولة، وابتداء (الرضاع)^(٣) وصبرها على أليم ذلك المذاق حتى رده تعالى إليها أجمل رد وأحسنه، ثم ذكر ابتلاء موسى ﷺ بأمر القبطي وخروجه خائفاً يترقب، وحسن عاقبته وعظيم رحمته، وكل هذا ابتلاء أعقب خيراً وختم برحمة.

ثم (أعقب)^(٤) بضرب آخر من الابتلاء أعقب محنة وأورث شراً وسوء فتنة، وهو ابتلاء قارون بماله وافتتانه به، ﴿فَلَمَّسْنَا بِهِ يَدَيْهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، فحصل من هذا أن الابتلاء في غالب الأمر سته جرت منه

(٢) في ن: ٢: بالقضية.

(٤) سقط من ن: ٢.

(١) سقط من ن: ٢.

(٣) في ن: ١: الصدع.

سبحانه في عباده ليميز الخبيث من الطيب، وهو المنزه عن الافتقار إلى تعرف أحوال العباد بما يتبليهم به، إذ قد علم ذلك منهم قبل كونه، إذ هو موجدته وخالقه، كان خيراً أو شراً، فكيف يغيب عنه، أو يفترق تعالى إلى ما به يتعرف أحواله أو يتوقف علمه على سبب، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، ولكن هي سنة في عباده ليظهر لبعضهم من بعض عند الفتنة والابتلاء ما لم يكن ليظهر قبل ذلك، حتى يشهدوا على أنفسهم، وتقوم الحجة عليهم باعترافهم، ولا افتقار (به تعالى إلى شيء من ذلك)^(١).

فلما تضمنت سورة القصص هذا الابتلاء في الخير والشر وبه وقع افتتاحها واختتامها، هذا وقد انجر بحكم الإشارة أولاً خروج نبينا ﷺ من بلده ومنشئه ليأخذ ﷺ بأوفر حظ مما ابتلي به الرسل والأنبياء من مفارقة الوطن وما يحرز لهم الأجر المناسب لعلي درجاتهم ﷺ، ثم بشارته ﷺ آخر بالعودة والظفر ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، فأعقب سبحانه هذا بقوله معلماً للعباد ومنها أنها سنة فيهم فقال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] أي أحسبوا أن يقع الاكتفاء بمجرد استجابتهم وظاهر إنابتهم، ولما يقع امتحانهم بالشدائد والمشقات وضروب الاختبارات: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فإذا وقع الابتلاء، فمن فريق يتلقون ذلك تلقى العليم أن ذلك من عند الله ابتلاء واختبار، فيكون تسخييراً لهم وتخليصاً، ومن فريق يقابلون ذلك بمرضاة الشيطان والمسارة إلى الكفر والخذلان: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦].

ثم أتبع سبحانه هذا بذكر حال بعض الناس ممن يدعي الإيمان، فإذا أصابه أدنى أذى من الكفار صرفه ذلك عن الإيمان، وكان عنده مقاوماً لعذاب الله الصارف لمن عرفه عن الكفر والمخالفة، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]،

(١) سقط من ن. ١.

فكيف حال هؤلاء في تلقي ما هو (أغرق في المحنة وأشد في الفتنة)^(١).

ثم أتبع سبحانه ذلك بما به يتأسى الموفق، من صبر الأنبياء ﷺ، وطول مكابدتهم من قومهم، فذكر نوحاً وإبراهيم ولوطاً، وشعيباً (وخص هؤلاء ﷺ بالذكر لأنهم من أعظم الرسل مكابدة وأشدهم ابتلاء، أما نوح ﷺ فلبث في قومه - كما أخبر الله سبحانه - ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما آمن معه إلا قليل، وأما إبراهيم فرمي بالمنجنيق في النار، فكانت عليه برداً وسلاماً، وقد نطق الكتاب العزيز بخصوص المذكورين صلى الله عليهما وعلى الرسل والأنبياء أجمعين بضروب من الابتلاءات حصلوا على ثوابها وفازوا من عظيم الرتبة النبوية العليا بأسنى نصابها)^(٢)، ثم ذكر تعالى أخذ المكذبين من أمهم فقال: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ثم وصى نبيه ﷺ وأوضح حجته، وتتابع اتساق الكلام إلى آخر السورة.

سورة الروم

لما (عُفِّ)^(٣) سبحانه أهل مكة، ونعى عليهم قبح صنيعهم في التغافل عن الاعتبار بحالهم، وكونهم مع قلة عددهم قد منع الله بلدهم عن قاصد نهبه وكف أيدي العتاة والمتمردين عنهم مع (تعاور)^(٤) أيدي المنتهبين على من حولهم، وتكرر ذلك واطاراده، صوناً منه تعالى لحرمة بيته فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا مَنَا وَيَخَافُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، أي: أو لم يكفهم هذا في الاعتبار ليتبينوا أن ذلك ليس عن قوة منهم ولا حسن دفاع، وإنما هو بصون الله إياهم بمجاورة بيته وملازمة أمنه مع أنهم أقل العرب، أفلا يرون (قدر)^(٥) هذه النعمة ويقابلونها بالشكر والاستجابة قبل أن يُحلّ بهم نقمه ويسلبهم نعمه.

(١) في ٢: أعظم من الفتنة وأشد في المحنة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ١. (٣) في ٢: اعقب.

(٤) في لسان العرب: تعاوروا الشيء: تداولوه فيما بينهم.

(٥) سقط من ٢.

فلما قدم تذكارهم بهذا أعقب بذكر طائفة هم أكثر منهم وأشد قوة وأوسع بلاداً، وقد أيد عليهم غيرهم ولم يغن عنهم انتشارهم وكثرتهم، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ لَئِيْلٌ مُنْقَلَبٌ﴾ [الروم: ١ - ٣]، فذكر تعالى غلب غيرهم لهم وأنهم ستكون لهم كرة ثم يغلبون، وما ذاك إلا بنصر الله من يشاء من عبيده، ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٥]، فلو كُشف عن أبصار من كان بمكة من الكفار لرأوا أن اعتصام بلادهم وسلامة ذرياتهم وأولادهم مما يتكرر على من حولهم من الانتهاب والقتل وسبي (الذاري) (١) والحرم إنما هو بمنع الله تعالى وكريم صونه لمن جاور حرمة وبيته، وإلا فالروم أكثر عدداً وأطول مدداً ومع ذلك تتكرر عليهم الفتكات والغارات وتتوالى عليهم الغلبات، أفلا يشكر أهل مكة من أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف؟.

وأيضاً فإنه سبحانه لما قال: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوةُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أتبع ذلك سبحانه بذكر تقلب حالها وتبين اضمحلالها ومحالها، وأنها لا تصفو ولا تتم، وإنما حالها أبداً التقلب وعدم الثبات، فأخبر بأمر هذه الطائفة التي هي من أكثر أهل الأرض وأمكنهم وهم الروم، وأنهم لا يزالون مرة عليهم وأخرى لهم، فأشبهت حالهم هذه حال اللهو واللعب، فوجب اعتبار العاقل بذلك، وطلبه الحصول على تنعم دار لا ينقلب حالها ولا يتوقع انقلابها وزوالها: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوةُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ومما يقوي هذا قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧] أي: لو علموا باطنها لتحققوا أنها لهو ولعب، ولعرفوا أمر الآخرة، (فبتبين حال الدنيا تلوح حال) (٢) الآخرة: من عرف نفسه عرف ربه.

ومما يشهد لكل من القصدين ويعضد كلا الأمرين قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فِي سُرُورٍ﴾ [الروم: ٩] أي: لو فعلوا هذا وتأملوه لشاهدوا من تقلب أحوال الأمم وتغير الأزمنة والقرون ما بني لهم عدم بقائها على أحد،

(١) في ن: الذاري.

(٢) سقط من ن.

فتحققوا لهوها ولعبها، وعلموا أن حالهم ستؤول إلى حال من ارتكب مرتكبهم في العناد والتكذيب وهو (التياب)^(١) والهلاك.

سورة لقمان

لما تكرر (في سورة الروم)^(٢) الأمر بالاعتبار والحض عليه، والتنبيه بعجائب المخلوقات كقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم: ٨]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي الْآرِضِ﴾ [الروم: ٩]، وقوله: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ١١]، وقوله: ﴿يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: ١٩] إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]، وهي عشر آيات تحملت من جليل الاعتبار والتنبيه ما لا يبقى معه شبهة ولا توقف لمن وفق إلى ما بعد هذا من آيات التنبيه ويسط الدلائل، وذكر ما فطر عليه العباد، وضرب الأمثال الموضحة سواء السبيل لمن عقل معانيها وتدبر حكمها، إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨]، وهي إشارة إلى ما أودع سبحانه كتابه المبين من مختلف الأمثال وشتى العظات، وما تحملت هذه السورة من ذلك، أتبع سبحانه ذلك بقوله الحق: ﴿آلَٰهَ ۖ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١، ٢] أي دلائله وبراهينه المنصوبة لمن وفق وسبقت له الحسنی وهم المحسنون الذين ذكرهم بعد، ووصف الكتاب بالحكيم يشهد لما مهدناه.

ثم أشار سبحانه إلى من حُرم منفعته والاعتبار به فاستبدل الضلالة بالهدى، وتنكب عن سنن فطرة الله التي فطر الناس عليها، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...﴾ [لقمان: ٦] الآيات، ثم أتبع ذلك بما يبيك كل معاند ويقطع بكل جاحد، فذكر خلق السماوات بغير عمد مرئية مشاهدة، لا يمكن في أمرها امتراء، ثم ذكر^(٣) خلق الأرض وما أودع فيها، ثم قال

(٢) سقط من ن ٢.

(١) في ن ٢: التبار.

(٣) سقط من ن ١.

سبحانه: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]. ثم أتبع ذلك بذكر من هداه سبيل الفطرة فلم ترغ به الشبه ولا تنكب سوء السبيل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ...﴾ [الآيات [لقمان: ١٢]، ليبين لنا سنن^(١) من اتبع فطرة الله التي تقدم ذكرها في سورة الروم، ثم تناسق الكلام (وانتسج)^(٢).

سورة السجدة

لَمَّا انطوت سورة الروم على ما قد أشير إليه من التنبيه بعجائب ما أودعه سبحانه في عالم السماوات والأرض، وعلى ذكر الفطرة، ثم أتبع بسورة لقمان تعريفاً بأن مجموع تلك الشواهد من آيات الكتاب وشواهد دلائله، وأنه قد هدى من شاء إلى سبيل الفطرة، وإن لم يمتحنه بما امتحن به كثيراً ممن ذكر فلم يغن عنه، ودعي فلم يجب، وتكررت عليه الإنذارات فلم يصغ لها، ليعلم أن كل ذلك - من الهدى والضلال - واقع بمشيئته وسابق لإرادته، وأتبع سبحانه هذا بما ينبه المعتبر على صحته فقال: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢]، فأعلم سبحانه أن الخلاص والسعادة في الاستسلام له ولما يقع من أحكامه، وعزى نبيه وصبره بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ [لقمان: ٢٣].

ثم ذكر تعالى لجأ الكل (إليه)^(٣) قهراً ورجوعاً بحاكم اضطرارهم لوضوح الأمر فقال: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ثم وعظ الكل بقوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، أي: إن ذلك لا يشق عليه تعالى ولا يصعب، والقليل والكثير سواء، ثم نبه بما يبين ذلك من إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل، وجريان الفلك بنعمته: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [لقمان: ٣٠].

ثم أكد ما تقدم من رجوعهم في الشدائد إليه فقال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ

(١) في ن ٢: وليس لتأسيس، وهذا خطأ. (٢) في ن ٢: وتناسج.

(٣) سقط من ن ٢.

كَالظَّلِيلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿[لقمان: ٣٢]﴾، فإذا خلصهم سبحانه ونجاهم عادوا إلى شتى أحوالهم، هذا وقد عاينوا رفقهم بهم وأخذهم عند الشدائد بأيديهم، وقد اعترفوا بأنه خالق السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر، وذلك شاهد عن حالهم بجريانهم على ما قدر لهم، ووقوفهم عند حدود السوابق: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، ثم عطف سبحانه على الجميع فدعاهم لتقواه، وحذرهم من هول (يوم ميعادهم وشدته)^(١)، وحذرهم من الاغترار، وأعلمهم بأنه المنفرد بعلم الساعة، ويأنزال الغيث، وعلم ما في الأرحام وما يقع من المكتسبات، وحيث (يموت)^(٢) كل واحد من المخلوقات.

فلما كانت سورة لقمان بما بين من مضمونها محتوية على التنبيه والتحريك على ما ذكر، ومعلّمة بانفراده سبحانه بخلق الكل وملكهم، أتبعها سبحانه بما يحكم بتسجيل صحّة الكتاب، وأنه من عنده، وأن ما انطوى عليه من الدلائل والبراهين يرفع كل ريب ويزيل كل شك، فقال تعالى: ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ ﴿[السجدة: ١ - ٣]﴾، أي: أيقع منهم هذا بعد وضوحه وجلاء شواهد؟ ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [السجدة: ٣].

ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤]، وهو تمام لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٢]، ولقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ولقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَا اللَّهَ﴾ [لقمان: ٣٢]، ولقوله: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا نَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] بما ذكّرتهم؟ ألا ترون أمر لقمان وهدايته بمجرد دليل فطرته؟ فما لكم بعد النذير، وتقريع الزواجر، وترادف الدلائل، وتعاقب الآيات، تتوقفون عن الإيمان؟ وقد أقررتم بأنه سبحانه خالقكم، ولجأتم إليه عند احتياجكم.

ثم أعلم نبيه برجوع من عاند وإجابته حين لا ينفعه رجوع ولا تغني عنه

(١) بهامش ن ٢.

(٢) في ن ٢: يفوت.

إجابة، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، ثم أعلم سبحانه أن الواقع منهم إنما هو بإرادته، وسابق من حكمه ليأخذ الموقف الموقن نفسه بالتعليم، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣] كما فعلنا بلقمان ومن أردنا توفيقه.

ثم ذكر انقسامهم بحسب السوابق، فقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨]، ثم ذكر مصير الفريقين ومال الحزبين، ثم أتبع ذلك بسوء حال من ذُكر فأعرض فقال: ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فُؤِاْ عَرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢]، وتعانق الكلام إلى آخر السورة.

سورة الأحزاب

افتتحها سبحانه بأمر نبيه باتقائه، ونهيه عن الصغو إلى الكافرين والمنافقين، واتباعه ما يوحى إليه، تنزيهاً لقدره عن محنة من سبق له الامتحان ممن قدم ذكره في سورة السّجدة، وأمرأ له بالتسليم لخالفه والتوكل عليه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣]، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

ولما تحصل من السورتين قبل ما يعقب العالم من الخوف أشده لغيبة العلم بالخواتم، وما جرى في السورتين من الإشارة إلى السوابق، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣]، كان ذلك مظنة لتبئيس نبي الله ﷺ وصالحى عباده، فلهذا أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس والبشارة ما يجري على المعهود من لطفه تعالى وسعة رحمته، فافتتح سبحانه السورة بخطاب نبيه بالتقوى، وإعلامه بما قد أعطاه من سلوك سبيل النجاة وإن ورد على طريق الأمر ليشعره باستقامة سبيله واستيضاح دليله، وخاطبه بلفظ النبوة لأنه أمر ورد عقب تخويف وإنذار، وإن كان ﷺ قد نزه الله قدره عن أن يكون منه خلاف التقوى، وعصمه عن كل ما ينافر نزاهة حاله وعليّ منصبه، ولكن طريقة خطابه تعالى للعباد أنه مهما جرد ذكرهم للمدح من غير أمر ولا نهى فهو موضع ذكرهم بالأخص للمدح من محمود صفاتهم، ومنه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ...﴾ [الفتح: ٢٩]، فذكره ﷺ باسم

الرسالة، ومهما كان الأمر أو النهي عدل في الغالب إلى الأعم ومنه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ أَنَّ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَرِيصُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا طَلَقْتَهُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [المتحنة: ١٢].

وقد بسط في التفسير، وبين أن ما ورد على خلاف هذا القانون فلسبب خاص استدعى العدول عن المطرد كقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، فوجه هذا أن قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ لَّكَ تَفْعَلُ مَا بَلَّغْتَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] موقعه شديد، فعودل بذكره ﷺ باسم الرسالة لضرب من التلطف، فهو من باب: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، وفيه بعض (غموض)^(١)، وأيضاً فإنه لما قيل له: ﴿بَلِّغْ﴾ طابق هذا ذكره بالرسالة، فإن المبلغ رسول، والرسول مبلغ، ولا يلزم النبي أن يبلغ إلا أن يرسل.

وأما قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ﴾ [المائدة: ٤١] فأمره وإن كان نهياً أوضح من الأول، لأنه تسلية له ﷺ وتأنيس، وأمر بالصبر والرفق بنفسه، فبابه راجع إلى ما يرد مدحاً مجرداً عن الطلب، وعلى ما أشير إليه يخرج ما ورد من هذا.

ولما افتتحت هذه السورة بما حاصله ما قدمناه من إعلامه ﷺ من هذا الأمر بعليّ حاله وتنزيه قدره، ناسب ذلك ما احتوت عليه السورة من باب التنزيه في مواضع، منها: إعلامه تعالى بأن أزواج نبيه أمهات المؤمنين، فنزّههن عن أن يكون حكمهن حكم غيرهن من النساء، مزية لهن وتخصيصاً، وإجلالاً لنبيه ﷺ، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ...﴾ الآية [الأحزاب: ٢٢] فنزّههم عن طُروُّ شك أو دخول ارتياب على صون معتقداتهم وجليل إيمانهم: ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، والآية بعد ذلك هي قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾ الآية [الأحزاب: ٢٣]، ومنها: ﴿يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسَنًا كَاسِحَةً مِنْ

(١) في ن: تعرض، لعلها تعرض.

الْإِسَاءَ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴿[الأحزاب: ٣٢]﴾، فنزههن تعالى وبين شرفهن على من عداهن، ومنها تنزيه أهل البيت وتكريمهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٣]، ومنها الأمر بالحجاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، فنزه المؤمنات عن حالة الجاهلية والتبرج وعدم الحجاب، وصانهن عن التبذل والامتهان، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى﴾ [الأحزاب: ٦٩] فوقاهم جل وتعالى ونزههم بما نهاهم عنه أن يتشبهوا بمن استحق اللعن والغضب في سوء أدبهم وعظيم مرتكبهم، إلى ما تضمنت السورة من هذا القليل.

ثم أتبع سبحانه ما تقدم بالبشارة العامة واللفظ الشامل كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، ثم قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٧﴾ [الأحزاب: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذَكَرًا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٨﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٩﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُمُ [الأحزاب: ٤١-٤٣]، إلى قوله: ﴿أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ الآية [الأحزاب: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى قوله: ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقوله: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣]، وقوله سبحانه مثنياً على المؤمنين بوفائهم وصدقهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢] إلى قوله: ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقوله سبحانه تعظيماً لحرمة نبيه والمؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] إلى قوله: ﴿وَأَنَّمَا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(وفي)^(١) هذه الآيات من تأنيس المؤمنين وبشارتهم وتعظيم حرمتهم ما

(١) في ن ٢: وهي.

يكسر سورة الخوف الحاصل في سورتي لقمان والسجدة، ويسكن روعهم تأنيساً لا رفعاً.

ومن هذا القبيل ما تضمنت السورة أيضاً من تعداد نعمه عليهم وتحسين خلاصهم كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] إلى قوله: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١]، وقوله: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧]، وختم السورة بذكر التوبة والمغفرة والرحمة أوضح شاهد لما تمهد من جليل قصدها وبنائها على ما وضح، والحمد لله.

ولما كان حاصلها رحمة ولطفاً ونعمة، لا يقدر عظيم قدرها، وينقطع العالم دون الوفاء بشكرها، أعقب بما ينبغي من الحمد.

سورة سبا

افتتحت بالحمد لله تعالى، لما أعقب بها ما انطوت عليه سورة الأحزاب من عظيم تلك الآلاء وجيل النعماء حسبما بين آنفاً، فكان مظنة الحمد على ما منح عباده المؤمنين وأعطاهم فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَأْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا: ١] ملكاً واختراعاً، وقد أشار هذا إلى إرغام من توقف منقطعاً عن فهم تصرفه سبحانه في عباده بما تقدم، وتفريقهم بحسب ما شاء، فكان قد قيل: إذا كانوا له ملكاً وعبيداً فلا يتوقف في فعله بهم ما فعل من التيسير للحسنى أو لغير ذلك مما شاء بهم على فهم عليه (أو استطلاع)^(١) سبب، بل يفعل فيهم ما شاء وأراد من غير حرج ولا منع، وهو الحكيم الخبير بوجوه الحكمة في ذلك التي خفيت عنهم.

وأشار قوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبا: ١] إلى أنه سيطلع عباده

(١) في ٢: استطاع.

المؤمنين من موجبات حمده بما يمنحهم ويضاعف لهم من الجزاء وعظيم الثواب في الآخرة على ما لم تبلغه عقولهم في الدنيا ولا وفّت به أفكارهم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

ثم أتبع سبحانه ما تقدم من حمده على ما هو أهله ببسط شواهد حكمته وعلمه، فقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سبأ: ٢] إلى قوله: ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢]، فبرحمته وغفرانه أنال عباده المؤمنين ما خصهم به وأعطاهم، فله الحمد الذي هو أهله.

ثم أتبع هذا بذكر إمهاله من كذب وكفر مع عظيم اجترامهم لتبين سعة رحمته ومغفرته، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [سبأ: ٣] إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩] أي: إن في إمهاله سبحانه لهؤلاء بعد عتوهم واستهزائهم في قولهم: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [سبأ: ٣]، وقولهم: ﴿هَلْ نَدْكُرْ عَلَى رَجُلٍ يَنْتَحِكُمْ إِذَا مِزَقَّتْ كُلُّ مِزْقٍ إِيَّكُمْ لِمَن خَلَقَ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]، وإغضائهم عن الاعتبار بما بين أيديهم من السماء والأرض، وأمنهم أخذهم من أي الجهات شاء، ففي إمهالهم وإدرار أرزاقهم مع عظيم مرتكبهم آيات لمن أناب واعتبر.

ثم بسط لعباده المؤمنين من ذكر آلائه ونعمه وتصريفه في مخلوقاته ما يوضح استيلاء قهره وملكه، ويشير إلى عظيم ملكه، كما أعلم في قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَلِكْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١]، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، ثم قال: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ [سبأ: ١٢] إلى قوله: ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، ثم أتبع ذلك بذكر حال من لم يشكر، فذكر قصة سبأ إلى آخرها، ثم وبخ تعالى من عبد غيره معه بعد وضوح الأمر وبيانه، فقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سبأ: ٢٢] إلى وصفه حالهم الأخروي ومراجعة متكبريهم ضعفاءهم، وضعفائهم متكبريهم. ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [سبأ: ٣٣]، ثم التحمت الآي جارية على ما تقدم من لدن افتتاح السورة إلى ختمها.

سورة فاطر

لما أوضحت سورة سبأ أنه سبحانه مالك السماوات والأرض، ومستحق الحمد في الدنيا والآخرة، أوضحت هذه السورة أن ذلك خلقه كما هو ملكه، وأنه الأهل للحمد والمستحق، إذ الكل ملكه وخلقه، وكأن السورة الأولى تجردت لتعريف العباد بأن الكل ملكه، ولذلك دارت آيها على تعريف عظيم ملكه.

فقد أعطى داود وسليمان عليهما السلام ما هو النقطة من (البحار)، فلان الحديد، وانقادات الرياح والوحوش والطيور والجن والإنس مذلة خاضعة، ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْقَالِ ذَرْفٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَكُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، تعالى ربنا عن الظهير والشريك والتذ، وتقديس ملكه عن أن تحصره العقول أو تحيط به الأفهام، فتجردت سورة سبأ لتعريف العباد بعظيم ملكه سبحانه، وتجردت هذه الأخرى للتعريف بالاختراع والخلق.

ويشهد لهذا استمرار آي سورة فاطر على هذا الغرض من التعريف، وتنبيهها على الابتداءات كقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ لَا يُلَاحِظُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [فاطر: ١٧]، وقوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَفْتَحْ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَتِهِ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يُرْزَقُكُمْ﴾ [فاطر: ٣]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا...﴾ [فاطر: ٨] الآية، وقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ مَوَابٍ...﴾ [فاطر: ٩] الآية، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَارٍ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [فاطر: ١٣]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، فهذه عدة آيات معرفة بابتداء الخلق والاختراع، أو مشيرة، ولم يقع من ذلك في سورة سبأ آية واحدة. (ثم) ^(١) إن سورة سبأ جرت آيها على نهج تعريف الملك والتصرف فيه والاستبداد بذلك والانفراد به.

(١) في ١٥: كما.

وتأمل افتتاحها وقصة داود وسليمان وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْفَالْ ذَرْوْ...﴾ الآية [سبأ: ٢٢] يتضح لك ما أوردناه، وما انجر في السورتين مما ظاهره الخروج عن هذين الغرضين فملتحم ومُستدعى بحكم الانجرار وبحسب استدعاء مقاصد الآي، رزقنا الله الفهم عنه بمنه (وكرمه) ^(١).

سورة يس

لما أوضحت سورة سبأ وسورة فاطر من عظيم ملكه تعالى وانفراده بالملك والخلق والاختراع ما تنقطع العقول دون (تصور) ^(٢) أدناه، ولا تحيط من ذلك إلا بما شاء، وأشارت من البراهين والآيات إلى ما يرفع الشكوك ويوضح السلوك، مما كانت الأفكار قد خمدت عن إدراكها واستولت عليها الغفلة، فكان قد جمدت عن معهود حراكها، ذكر سبحانه بنعمة التحريك إلى اعتبارها بشأنه على من اختاره لبيان تلك الآيات واصطفاه لإيضاح تلك البينات فقال تعالى: ﴿يَسَ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾ [يس: ١ - ٤]، ثم قال: ﴿لَنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَيْنَا بِهِمُ غَيْغَيَاتٍ ۝﴾ [يس: ٦]، فأشار سبحانه إلى ما تثمره نعمة الاعتبار ويعقبه التيقظ بالتذكار، ثم ذكر علة من عمي بعد تحريكه، أو ذلك مسبب عن الطبع وشر السابقة: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ...﴾ الآيات [يس: ٧].

ثم أشار بعد إلى أن بعض من عمي عن عظيم تلك البراهين لأول وهلة قد يهتز عند تحريكه لسابق سعادته، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ۝﴾ [يس: ١٢]، فكلنا نفعل بهؤلاء إذا شئنا هدايتهم، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. ثم ذكر دأب المعاندين وسبيل المكذابين مع بيان الأمر فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ۝﴾ الآيات [يس: ١٣]، وأتبع ذلك سبحانه بما أودع في الوجود من الدلائل الواضحة والبراهين، فقال تبارك وتعالى:

(١) سقط من ٢٠.

(٢) في ٢٠: تطور.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ...﴾ الآية [يس: ٣١]، ثم قال: ﴿وَمَا آيَةٌ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ الْبَرْقُ﴾ [يس: ٣٣] إلى قوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٥]، ثم قال: ﴿وَمَا آيَةٌ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ الْبَرْقُ﴾ [يس: ٣٧] إلى قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، [يس: ٤٠]، ثم قال: ﴿وَمَا آيَةٌ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ الْبَرْقُ﴾ [يس: ٤٤].

ثم ذكر إعراضهم مع عظيم هذه البراهين، وتكذيبهم، وسوء حالهم عند بعثهم، وندمهم، وتوبيخهم، وشهادة أعضائهم بأعمالهم، ثم تناسجت الآي جارية على ما يلائم ما تقدم إلى آخر السورة.

سورة الصافات

لما تضمنت سورة يس من جليل التنبيه وعظيم الإرشاد ما يهتدي به الموفق باعتبار بعضه، ويشغل المعتبر به في تحصيل مطلوبه وغرضه، ويشهد بأن الملك إنما هو لواحد رغم أنف المعاند والجاحد، أتبعها تعالى بالقسم على وحدانيته فقال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتُ صَفًّا ۝١﴾ فَالزَّاجِرَاتُ زَجْرًا ۝٢﴾ فَالْمُتَلَكِّاتُ ذِكْرًا ۝٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥﴾ [الصافات: ١ - ٥]، ثم عاد الكلام إلى التنبيه، بعجيب مصنوعاته فقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا بِنْتِ الْكَوكِبِ ۝١﴾ [الصافات: ٦] إلى قوله: ﴿شِهَابٌ مُنْقَطِعٌ ۝١٠﴾ [الصافات: ١٠]، ثم أتبع بذكر عناد من جحد مع بيان الأمر ووضوحه وضعف ما خلقوا منه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۝١١﴾ [الصافات: ١١]، ثم ذكر استبعادهم العودة الأخراوية وعظيم حيرتهم وندمهم إذا شاهدوا ما به كذبوا، والتحمت الآي إلى ذكر الرسل مع أمهم، وجريهم في العناد والتوقف والتكذيب على سنن متقارب، وأخذ كل بذنبه، وتخليص رسل الله وحزبه، وإبقاء جميل ذكرهم باصطفائه وقربه. ثم عاد الكلام إلى تعنيف المشركين وبيان إفك (المعاندين)^(١) إلى ختم السورة.

(١) في ن ٢: المعتدين.

سورة ص

لما ذكر تعالى حال الأمم السالفة مع أنبيائهم في العتو والتكذيب، وأن ذلك أعقبهم الأخذ الويل (الويل)^(١) الطويل، كان هذا مظنة لذكر حال مشركي العرب وبيان سوء مرتكبهم، وأنهم قد سبقوا إلى ذلك الارتكاب، فحل بالمعاند سوء العذاب، فبسط حال هؤلاء وسوء مقاتلهم ليعلم أنه لا فرق بينهم وبين مكذبي الأمم السالفة في استحقاق العذاب وسوء الانقلاب، وقد وقع التصريح بذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾ [ص: ١٢] إلى قوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٤].

ولما أعقب سبحانه هذا بذكر استعجالهم العذاب في قولهم: ﴿عَجَلْنَا قَطَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] أتبع ذلك بأمر نبيه ﷺ بالصبر فقال: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧]، ثم تأنيسه بذكر الأنبياء وحال المقربين الأصفياء: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

سورة الزمر

لما بُنيت سورة ص على ذكر (حال)^(٢) المشركين وعنادهم، وسوء ارتكابهم واتخاذهم الأنداد والشركاء، ناسب ذلك ما افتتحت به سورة الزمر من الأمر بالإخلاص الذي هو نقيض حال من تقدم، وذكر ما عنه يكون، وهو الكتاب، فقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاغْبِرْ لِلَّهِ تَخْلَصًا لَهُ الَّذِيكَ﴾ [الزمر: ١ - ٢]، وجاء قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ...﴾ الآية [الزمر: ٣] في معرض أن لو قيل: عليك بالإخلاص ودع من أشرك ولم يخلص فسترى حاله، وهل ينفعهم اعتذارهم بقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وهؤلاء هم الذين بنيت سورة ص على ذكرهم، ثم ويخهم تعالى وقرعهم

(١) سقط من ن ٢٠.

(٢) سقط من ن ٢٠.

فقال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا...﴾ الآية [الزمر: ٤] فنزه نفسه عن عظيم مرتكبهم بقوله: ﴿سُبْحَنَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، ثم ذكّرهم بما فيه أعظم شاهد من خلق السماوات والأرض، وتكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل، وذكر آيتي النهار والليل، ثم خلق الكل من البشر من نفس واحدة وهي نفس آدم ﷺ.

ولما حرك تعالى إلى الاعتبار بعظيم هذه الآيات، وكانت أوضح شيء وأدل شاهد، وأعقب ذلك بما يشير إلى معنى التعجب من توقفهم بعد هذا البيان، وذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَن تَصْرُوْنَ﴾ [الزمر: ٦] أي: العجب من أمركم بعد وضوح الدلائل، ثم بين أنه غني عن الكل بقوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ [الزمر: ٧] ثم قال: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، فبين أن من اصطفاه وقرّبه واجتباها من العباد لا يرضى له الكفر، وحصل من ذلك بمفهوم الكلام أن الواقع من الكفر إنما وقع بإرادته ورضاه لمن ابتلاه به.

ثم آنس من آمن ولم يتبع سبيل أبيه وقبيلته من المشار إليه في السورة قبل، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٧]، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ثم تناسجت الآية والتحمت الجمل إلى خاتمة السورة.

سورة المؤمن^(١)

لما افتتح سورة الزمر (بالأمر)^(٢) بالإخلاص وذكر سببه، والحامل بإذن الله عليه وهو الكتاب، وأعقب ذلك بالتعريض بذكر من بنيت على قصصهم سورة ص، وتتابع الآي في ذلك الغرض إلى توبيخهم بما ضربه سبحانه من المثل الموضح فيه قوله: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا أَرِجْلًا﴾ [الزمر: ٢٩]، ووصف الشركاء بالمشاكسة إذ بذلك الغرض

(٢) بهامش ن ٢.

(١) في ن ١: المؤمن، وهو خطأ.

يتضح عدم استمرار (مراد)^(١) لأحدهم، وذكر قبح اعتذارهم بقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]، ثم أعقب تعالى بالإعلام بقهره وعزته حتى لا يتخيل مخذول شذوذ أمر عن يده وقهره، فقال تعالى: ﴿إِلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] إلى قوله: ﴿إِلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٧].

ثم أتبع ذلك بحال أندادهم في أنها لا تضر ولا تنفع، فقال: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨]، ثم أتبع هذا بما يناسبه من شواهد عزته فقال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٦]، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الزمر: ٥٢]، ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣]، ثم عنفهم وقرعهم بجهلهم فقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَتَعْبَرُوا اللَّهَ تَأْمُرُونِي أَنْعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، ثم قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ثم أتبع تعالى بذكر آثار العزة والقهر، فذكر النفخ في الصور للصق، ثم نفخة القيام والعرض والجزاء، ومصير الفريقين، فتبارك المنفرد بالعزة والقهر.

فلما انطوت هذه الآي من آثار عزته وقهره على ما أشير إلى بعضه أعقب سبحانه بقوله: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١]، فذكر من أسمائه سبحانه هذين الاسمين العظيمين تنبيهاً على انفراده بموجبهما، وأنه العزيز الحق القاهر لعلمه تعالى بأوجه الحكمة التي خفيت عن الخلق، فأخر الجزاء الحتم للدار الآخرة، وجعل الدنيا دار ابتلاء واختبار، مع قهر للكل في الدارين معاً، وكونهم غير خارجين عن ملكه وقهره.

ثم قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] تأنيساً لمن استجاب بحمده وأنان بلفظه، وجرياً على حكم سابقة الرحمة وتقليبها، ثم قال:

(١) في ٢٠: مداد.

﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] ليأخذ المؤمن بلازم عبوديته من الخوف والرجاء، واكتنف قوله: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] ليأخذ بقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، وقوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]، وأشار سبحانه بقوله: ﴿فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْيَلْدِ﴾ [غافر: ٤] إلى قوله قبل: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤]، وكأنه في معرض إذا كانت العاقبة لك ولأتباعك فلا عليك من تقلبهم في البلاد، ثم بيّن تعالى أن حالهم في هذا كحال الأمم قبلهم، وجدالهم في الآيات كجدالهم، وأن ذلك لما حق عليهم من كلمة العذاب وسبق لهم في أم الكتاب، والله أعلم.

سورة حم السجدة^(١)

لَمَّا تَضَمَّنَتْ سُورَةُ غَافِرٍ بَيَانَ حَالِ الْمُعَانِدِينَ وَجَاحِدِي الْآيَاتِ، وَأَنَّ ذَلِكَ ثَمَرَةٌ تَكْذِيبُهُمْ وَجَدَالُهُمْ، وَكَانَ بِنَاءُ السُّورَةِ عَلَى هَذَا الْغَرَضِ بِدَلِيلِ افْتِتَاحِهَا وَخَتْمِهَا (بِذَلِكَ)^(٢)، أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]، وَتَأْنِيسَ نَبِيِّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْيَلْدِ﴾ [غافر: ٤]، فَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْقَبَهُمْ سُوءُ الْعَاقِبَةِ وَالْأَخْذُ الْوَبِيلُ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥] فَعَصَمْتَهُمْ وَاقِيَةً ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]، أَي: فَكَيْفَ رَأَيْتَ مَا حَلَّ بِهِمْ وَقَدْ بَلَغَكَ خَيْرُهُمْ؟ فَهَلَّا اعْتَبَرُ هَؤُلَاءِ بِهِمْ؟ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ٢١]، وَإِنَّمَا أَخَذَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ بِالْآيَاتِ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٢].

ثم ذكر الله تعالى من حزب المكذبين فرعون وهامان وقارون، وبسط

(١) يريد سورة فصلت.

(٢) سقط من ن ٢.

القصة تنبيهاً على سوء عاقبة من حاد، وجادل بالباطل، وكذب الآيات، ثم قال تعالى بعد آيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] إذ الحول والقوة ليست لهم، فاستعد بالله من شرهم، فخلق غيرهم لو استبصروا أعظم من خلقهم: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وهم غير آمنين من الأخذ من كلا الخلقين: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَافًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سبا: ٩]، ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: ٦٩]، أي: إن أمرهم لعجب في صرفهم عن استيضاح الآيات بعد بيانها.

ثم ذكر تعالى سوء حالهم في العذاب الأخراوي وواهي أعدارهم بقولهم: ﴿ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ [غافر: ٧٤]، ثم صبر تعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [غافر: ٧٧]، ثم أعاد تنبيههم فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٨٢] إلى ختم السورة، ولم يقع من هذا التنبيه - الذي دارت عليه آي هذه السورة - في سورة الزمر شيء ولا من تكرار التحذير من تكذيب الآيات، فلما بنيت على هذا الغرض أعقبت بذكر الآية العظيمة التي تُحدث بها العرب، وقامت بها حجة الله سبحانه على الخلق، وكأن قد قيل لهم: احذروا ما قدم لكم، فقد جاءكم محمد ﷺ بأوضح آية وأعظم برهان: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٢، ٤].

وتضمنت هذه السورة العظيمة من بيان عظيم الكتاب وجلالة قدره وكبير الرحمة به ما لا يوجد في غيرها من أقرانها، كما أنها في الفصاحة تبهر العقول بأول وهلة، ولا يمكن للعربي الفصيح في شاهد برهانها أدنى توقف، ولا يجول في وهمه إلى معارضة بعض آيها (أدنى) ^(١) تشوف: ﴿وَأَنْتُمْ لَكُمْ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَنجَحُوا

(١) في ن ٢: إذ ما.

وَعَرِّقُوا ﴿فصلت: ٤٤﴾، فوبخهم تعالى، وأدحض حججهم، وأرغم باطلهم، وبكت دعاويهم، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَبُفْسًا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، وقرعهم تعالى في ركيك جوابهم عن واضح حجته بقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥]، وقولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَىٰ فَيُؤْثِرُوا﴾ [فصلت: ٢٦]، وهذه شهادة منهم على أنفسهم بالانقطاع عن معارضته، وتسجيلهم بقوة عارضته، ثم فضحهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِن عِندِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَفَرْتُمْ بِهِ...﴾ الآية [فصلت: ٥٢].

وتضمنت السورة مع هذا بيان هلاك من عاند وكذب ممن كان قبلهم وأشد قوة منهم، وهم الذين قدم ذكرهم مجملًا في سورة غافر في آيتي: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [غافر: ٢١]، و﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [غافر: ٨٢]، فقال تعالى مفصلاً لبعض ذلك الإجمال: ﴿فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَبَاحَةً مِّثْلَ صَبَاحَةِ عَادٍ وَتَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]، ثم قال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، ثم قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا...﴾ الآية [فصلت: ١٦]، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾ [فصلت: ١٧]، فبين تعالى حالهم وأخذهم. فاعتضد التحام السورتين واتصال المقصدين، والله أعلم.

سورة الشورى

لما ضمنت سورة غافر ما تقدم من بيان حال المعاندين والجاحدين، وأعقب بسورة السجدة بياناً أن حال كفار العرب في ذلك كحال من تقدمهم، وإيضاحاً لآية الكتاب العزيز وعظيم برهانه، ومع ذلك فلم يجد على من قضى عليه تعالى بالكفر، أتبع السورتان بما اشتملت عليه سورة الشورى من أن ذلك كله إنما جرى على ما سبق في علمه تعالى بحكم المشيئة الأزلية: ﴿فَرِيقٌ فِي الْحَشَّةِ وَفَرِيقٌ فِي الشَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، ﴿وَمَا أَنتَ بِمَلَكٍ مِّن مَّلَكٍ﴾ [الشورى: ٦]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّمَهُ أَثَمَةً وَاحِدَةً﴾ [الشورى: ٨]، ﴿لَآ أَعْمَلْنَا وَلَكُم أَعْمَلُكُمْ﴾ [الشورى: ١٥]، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِّقَ يَتِيمُهُمْ﴾

[الشورى: ١٤]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]، ﴿وَمَا أَشْرَ بِمُتَجِدِّزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٣١]، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٦]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَعُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿تَهْدِي بِهِ مَنِ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فتأمل هذه الآي وما التحم بها مما لم يجر في السور المتقدمة منه إلا النادر، (وبحكم ما استجره وبناء هذه السورة على ذلك ومدار آيها، يلح لك وجه اتصالها بما قبلها واتحامها بما جاورها).

ولما ختمت سورة السجدة بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيقٍ مِنْ لَقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [فصلت: ٥٤] أعقبها سبحانه بتنزيهه وتعاليه عن ريبهم وشكهم، فقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥]، كما أعقب بمثله في قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ [مريم: ٨٨، ٨٩] فقال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠]، ولما تكرر في سورة حم السجدة ذكر تكبر المشركين وبعد انقيادهم في قوله: ﴿فَلَعَزَّزَ أَكْثَرَهُمْ﴾ [فصلت: ٤]، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥]، إلى ما ذكر تعالى من حالهم المنبئة عن بعد استجابتهم، قال تعالى في سورة الشورى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

سورة الزخرف

لَمَّا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِامْتِحَانِ خَلْفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي شَكِّهِمْ فِي كِتَابِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِئَلَّا الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ مُرِبٍّ﴾ [الشورى: ١٤]، ووصى نبيه ﷺ وسلم بالتبري من سيئ حالهم، والتنزه عن سوء محالهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ مَآ مَنُتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ مِنْ كِتَابِ رَبِّي...﴾ [الشورى: ١٥]، وتكرر الثناء على الكتاب العزيز بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: ٧]، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي أُنْزِلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنِ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] إلى آخر السورة، أعقب ذلك بالقسم به، وعضد الثناء عليه فقال: ﴿حَمْدٌ لِلَّهِ﴾

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّ فِيْ أُوْلَئِكَ لَآيَاتٍ لِّدِينِكَ لَعَلَّكَ تَعْقِلُ ﴿٣﴾ [الزخرف: ١ - ٤].

ولما أوضح عظيم حال الكتاب وجليل نعمته به، أردف ذلك بذكر سعة عفوه، وجميل إحسانه إلى عباده، ورحمتهم بكتابه، مع إسرافهم وقبح مرتكبهم، قال: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ ﴿٥﴾ [الزخرف: ٥].

ولما قدم تعالى في الشورى قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ اِنْفَاقًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ الذَّكٰوْرَ﴾ ﴿١﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَاُنْثٰى وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَآءُ عَقِيْمًا﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، فأعلم أن ذلك إنما يكون بقدرته وإرادته، والجاري على هذا أن يسلم الواقع من ذلك ويرضى بما قسم واختار، عنف تعالى في هذه السورة الأخرى من اعتدى وزاغ فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيْمٌ﴾ ﴿٧﴾ [الزخرف: ١٧]، فأكمل الواقع هناك بما تعلق به، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الْاَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، وقوله في الزخرف: ﴿وَلَوْلَا اَنْ يَكُوْنَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنٰ اِلٰنَ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِيُثَبِّتَهُمْ سُبْحٰنًا مِّنْ فَضْلِهِ...﴾ الآية [الزخرف: ٣٣].

سورة الدخان

لما تضمنت سورة حم السجدة وسورة الشورى من ذكر الكتاب العزيز ما قد أشير إليه، مما لم تنطو سورة غافر على شيء منه، وحصل من مجموع ذلك الإعلام بتنزيله من عند الله وتفصيله، وكونه قرآنًا عربيًّا، إلى ما ذكر تعالى من خصائصه إلى قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ﴿١﴾ [الزخرف: ٤٤]، وتعلق الكلام بعد هذا بعضه ببعض إلى آخر السورة، استفتح تعالى سورة الدخان بما يكمل ذلك الغرض، وهو التعريف بوقت إنزاله إلى سماء الدنيا فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، ثم ذكر فضلها فقال: ﴿فِيهَا يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيْمٍ﴾ ﴿١﴾ [الدخان: ٤]، فحصل وصف الكتاب

بخصائصه، والتعريف بوقت إنزاله إلى سماء الدنيا، وتقدم الأهم من ذلك في السورتين قبل، وتأخر التعريف بوقت نزوله، إذ ليس في التأكيد كالمقدم.

ثم وقع إثر هذا تفصيل وعيد قد أجمل في قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩]، وما تقدمه من قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمْرًا مَرِئًا مَرِئًا مَرِئًا مَرِئًا﴾ [الزخرف: ٧٩]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ...﴾ الآية [الزخرف: ٨٠]، وتنزيهه تعالى نفسه عن عظيم افتراءهم في جعلهم الولد، إلى آخر السورة، ففصل بعض ما أجملته هذه الآي في قوله في صدر سورة الدخان: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، وقوله ﴿يَوْمَ نَبُطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ [الدخان: ١٦]، والإشارة إلى يوم بدر، ثم ذكر شأن غيرهم في هذا وهلاكهم بسوء ما ارتكبوه ليشعروا أن لا فارق إن هم عقلوا واعتبروا، ثم عرّض بفرعونهم^(١) في مقالته: ما بين لابتياها^(٢) أعز مني ولا أكرم، فذكر تعالى شجرة الزقوم إلى قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، والتحم هذا كله التحاماً يبهز العقول.

ثم أتبع بذكر حال المتقين جرياً على المطرد من شفع أي الترهيب بالترغيب، ليبين حال الفريقين وينتهج علم الواضح من الطريقين، ثم قال لنبية ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، وقد أخبره مع بيان الأمر ووضوحه أنه يتذكر من يخشى، ثم قال: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان: ٥٩].

سورة الشريعة^(٣)

لما تضمنت السور الثلاث المتقدمة إيضاح أمر الكتاب، وعظيم بيانه، وأنه شاف كاف، وهدى ونور، وكان أمر من كفر به من العرب أعجب^(٤)

(١) هو أبو جهل عدو الله. انظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٦٨.

(٢) الآية: الحرة من الأرض، جمع لابات. وفي أسباب النزول للواحدي: «بين جليها»: ٢٦٨.

(٣) يريد سورة الجاثية.

(٤) في ن ٢: أعظم.

شيء لانقطاعهم وعجزهم وقيام الحجة به عليهم، حتى رضوا بالقتل والخزي في العاجل، وما فاهوا بادعاء معارضة، ولا تشرفوا إلى الاستناد إلى عظيم تلك المعارضة، أتبع ذلك تعالى بتنبية نبيه والمؤمنين إلى ما قد نصبه من الدلائل سواء، مما سد المعرض عن الاعتبار بها أو ببعضها مجرد هواه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ ضَمِيرَ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصر: ٥٠]، فقال تعالى بعد القسم بالكتاب المبين: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢] ﴿[الجاثية: ٣]، أي لو لم تجنهم يا محمد بعظيم آية الكتاب فقد كان لهم فيما نصبنا من الأدلة أعظم برهان وأوضح تبيان: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨]، فلما نبه بخلق السماوات والأرض أتبع بذكر ما بث في الأرض فقال تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]، ثم قال: ﴿وَاخْتَلَفَ الْإِنْسِلَ وَالنَّهَارُ﴾ [الجاثية: ٥] أي في دخول أحدهما على الآخر بالطف اتصال وأربط انفصال ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْبَلَدُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠].

ثم نبه على الاعتبار بإنزال الماء من السماء، وسماه رزقاً لحظاً لغايته، فقال: ﴿وَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَالْحَيَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية: ٥]، ثم قال: ﴿وَتَضَرَّبَ الرِّيحُ عَالَتْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٥]، والاستدلال بهذه الآي يستدعي بسطاً يطول، ثم قال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٦] أي: علاماته ودلائله، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، (وفي كل شيء له آية تتلوها عليك بالحق) [الجاثية: ٦] (١)، ثم قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦]، بعد ما شاهدوه من شاهد الكتاب وما تضمنه خلق السماوات والأرض وما فيهما، وما لا ينتهي من عجائب الدلائل الواضحة لأولي الأبواب، فإذا لم يعتبروا بشيء من ذلك فيماذا يعتبرون؟

ثم أردف تعالى بتقريعهم وتوبيخهم في تصميمهم مع وضوح الأمر فقال: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ آفَاقٍ أَمْرِي﴾ [٧] [الجاثية: ٧] الآيات الثلاث [الجاثية: ٧ - ٩]، ثم قال: ﴿هَذَا هُدًى﴾ [الجاثية: ١١]، وأشار إلى الكتاب، وجعله نفس الهدى

(١) ما بين القوسين ساقط من ن.

لتحملة كل أسباب الهدى وجميع جهاته، وتوعد من كفر به. ثم أردف ذلك بذكر نعمه وآلائه ليكون ذلك زائداً في توبيخهم، والتحمت الآي عاضدة هذا الغرض تقريباً وتوبيخاً ووعيداً وتهديداً إلى آخر السورة.

سورة الأحقاف

لما قدم ذكر الكتاب وعظيم الرحمة (به)^(١) وجليل بيانه، وأردف ذلك بما تضمنته سورة الشريعة من توبيخ من كذب به وقطع تعلقهم، وأنه سبحانه قد نصب من دلائل السماوات والأرض، إلى ما ذكر في صدر السورة ما كل قسم منها كاف في الدلالة وقائم بالحجة، ومع ذلك فلم يُجد عليهم إلا التماذي في ضلالهم، والانهماك في سوء حالهم وسيئ محالهم، أردف بسورة الأحقاف تسجيلاً لسوء مرتكبهم، وإعلاماً باليم منقلبهم، فقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣]، ولو اعتبروا بعظيم ارتباط ذلك الخلق وإحكامه وإتقانه لعلموا أنه لم يوجد عبثاً، ولكنهم عموا عن الآيات وتنكبوا عن انتهاج الدلالات: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

ثم أخذ سبحانه في تعنيفهم وتقريعهم في عبادة ما لا ينفع ولا يضر، فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٤] إلى قوله: ﴿وَكَاثُرًا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]، ثم ذكر عنادهم عند سماع الآيات فقال: ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَالِيَهُمْ إِنْئِنَّا بَيْنَكَ...﴾ الآية [الأحقاف: ٧]، ثم التحم الكلام وتناسج إلى آخر السورة.

سورة القتال

لما انبنت سورة (الأحقاف)^(٢) على ما ذكر من مآل من كذب وكفر، وافتتحت السورة بإعراضهم، ختمت بما قد تكرر من تقريعهم وتوبيخهم، فقال

(٢) بهامش ن ٢.

(١) سقط من ن ٢.

تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّمْ يَخْلُقْهُنَّ يَفْعَلْ عَلَى أَن يُخَيِّجَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحقاف: ٣٣] أي: لو اعتبروا بالبداة لتيسر عليهم أمر العودة، ثم ذكر عرضهم على النار إلى قوله: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. فلما ختم بذكر هلاكهم افتتح السورة الأخرى بعاجل ذلك اللاحق لهم في الدنيا، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْمَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ...﴾ [محمد: ٤] بعد ابتداء السورة بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ١]، فنبه على أن أصل محنتهم إنما هو بما أَرَادَهُ تعالى بهم في سابق علمه ليعلم المؤمنون أن الهدى والضلال بيده، فنبه على الطرفين بقوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ١]، وبقوله في الطرف الآخر: ﴿كَفَرُ عَنْهُمْ سَوَاءً وَأَصْلَحَ بِاللَّهِمْ﴾ [محمد: ٢]، ثم بين تعالى أنه لو شاء لانتصر منهم^(١)، ولكن أمر المؤمنين بقتالهم ابتلاء واختباراً، ثم حض المؤمنين على ما أمرهم به من ذلك فقال: ﴿إِنْ تَصُرُّوا لِلَّهِ يَصْرُكُمُ﴾ [محمد: ٧] ثم التحمت الآية.

سورة الفتح

ارتباط هذه السورة بالتي قبلها واضح من جهات، وقد يغمض بعضها، منها: أن سورة القتال لما أمروا فيها بقتال عدوهم في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، وأشعروا بالمعونة عند وقوع الصدق في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَصُرُّوا لِلَّهِ يَصْرُكُمُ﴾ [محمد: ٧]، استدعى ذلك تشوق النفوس إلى حال العاقبة فعرفوا بذلك في هذه السورة فقال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾... [الفتح: ١]، فعرف تعالى نبيه بعظيم صنعه له، وأتبع ذلك ببشارة المؤمنين العامة فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾... [الفتح: ٤]، والتحمت إلى التعريف بحال من نكث من مبايعته ﷺ، وحكم المخلفين، والحض على الجهاد، وبيان حال ذوي

(١) انتصر من عدوه: انتقم منه.

الأعدار، وعظيم نعمته سبحانه على أهل بيعة الرضوان: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] وإثابتهم بالفتح وأخذ المغانم، وبشارتهم بفتح مكة: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧] إلى ما ذكره سبحانه من عظيم نعمه عليهم، وذكرهم في التوراة والإنجيل، إلى ما تضمنت هذه السورة الكريمة.

ووجه آخر وهو أنه لما قال تعالى في آخر سورة القتال: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَدْعُوا إِلَى السَّلَاحِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكُنْ يَزْكُرُ أَعْمَلَكُمْ﴾ [٣٥] ﴿[محمد: ٣٥]، كان هذا إجمالاً في عظيم ما منحهم وجليل ما أعطاهم، فتضمنت سورة الفتح تفسير هذا الإجمال وبسطه، وهذا يستدعي من بسط الكلام ما لم نعتمده في هذا التعليق، وهو بعد مفهوم مما سبق من الإشارات في الوجه الأول.

ووجه آخر مما قد يغمض وهو أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] إشارة إلى من يدخل في دين الله وملة الإسلام من الفرس وغيرهم (ممن عدا العرب)^(١) عند تولي العرب.

وقد أشار أيضاً إلى هذا قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَزِيدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ [المائدة: ٥٤]، وأشار إليه ﷺ بقوله: ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا، وعقد السبابة بالإبهام^(٢)، أشار ﷺ إلى تولي العرب واستيلاء غيرهم الواقع في الآيتين، وإنما أشار ﷺ بقوله: «اليوم» إلى (التقديم)^(٣) وتأخر وقوع هذا الأمر إلى أيام أبي جعفر المنصور، فغلبت الفرس والأكراد وأهل جهات الصين، وصين الصين وهو ما يلي ياجوج وماجوج، وكان فتحاً وعزاً وظهوراً لكلمة الإسلام، وغلب هؤلاء في الخطط والتدبير الإماري، وسادوا غيرهم، ولهذا جعل ﷺ مجيئهم فتحاً فقال: - فتح اليوم - ولو أراد غير هذا لم يعبر بفتح، ألا ترى قول عمر لحذيفة في حديث الفتن حين قال له حذيفة: إن بينك وبينها باباً مغلقاً، فقال عمر: أيفتح ذلك

(٢) البخاري فتن: ٤.

(١) سقط من ن ٢٠.

(٣) في ن ١: التقدير.

الباب أم يكسر؟ فقال: بل يكسر، ففرق بين الفتح والكسر، وإنما أشار إلى قتل عمر، فكذا قال ﷺ هنا، فتح. وقال: من ردم ياجوج وماجوج، وأراد من نحوهم وجهتهم وأقاليهم، فإن الفرس ومن أتى معهم هم من أجل تلك الجهات التي تلي الردم، فعلى تمهيد هذا يكون قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، إشارة إلى غلبة من ذكرنا وانتشارهم في الولايات والخطط الدينية والمناصب العلمية.

ولما كان هذا قبل أن يوضح أمره يوضح نقصاً وخطأ، بيّن تعالى أنه تجديد فتح وإعزاز منه تعالى لكلمة الإسلام، فقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١) ... الآيات [الفتح: ١]، ذكر القاضي أبو بكر بن العربي (١) في تخليص التلخيص (٢) علماء المالكية مشيراً إلى تفاوت درجاتهم، ثم قال: وأمضاهم في النظر عزيمة، وأقواهم فيه شكيمة أهل خراسان العجم أنساباً وبلداناً، العرب عقائد وإيماناً، اللذين تنجز فيهم وعد الصادق المصدق، وملكهم الله مقاليد التحقيق، حين أعرضت العرب عن العلوم وتولت عنها، وأقبلت على الدنيا واستوثقت منها. قال أصحاب رسول الله ﷺ: من هؤلاء الذين قال فيهم: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]؟ فأشار ﷺ إلى سلمان (٣) وقال: لو كان الإيمان في الثريا لئاله رجال من هؤلاء (٥٠٤).

سورة الحجرات

لما وصف سبحانه عباده المصطفين (الصحبة) (٦) نبيّه والمخصوصين بفضيلة مشاهدته وكريم عشرته فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّةُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فأننى سبحانه عليهم (وزكاهم) (٧)، وذكر

(١) القاضي أبو بكر بن العربي: تقدمت ترجمته: ص ٦٦.

(٢) تليخيص التلخيص: يذكر البغدادي في الإيضاح ٣١٨/١ أن لابن العربي كتاب التلخيص ولعل هذا تليخيص له.

(٣) سلمان: المراد بذلك سلمان الفارسي الصحابي.

(٤) بخاري: تفسير سورة ٦٢. (٥) ما بين القوسين ساقط من ١.

(٦) في ٢: الصحابة. (٧) سقط من ٢.

وصفه تعالى لهم بذلك في التوراة والإنجيل، هذه خصيصة انفردوا بمزية تكريمها، وجرت على واضح مقتضى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وشهدت لهم بعظيم المنزلة لديه، ناسب هذا طلبهم (بتوفية)^(١) الشعب الإيمانية، والجري قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً على أوضح عمل وأخلص نية، وتنزيههم عما وقع ممن قبلهم في مخاطبات أنبيائهم، كقول بني إسرائيل: ﴿يَتَوَسَّى آدَعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، إلى ما شهد من هذا الضرب بسوء حالهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ الآية [الحجرات: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الحجرات: ٢] إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٥]، فطولبوا (بآداب)^(٢) تناسب عليّ إيمانهم، وإن اغتفر بعضه لغيرهم ممن ليس من درجتهم، وقد قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وكان قد قيل لهم: لا تغفلوا (ما منحكم من ذكركم)^(٣) في التوراة والإنجيل فإنها درجة لم ينلها غيركم من الأمم، فقابلوها بتنزيه أعمالكم عن أن يتوهم في ظواهرها أنها صدرت عن عدم اكتراث في الخطاب أو سوء قصد في الجواب، وطابقوا بين بواطنكم وظواهركم، وليكن علنكم منبئاً بسليم سرائركم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْعُشُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٣]، ثم عرفوا سوء حال من عدل به عن هذه الصفة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ دَوْلَةِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١﴾ [الحجرات: ٤]، ثم أمروا بالتثبت عند نزغة شيطان أو لقول ذي بهتان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ فَاكْزُوبٌ ۖ إِنَّمَا جَاءَكُمْ بِغُفْلَةٍ ۖ وَاللَّهُ يَخْتَبِرُ أَعْمَالَكُمْ﴾ الآية [الحجرات: ٦]، ثم أمرهم تعالى بصلاح ذات بينهم والتعاون في ذلك بقتال الباغين إلى الفتنة، وتحسين العشرة، والتزام ما يشر الحب والتودد الإيماني والتواضع، وإن الخير كله في التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: ١٣]، وكل ذلك مجذر لعلّي صفاتهم التي وصفوا بها في خاتمة سورة الفتح^(٤).

(١) في ن: ١: بتوقيفه.

(٢) في ن: ٢: ما منع بكم.

(٣) في ن: ٢: ما بين القوسين ساقط من ن.

سورة ق

لما كانت سورة الحجرات قد انطوت على جملة من الألفاظ التي خص تعالى بها عباده المؤمنين، كذكره تعالى أخوتهم، وأمرهم بالتثبت عند غائلة معتد فاسق: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ الآية [الحجرات: ٦]، وأمرهم بغض الأصوات عند نبيهم، وأن لا يقدموا بين يديه، وأن لا يعاملوه في الجهر بالقول كمعاملة بعضهم بعضاً، وأمرهم باجتنباب كثير من الظن، ونهيهم عن التجسس والغيبة، وأمرهم بالتواضع في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣]، وأخبرهم تعالى أن استجابتهم (في الإيمان)^(١) وامتنال هذه الأوامر ليست بحولهم ولكن بفضلله وإنعامه، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾... الآيتين [الحجرات: ٧]، ثم أعقب تعالى بقوله: ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾... الآية [الحجرات: ١٧]، ليبين أن ذلك كله بيده ومن عنده، أراهم سبحانه حال من قضى عليه بالكفر ولم يحجب إليه الإيمان ولا زينه في قلبه بل جعله في طرف من حال من أمر ونهي في سورة الحجرات مع المساواة في الخلق وتمائل الأدوات، فقال تعالى: ﴿قَدْ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ يَجْعَلُونَ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الآيات [ق: ١ - ٢]، ثم ذكر سبحانه وضوح الأدلة: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾... الآيات [ق: ٦]، ثم ذكر حال غيرهم ممن كان على رأيهم: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [ق: ١٢]، ليتذكر بمجموع هذا من قديم ذكر حاله وأمره ونهي في سورة الحجرات، وليتأدب المؤمن بأداب الله، ويعلم أن ما أصابه من الخير فإنما هو من فضل ربه وإحسانه، ثم التحمت الآي إلى قوله في خاتمة السورة: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

(١) سقط من ن ٢.

سورة الذاريات

لما ذكر سبحانه المواعيد الأخراوية في سورة قَ وعظيم تلك الأحوال من لدن قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ...﴾ [ق: ١٩] إلى آخر السورة أتبع سبحانه ذلك بالقسم على صحة وقوعه وصدقه فقال: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ [الذاريات: ١] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (٥) ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفِعُوا﴾ (٦) [الذاريات: ٥، ٦]، والدين الجزاء، أي إنهم سيجازون على ما كان منهم ويوفون قسط أعمالهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿إِنَّمَا تُنِيلُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

ولما أقسم تعالى على صدق وعيده ووقوع الجزاء، أعقب ذلك بتكذيبهم بالجزاء وازدراؤهم فقال: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [الذاريات: ١٢]، ثم ذكر حال الفريقين وانتهاء الطريقين إلى قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، فوبخ تعالى من لم يعمل فكره ولا بسط نظره فيما أودع سبحانه في العالم من العجائب، وأعقب بذكر إشارات إلى أحوال الأمم وما أعقبهم تكذيبهم، وكل هذا تنبيه لبسط النظر إلى قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ثم أنس نبيه ﷺ بقوله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ [الذاريات: ٥٢] أي: إن هذا دأبهم وعادتهم، حتى كأنهم تعاهدوا عليه وألقاه بعضهم إلى بعض، قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهَذَا﴾ [الذاريات: ٥٣]، أي عجباً لهم في جريهم في التكذيب والعناد في مضمار واحد، ثم قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣] أي إن علة تكذيبهم هي التي اتحدت، فاتحد معلوها، والعلة طغيانهم وإظلام قلوبهم بما سبق (لهم)^(١)، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣].

ثم زاد نبيه ﷺ تأنيساً بما وُرد على طريقة تحذيره ﷺ في أمرهم من قوله: ﴿قَوْلٌ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (٥٤) [الذاريات: ٥٤]، ثم أشار تعالى بقوله:

(١) سقط من ٢٠.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، إلى أن إحراز أمره ﷺ إنما هو في التذكار والدعاء إلى الله، ثم ينفع الله بذلك من سبقت له السعادة: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، ثم أخبر نبيه ﷺ بأن مكذبيه سينالهم قسط ونصيب مما نال غيرهم ممن ارتكب مرتكبهم وسلك مسلكهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنْبًا مِّثْلَ ذُنُوبِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩] إلى آخر السورة.

سورة الطور

لما توعد تعالى كفار قريش ومن كان على طريقهم من سائر من كذب رسول الله ﷺ (أنهم) ^(١) سيصيبهم ما أصاب غيرهم من مكذبي الأمم المنبأ على ذكرهم في السورة قبل، ثم أشار سبحانه إلى عظيم ما ينالهم من الخزي وأليم العذاب بقوله: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠]، أقسم سبحانه على صحة ذلك ووقوعه - والعياذ بالله سبحانه من سخطه وأليم عذابه -، فقال تعالى: ﴿وَالطُّورُ﴾ [الطور: ١] إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [٧] مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ [الطور: ٧، ٨].

ثم أوما سبحانه إلى مستحقه ومستجبيه فقال: ﴿قَوْلٌ يَوْمَهُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الطور: ١١]، ثم ذكر ما يعنفون به ويوبخون على ما سلف منهم في نسبته ﷺ إلى السحر وتكذيبه، فقال تعالى: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُتِبَ بِهَا تَكْذُوبُونَ﴾ [١٥] أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ [الطور: ١٤، ١٥]، ثم أعقب بذكر حال المؤمنين المستجيبين، ثم ذكر إثر إعلامه بحال الفريقين نعمته على نبيه ﷺ وعصمته ووقايته مما يقوله المفترون، فقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا جَانُونٍ﴾ [٢٩] [الطور: ٢٩].

ثم جرت الآي على توبيخهم في مقالاتهم ووهن انتقالاتهم، فمرة يقولون كاهن، ومرة يقولون مجنون، ومرة يقولون شاعر نترقب موته، فوبيخهم على ذلك كله، وبين كذبهم وزعمهم، وأسقط ما بأيديهم بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ

(١) سقط من ن.

مَثَلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ [الطور: ٣٤]، وهذا هو المسقط لما تقولوه أولاً وآخرأ، وهو الذي لم يجدوا عنه جواباً، ورضوا بالسيف والجلاء، ولم يتعرضوا لتعاطي معارضته، وهذا هو الوارد في قوله تعالى في صدر سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا . . .﴾ [البقرة: ٢٣] الآيات، فما نطقوا في جوابه بينت شفة.

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فتبارك من جعله آية باهرة وحجة قاهرة.

سورة النجم

لما قطع سبحانه تعلقهم بقولهم: ساحر وشاعر ومجنون، إلى ما هذا به مما علموا أنه لا يقوم على ساق، ولكن شأن المنقطع المبهوت أن يستريح إلى كل ما أمكنه وإن لم يغن عنه، أعقب تعالى ذلك بقسمه على تنزيهه نبيه وصفيه من خلقه عما تقولوه ضعفاؤهم، فقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ١ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ٢ [النجم: ١، ٢]، ثم أتبع سبحانه هذا القسم ببسط الحال في تقريبه ﷺ وادعائه، وتلقيه لما يتلقاه من ربه، وعظيم منزلته لديه، وفي أثناء ذلك يحركهم جل وتعالى ويذكرهم ويوبخهم على سوء مرتكباتهم بتلطف واستدعاء كريم مُنْعِمٍ، فقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْقُرَىٰ﴾ [النجم: ١٩]، والتحمت الآي على هذه الأغراض إلى الإعلام بانفراده سبحانه بالإيجاد والقهر والإعزاز والانتقام، لا يشاركه في شيء من ذلك غيره، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَهَكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ٤٢ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضَعَكَ وَأَبْكَكَ﴾ ٤٣ [النجم: ٤٢، ٤٣].

ولما بين كل ذلك قال: ﴿فَيَأْتِي مَا آلَاءُ رَبِّكَ نَتَارِكًا﴾ [النجم: ٥٥]، أي: في أي نعمة تشكون؟ أم بأي آية تكذبون؟ ثم قال تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ﴾ ٥٦ [النجم: ٥٦]، وإذا كان ﷺ (نذيراً) (١) فشأن مكذبيه شأن مكذبي غيره.

(١) في ن: كذلك.

سورة القمر

لما أعلمهم سبحانه بأنه إليه المتهى، وأن عليه النشأة الأخرى، وإذا ذاك يقع إجزاء كل نفس بما أسلفت أعلمهم سبحانه بقرب ذلك وحسابه ليزدجر من وفقه للازدجار، فقال تعالى: ﴿أَفَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَشَقَّ الْقَمَرِ ۖ﴾، ثم إن سورة ص تضمنت من ذكر عناد المشركين وسوء حالهم وتوبيخهم في عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع ما لا يكاد يوجد في غيرها مما تقدمها، وبعد التنبيه بالسور قبلها والتحريك بآيات لا يتوقف عنها إلا من أضله الله على علم وخذله.

وانبت السور بعد على تمهيد ما تضمنته سورة ص، فلم تخل سورة منها من تقييدهم وتوبيخهم، كقوله في الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وقولهم: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الزمر: ٤]، وقولهم: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [١٤ - ١٥]، وقوله ممثلاً لحالهم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ...﴾ [الزمر: ٢٩]، إلى ما بعد من التفریع والتوبيخ، وقوله في غافر: ﴿مَا يُجَدِّدُ فِي عَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَفْرَزُكَ تَقْلِيدُهُمْ فِي الْإِلَادِ﴾ [غافر: ٤]، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ [الآية [غافر: ٢١]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي عَايَتِ اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَانِي أَمْلَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِسَلْفِيَةٍ﴾ [غافر: ٥٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي عَايَتِ اللَّهِ أَنِّي بَصُرْتُ﴾ [الآية [غافر: ٦٩ - ٧٠]، إلى قوله: ﴿فَكَمَا تَرَىٰ أَنَّ بَعْضَ الَّذِينَ نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَفِّيكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ [غافر: ٧٧]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٨٢] إلى ما تخلل هذه الآي، وقوله في السجدة: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ [فصلت: ٤]، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مَا نَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا﴾ [فصلت: ٢٦]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي عَايَتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠] إلى قوله: ﴿يُنَادُونَكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾

[فصلت: ٤٤]، وقوله: ﴿سَرُّبِهِمْ عَيْنَيْنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] إلى خاتمة السورة، وقوله في الشورى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦]، ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ مُجَّتَهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾ [الشورى: ١٦]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ...﴾ الآية [الشورى: ٢١]، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [الشورى: ٤٨]، وقوله في الزخرف: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ...﴾ الآية [الزخرف: ٥]، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]، إلى ما تردد في هذه السورة مما قرعوا به أشد التقريع، وتكرر في آيات كثيرة فتأملها.

وقوله في الدخان: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان: ٩]، إلى قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، وقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، إلى قوله: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: ٥٠].

وقوله في الشريعة^(١): ﴿فَأَيُّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ...﴾ [الجاثية: ٦]، إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُونَ رِبِّهِمْ هُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ١١]، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، إلى آخر السورة^(٢).

وقوله في الأحقاف: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ومعظم آي هذه السورة لم يخرج عن هذا إلى خاتمتها، وكذا سورة القتال ولو لم تتضمن إلا الأمر بقتالهم وأسره وتعجيل خزيهم، ﴿وَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

وأما سورة الفتح فما تضمنته من البشارة والفتح أشد على الكفار من كل ما قرعوا به، فلم تخرج عن الغرض المتقدم.

وكذا سورة الحجرات لتضمنها من الأمر بتعزيز النبي ﷺ وإجلاله ما يقر عين المؤمن، ويقتل العدو والحاسد، وما فيها أيضاً من ائتلاف أمر المؤمنين

(١) يريد سورة الجاثية.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ن.

وجمع كلمتهم وتأخيمهم، وموقع هذا من العدو بحيث لا يخفى على أحد.
وأما سورة ق والذاريات والنجم فما تضمنته مما ذكرناه قبل أوضح شيء، وبذلك افتتحت كل سورة منها، فتأمل مطالعها ففيها كفاية في الغرض.
فلما انتهى ما قصه من تقريع مكذبي رسول الله ﷺ، وبلغت الآي في هذه السور من ذلك أقصى غاية، وتمحض باطلهم، وانقطع دابرهم، ولم يجدوا جواباً، عرض سبحانه عليهم في سورة القمر أحوال الأمم مع أنبيائهم، وكان القصد من ذلك - والله أعلم - مجرد التعريف بأنهم ذكروا فكذبوا فأخذوا، ليبين لهؤلاء أن لا فرق بينهم وبين غيرهم، وأن لا يغرمهم عظيم حلمه سبحانه عنهم، فهذه السورة إعدار عند تبكيتهم وانقطاع حجتهم بما تقدم.

وبعد أن انتهى الأمر في وعظهم وتنبيههم بكل آية إلى غاية يعجز عنها البشر، ولهذا افتتح سبحانه هذه السورة بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأُنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ﴾ [حكمة بلفظة فما تئن النذر ٥] [القمر: ٤، ٥]، وختمها بقوله: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾ [القمر: ٤٣]، وهذا يبين ما قدمناه، وكان قد قيل لهم: أي فرق بينكم وبين من تقدم حتى ترتكبوا مرتكبكم وتظنوا أنكم ستفوزون بعظيم (جزائكم)^(١)؟ فذكر سبحانه لهم قصة كل أمة وهلاكها عند تكذيبها بأعظم إيجاز، وأجزل إيراد، وأفعم عبارة، وألطف إشارة، فبدأ بقصة قوم نوح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [القمر: ٩] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ﴾ [١٥] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: ١٥، ١٦]، ثم استمر ذكر الأمم مع أنبيائهم حسبما ذكروا في السور الوارد فيها أخبارهم من ذكر أمة بعد أمة، إلا أن الواقع هنا من قصصهم أوقع في الزجر، وأبلغ بالوعظ، وأغرق في الإفصاح بسوء منقلبهم وعاقبة تكذيبهم.

ثم ختمت كل قصة بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر ١٦ و ١٨ و ٢١ و ٣٠]، وتخلل هذه القصص قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠]، وهي إشارة إلى ارتفاع عذر من تعلق

(١) في ن ٢: جرائكم، وما أثبتناه أشبه.

باستصعاب الوقوف على زواجره وتنبيهاته ومواعظه، أو يدعي بُعد ذلك أو استغلاقه، فقليل له: إنه ميسر قريب المرام، وهذا فيما يحصل عنه التنبيه والتذكر لما عنه تكون الاستجابة بإذن الله، ووراء ذلك من المشكل والمتشابه ما لا يتوقف عليه ما ذكر، وحسب عموم المؤمنين الإيمان بجميعه والعمل بمحكمه، ثم يفتح الله فهم ذلك على من شرفه به وأعلى درجته، فيبين له بحسب ما يشرح الله صدره، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ومن تيسر المقصود المتقدم تكرر قصص الأنبياء مع أممهم في عدة سور، أي حفظ منها أطلع على ما هو كاف في الاعتبار بهم، ثم إذا ضم ذلك بعضه إلى بعض اجتمع منه ما لم يكن ليحصل من بعض تلك السور، فسبحان من جعله حجة باهرة وبرهاناً قاطعاً على صدق الآتي به، وصراطاً مستقيماً ونوراً مبيناً.

ولما ذكر سبحانه عواقب الأمم في تكذيبهم قال لمشركي العرب: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾ [القمر: ٤٣]، ومن هذا النمط قول شعيب عليه السلام: ﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ...﴾ الآية [هود: ٨٩]، ثم قال تعالى: ﴿أَوْ يَقُولُونَ كُنْ جَمِيعٌ مُنْتَهَرٌ﴾ [سورة الممتحنة: ١٥]، [القمر: ٤٤، ٤٥]، أي: إنكم إن تعلقتم بتآلفكم وجماعتكم فسأفرق ذلك بهزيمتكم يوم بدر وقتل صناديدكم، فما حجتكم بعد هذه؟

وقد أنبأ مساق القصص في هذه السورة واعتماد التعريف بحال من ذكر ممن كذبوا وعاندوا فأعقب تكذيبهم أخذهم وهلاكهم، ثم تعقيب هذا كله بصرف الكلام إلى مشركي العرب في قوله: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾ [القمر: ٤٣]، ليس في شيء من السور المذكور فيها قصص الأمم على هذا الاستيفاء كالأعراف وهود ونظائرها، ليس في شيء من ذلك تعقيب بذكر مشركي العرب على الصفة الواردة هنا، فأنبأ ذلك بكمال المقصود من الوعظ والتحريك بذكره ثم انقضى هذا الغرض، وذلك أنهم ذكروا أولاً بعرض أحوال الأمم والتعريف بما آل إليه أمرهم، وكان ذلك في صورة غرض من يريد تأديب طائفة ممن إليه نظرهم، قبل أن يظهر منهم تمرد أو عناد، فهو

يتلطف في دعائهم ولا يكلمهم تكليم الواحد، بل يفهم من كلامه الإشفاق والاستعطاف وإرادة الخير بهم، ثم يذكرهم بذلك ويكرره عليهم المرة بعد المرة، وإن تخلل ذلك ما يتبين منه فظاعة التهديد وشدة الوعيد فلا يصحبه تعيين المخاطب وصرف الكلام بالكلية إليه، بل يكون ذلك على طريق التعريض (والتلويح)^(١)، ثم لو كان لاغتفر بما قبله وما بعده من التلطف، حتى إذا تكررت الموعظة فلم تغن، فهنا محل الغضب وشدة الوعيد، وعلى هذا وردت السور المذكور فيها حال الأمم كسورة الأعراف وهود والمؤمنين والظلة^(٢)، والصفات، وما من سورة منها إلا والتي بعدها أشد في التعريف وأميل إلى الزجر والتعنيف، فتأمل تعقيب القصص في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤]، وقوله بعد موعظة بالغة بذكر من حرمه بعد إشرافه على الفوز، وهو الذي أخلد إلى الأرض واتبع هواه فقال بعد ذلك: ﴿فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وتذكيره إياهم بمحنة الغفلة، إلى ما ختمت به السورة، وذلك غير خاف في التلطف بالموعظة.

وقال بعد قصص سورة هود: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...﴾ الآية [هود: ١٠٢]، وقال بعد: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَبْدُئُ هَؤُلَاءِ﴾ [هود: ١٠٩]، إلى قوله: ﴿وَلِنَا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩]، وتكررت آي إلى آخر السورة تجاري ما ذكر، وكم بين هذه وآي الأعراف في تلطف الاستدعاء!

وقال في آخر قصص سورة المؤمنين: ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤]، إلى قوله: ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٦]، ثم قال بعد: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ [١٣] حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخِرُّونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣، ٦٤]، واستمرت الآي على شدة الوعيد يتلو بعضها بعضاً إلى قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقوله بعد: ﴿إِنَّكُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وكم بين هذه والآي والواقعة عقب قصص سورة هود!

(١) في ن ٢: التوبيخ.

(٢) يريد سورة الشعراء.

وقال في آخر قصص الظلة: ﴿وَلَهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، إلى قوله في خاتمة السورة: ﴿وَسِعَ الْعَرْشُ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فوبخهم وعنفهم ونزه نبيه ﷺ عن سوء توهمهم وعظيم إفكهم وافترائهم، وكل هذا تعنيف وزجر لم يتقدم لهم مثله في السورة المذكورة، ثم هو صريح في مشركي العرب معين لهم من غير تعريض ولا تلويح، ثم إنه وقع عقب كل قصة في هذه السورة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ [الشعراء: ٨ و٦٧ و١٠٣ و١٢١ و١٣٩ و١٥٨ و١٧٤ و١٩٠]، وفيه تهديد ووعيد بين.

وقال في آخر قصص والصفات: ﴿فَأَسْقَتْنَاهُ رِزْقًا أَلْبَنًا وَلَهُمُ الْبُوتُ﴾ [١٦٩] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [١٥٥] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكَهَمَ لِقَوْلَتِ﴾ [١٥٦] ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَلَئِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [١٥٦] [الصفات: ١٤٩ - ١٥٢]، وهذا أعظم تقرير وأشد توبيخ، ثم نزه سبحانه نفسه عن بهتان مقاتلهم، وسوء ارتكابهم، وقبح فعالهم بقوله: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠].

فلما أخذوا بكل مأخذ فما أغنى ذلك عنهم، قال تعالى في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأُنْبِئَةِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ [٤] ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتَذَرُ﴾ [٥] [القمر: ٤ - ٥]، ثم قال لنبيه: ﴿فَقُولْ عَنْهُمْ﴾ [القمر: ٦]، ثم ذكر قصص الأمم بأشد وعيد وأعظم تهديد، معقباً كل قصة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [١٥] [القمر: ١٥]، وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [١٦] [القمر: ١٦ و١٨ و٢١ و٣٠]، ثم صرف الكلام إليهم بما تقدم من قوله: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾ [القمر: ٤٣]، فبلغ ذلك أبلغ مبلغ في البيان والإعذار، ثم قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]، فعرف سبحانه بسابق حكمته فيهم: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وانقضى ذكر القصص فلم يتعرض لها مستوفاة على هذا المساق فيما بعد إلى آخر الكتاب.

فسبحان من رحم به عباده المتقين، وجعله آية باهرة إلى يوم الدين، وقطع به عناد الجاحدين وغائلة المعتدين، وجعله تاماً كافياً، ونوراً هادياً، وواعظاً شافياً، جعلنا الله ممن اهتدى به، واعتلق بسببه، إنه أهل الجدة والاستجابة والمغفرة.

سورة الرحمن

من المعلوم أن الكتاب العزيز وإن كانت آية كلها معجزة باهرة، وسوره في جليل النظم وبديع التأليف قاطعة بالخصوم قاهرة، فبعضها أوضح من بعض في تبين إعجازها ومظاهر بلاغتها وإيجازها، ألا ترى تسارع الأفهام إلى الحصول على بلاغة آيات وسور من أول وهلة دون كبير تأمل كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءَكَ وَنَسَمَكَ آتِلِي...﴾ [هود: ٤٤]، وقوله: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، إلى آيات لا يتوقف في باهر إعجازها إلا من طبع الله على قلبه، وأوصد دونه باب الفهم جملة، فأنى له بولوجه أو قرعه؟

وسورة القمر من هذا النمط، ألا ترى اختصار القصص فيها مع حصول أطرافها وتوفية أغراضها، وما انجر مع كل قصة من الزجر والوعظ والتنبيه والإعذار، ولولا أنني لم أقصد في هذا التعليق إلا ما بنيته عليه من ترتيب السور، لأوضحت مما أشرت إليه ما لم أسبق إليه، ولعل الله ييسر ذلك فيما في اليد من التفسير، نفع الله به ويسر فيه.

فلما انطوت هذه السورة على ما ذكرنا، وبان فيها عظيم الرحمة من تكرر القصص وشفع العظات، وظهرت حجة الله على الخلق، وكان ذلك من أعظم ألطافه تعالى، لمن يسره لتدبير الكتاب، ووفقه لفهمه واعتباره، أردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١ - ٤]، وخص من أسمائه الحسنی هذا الاسم إشعاراً برحمته بالكتاب وعظيم إحسانه به: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ نَفَسٌ ثَلَاثًا لَا تُحْصِيهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ثم قد تمهد أن سورة القمر إعذار، ومن أين للعباد بجميل هذا اللطف وعظيم هذا الحلم حتى يزدادوا إلى بسط الدلالات وإيضاح البينات أن يعذر إليهم زيادة في البلاغ؟

فأنبأ تعالى أن هذا رحمة، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١ - ٣]، مما إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها وإعذارها خاصاً ببني آدم بل بمشركي العرب منهم فقط، فأتبعت بسورة

الرحمن تنبيهاً للثقلين، وإعذاراً إليهم، وتقريراً للجنسين على ما أودع تعالى في العالم من المعائب والبراهين الساطعة، فنكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله: ﴿فَإِنِّي آءَاءٌ رَّيْكُمْ كَذَّابٌ﴾ (١)، خطاباً للجنسين وإعذاراً للثقلين، فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان.

سورة الواقعة

لما تقدم الإعذار في السورتين المتقدمتين، والتقرير على عظيم البراهين، وأعلم في آخر سورة القمر أن كل واقع في العالم فبقضائه وقدره: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الْزُبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]، أعلمهم سبحانه في الواقعة بانقسامهم الأخرائي، فافتتح بذكر قيام الساعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١]، إلى قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧]، فتجردت هذه السورة للتعريف بأحوالهم الأخرائية، وصدرت بذلك، كما جرّد في السورتين قبل التعريف بحالهم في هذه الدار وما انجر في السور الثلاث جارياً على غير هذا الأسلوب، فبحكم استدعاء الترغيب والترهيب لطفاً بالعباد ورحمة ومطالعها مبنية على ما ذكرته تصريحاً لا تلويحاً، وعلى الاستيفاء لا بالإشارة والإيماء، ولهذا قال تعالى في آخر قصص افتراقهم الأخرائي في هذه السورة: ﴿هَذَا نَزْلُكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ [الواقعة: ٥٦]، فأخبر أن هذا حالهم يوم الجزاء، وقد قدم حالهم الدنياوي في السورتين قبل، وتأكد التعريف بالتقسيم المتقدم فيما بعد وذلك قوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الواقعة: ٨٨]، إلى خاتمتها.

سورة الحديد

لما تقدم قوله تعالى: ﴿مَنْ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٧]، وفيه من التقرير والتوبيخ لمن قرّع به ما لا خفاء به، ثم أتبع بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٥٨) ... الآيات [الواقعة: ٥٨]، إلى قوله: ﴿وَمَتَّعْنَا لِلْمُفْسِدِينَ﴾ [الواقعة: ٥٨]،

(١) تكرر إحدى وثلاثين مرة.

[٧٣]، فقرروا ويسخوا على سوء جهلهم وقبح ضلالهم، ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ﴾ [الواقعة: ٨١]، واستمر توبيخهم إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٧].

فلما أشارت هذه الآيات إلى قبائح من مرتكباتهم، أعقب ذلك بتنزيهه جل وعز عن سوء ما انتحلوه وضلالهم فيما جهلوه، فقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤، ٩٦]، أي: نزهه عن عظيم ضلالهم وسوء اجترائهم، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١]، أي سبح باسم ربك فهي سنة العالم بأسرهم: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [التغابن: ١]، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]، فبين تعالى انفراده بصفات الجلال ونعوت الكمال، وأنه المنفرد بالملك والحمد، وأنه الأول والآخر، والظاهر والباطن إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٦]، تضمنت هذه الآي إرغام من أشير إلى حالة الآي المتقدمة من سورة الواقعة وقطع ضلالهم والتعريف بما جهلوه من صفاته العلى وأسمائه الحسنى جل وتعالى، والتحمت أي السورتين واتصلت معانيها، ثم صرف الخطاب إلى عباده المؤمنين فقال: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ... [الحديد: ٧]، واستمرت الآي على خطابهم إلى آخر السورة.

سورة المجادلة

لما نزه سبحانه نفسه عن تقول الملحدين، وأعلم أن العالم بأسره ينزّهه عن ذلك بالسنة أحوالهم لشهادة العوالم على أنفسها بافتقارها لحكيم أوجدها، لا يمكن أن يشبه شيئاً منها، بل يتنزه عن أوصافها ويتقدس عن سماتها، فقال: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١]، ومضت أي تعرف بعظيم سلطانه وعليّ ملكه، ثم انصرف الخطاب إلى عباده المؤمنين في قوله: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٧]، إلى ما بعد ذلك من الآي، وكأن ذلك ضرب من الالتفات، والواقع هنا منه أشبه شيء بقوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠]، فإنه أتى بعد تفصيل حال المتقين، وحال من

جعل في طرق منهم، وحال من تشبه بظاهره بالمتقين وهو معدود في شرار الكافرين، فلما تم هذا النمط عدل بعده إلى دعاء الخلق إلى عبادة الله وتوحيده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ثم عدل بالكلام جملة وصرف الخطاب إلى تعريف نبيه ﷺ ببداية الخلق: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنَّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فجاء ضرباً من الالتفات، فكذا الواقع هنا، لما بين سبحانه سوء حال مشركي العرب، وقبح عنادهم، وقرعهم وويخهم في عدة سور غالب أيها جار على ذلك ومجرد له، أولها سورة ص كما نبهنا عليه في سورة القمر^(١)، إلى الغاية التي ذكرت فيها، إلى أن وردت سورة القمر منبئة بقطع دابرهم، وانجر فيها الإعداء المنبه عليه، وكذا في سورة الرحمن بعدها^(٢).

ثم أعقب ذلك بالتعريف بحال المنزل الأخراوي في سورة الواقعة مع زيادة تقريع وتوبيخ على مرتكبات استدعت تسبيحه تعالى وتقديسه عن شنيع افترائهم، فأتبعت بسورة الحديد، ثم صرف فيها الخطاب إلى المؤمنين واستمر ذلك إلى آخر السورة، جرت سورة المجادلة على هذا القصد مصروفاً خطابها إلى نازلة يتشوق المؤمنون إلى تعرف حكمها وهو الظهار المبين أمره فيها، فلم يعدل بالكلام بعدما كان قد صرف إليه في قوله: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٧]، بأكثر من التعرض لبيان حكم ما يقع منهم.

ثم إن السورة الواردة بعد إلى آخر الكتاب استمر معظمها على هذا الغرض لانقضاء ما قصد من التعريف بأخبار القرون السالفة والأمم الماضية وتقريع من عاند وتوبيخه، وذكر مآل الخلق واستقرارهم الأخراوي، وذكر تفاصيل التكاليف والجزاء عليها من الثواب والعقاب، وما به استقامة من استجاب وآمن، وما يجب أن يلتزمه على درجات التكاليف وتأکید هذا، فلما كمل هذا صرف الكلام إلى ما يخص المؤمنين في أحكامهم وتعريفهم بما فيه خلاصهم. فمعظم آي السور بعدها هذا شأنها، وإن انجر غيره فلا استدعاء وموجب، وهو الأقل كما بينا.

(١) صفحة: ١٧٤.

(٢) صفحة: ١٨٠.

سورة الحشر

لا خفاء باتصال آيها بما تأخر من آي سورة المجادلة، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، إنما يراد به يهود، فذكر سبحانه سوء سريرتهم وعظيم جرائتهم، ثم قال في آخر السورة: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فحصل من هذا كله تنفير المؤمنين عنهم، وإعلامهم بأن بغضهم من الإيمان وودهم من النفاق لقبيح ما انطروا عليه وشنيع ما ارتكبهوه.

فلما أشارت هذه الآي إلى ما ذكر أتبت بالإعلام في أول سورة الحشر بما عجل لهم من إجلائهم وإخراجهم عن ديارهم وأموالهم، وتمكين المسلمين منهم جزاء على ما كانوا عليه من سوء مرتكبهم. والتحمت الآي باتحاد المعنى وتناسبه وانتسج الكلام.

وافتتحت السورة بالتنزيه لبنائها على ما أشار إلهي غضبه تعالى عليهم، إذ لا يكون إلا على أعظم جريمة وأسوأ مرتكب، وهو اعتداؤهم وعصيانهم المفصل في مواضع من الكتاب، وقد قال تعالى فيهم بعد ذكر غضبه عليهم: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]، فبين تعالى أن لعنه إياهم إنما ترتب على عصيانهم واعتدائهم، وقد فصل اعتداءهم أيضاً في مواضع، فلما كان الغضب مشيراً إلى ما ذكر من عظيم المرتكب أتبعه سبحانه بتنزيه نفسه جل وتعالى فقال: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر: ١]، وإنما يرد مثله في التنزيه في الكتاب بعد ذكر جريمة تقع من العباد وعظيمة يرتكبونها، فتأمل ذلك حيث وقع، ثم عاد الكلام إلى الإخبار بما فعل تعالى بأهل الكتاب مما يتصل بما تقدم، ثم تناسبت الآي.

سورة الممتحنة

افتتحت بوصية المؤمنين عن موالة أعدائهم ونهيهم عن ذلك، وأمرهم بالتبري منهم، وهو المعنى الوارد في قوله في خاتمة سورة المجادلة: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾... [المجادلة: ٢٢]، إلى آخر السورة. وقد حصل منها أن هذه أسنى أحوال أهل الإيمان وأعلى مناصبهم الدينية: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فوصى عباده في افتتاح الممتحنة بالتبري من موالة الأعداء، ووعظهم بقصة إبراهيم والذين معه في تبريهم من قومهم ومعاداتهم في الدين، فالاتصال في هذا بين، وكأن سورة الحشر وردت مورد جعل الاعتراضات المقصود بها تسديد الكلام وتبيينه للسامع مع ما به تمام الفائدة.

لما ذكر أن شأن المؤمنين أنهم لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس إليهم، اعترض بتنزيهه عن مرتكباتهم، ثم أتبع بذكر ما عجله لهم من النعمة والنكال، ثم عاد الأمر إلى النهي عن موالة الأعداء جملة.

ثم لما كان أول سورة الممتحنة إنما نزل في حاطب بن أبي بلتعة^(١) وكتابه لكفار قريش بمكة - والقصة مشهورة - وكفار مكة ليسوا من يهود، وطلب المعادة للجميع واحد، فلهذا فصل بما هو من تمام الإخبار بحال يهود، وحينئذ عاد الكلام إلى الوصية عن نظائرهم من الكفار المعاندين. والتحمت السور الثلاث.

وكثر في سورة الممتحنة ترداد الوصايا والعهود وطلب الوفاء بذلك كله، ولهذه المناسبة ذكر فيها الحكم في بيعه النساء وما يشترط عليهن في ذلك،

(١) حاطب بن أبي بلتعة: (٩٥ق هـ - ٣٠هـ): صحابي شهد مع رسول الله ﷺ الوقائع كلها، كان من الرماة واسع التجارة، هو حامل كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس بالإسكندرية، وكانت وفاته بالمدينة (الإصابة: ٢٩٩/١ - ٢٠٠).

فمبنى السورة على طلب الوفاء افتتاحاً واختتاماً حسب ما بين في التفسير، ليتزده المؤمن عن حال من قدم ذكره في سورة الحشر وفي خاتمة سورة المجادلة.

سورة الصف

افتتحت بالتسبيح لما ختمت به سورة الممتحنة من قوله تعالى: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وهم يهود، وقد تقدم الإيماء إلى ما استوجبوا به هذا فأتبع بالتنزيه لما تقدم بيانه، فإنه مما يعقب به ذكر جرائم المرتكبات، ولا يرد في غير ذلك.

ثم أتبع ذلك بأمر العباد بالوفاء، وهو الذي قدم لهم في الممتحنة لينزهوا عن حال مستوجبي الغضب بنقيض الوفاء والمخالفة بالقلوب والألسنة: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ﴾ [النساء: ٤٦]، ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ﴾ [النور: ٤٧]، وبمجموع هذا استحقوا اللعنة والغضب فقليل للمؤمنين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾﴾ [الصف: ٢]، احذروا أن تشبه أحوالكم حال من استحق المقت واللعنة والغضب.

ثم أتبع بذكر حسن الجزاء لمن وفى قولاً وعقداً، لساناً وضميراً، وثبت على ما أمر به، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمَّا لَهُمْ فَكُلَّمَا أَقْبَضُوا عَيْنَيْهِمْ ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَشِيعُرُ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ثم تناسج ما بعده.

ولما كان الوارد من هذا الغرض في سورة الممتحنة قد جاء على طريق الوصية وسبيل النصيح والإشفاق أتبع في سورة الصف بصريح العتب في ذلك والإنكار، ليكون بعد ما تعهد في السورة قبل أوقع في الزجر. وتأمل كم بين قوله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ... الآيات [الممتحنة: ١] وما تضمنته من التلطف، وبين قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف: ٢، ٣].

سورة الجمعة

لما اختتمت سورة الصف بالثناء على الحواريين في حسن استجابتهم وجميل إيمانهم، وقد أمر المؤمنين بالتشبه بهم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَصْوَارَ اللَّهِ...﴾ الآية [الصف: ١٤]، كان ذلك مما يوهم فضل اتباع عيسى عليه السلام على اتباع محمد ﷺ، فأتبع ذلك بذكر هذه الأمة والثناء عليها، فافتتحت السورة بالتنزيه عما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤] فإنهم ارتكبوا العظيمة وقالوا بالبنوة، فنزه سبحانه نفسه عن ذلك، ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]، إلى قوله: ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

ثم أعلم تعالى بحال طائفة لاح لها نور الهدى، ووضح لها سبيل الحق، فعميت عن ذلك، وارتكست في ظلمات جهلها، ولم تزد بما حملت إلا حيرة وضلالة، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ﴾... الآيات [الجمعة: ٥]، وهي في معرض التنبيه لمن تقدم الشاء عليه، ورحمة من الله إياه، لئلا يكونوا فيما يتلو عليهم نبيهم من الآيات ويعلمهم من الكتاب والحكمة مثل أولئك الممتحنين، فإنهم مقتنوا ولعنوا بعد حملهم كتابهم وزعمهم أنهم التزموا حملة والوفاء به، فوعظ هؤلاء بحالهم لطفاً من الله بهذه الأمة، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

سورة المنافقين

لما أعقب ذكر حال المؤمنين فيما خصهم الله به مما انطورت عليه الآيات الثلاث من صدر سورة الجمعة إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]، بذكر حال من لم ينتفع بما حمل - حسبما تقدم - وكان في ذلك من الوعظ والتنبيه ما ينتفع به من سبقت له الشهادة، أتبع بما هو أوقع في الغرض وأبلغ في المقصود، وهو ذكر طائفة ممن أظهر الإيمان - ممن قدم الشاء عليهم ومن أقرانهم وأترابهم أقاربهم - تلبست في الظاهر بالإيمان،

وأظهرت الانقياد والإذعان، وتعرضت فأعرضت، وتنصلت فما وصلت، بل عاقبتها الأقدار فعميت البصائر والأبصار.

ومن المطرد المعلوم أن اتعاظ الإنسان بأقرب الناس إليه وبأهل زمانه أغلب من اتعاظه بمن بعد عنه زماناً أو نسباً، فأتبعت سورة الجمعة بسورة المنافقين وعظاً للمؤمنين بحال أهل النفاق، ويسط من قصصهم ما يلائم ما ذكرناه، وكأن قد قيل لهم: (ليس حال من أظهر الانقياد والاستجابة من بني إسرائيل ثم كان فيما حُمِّل كمثل الحمار يحمل أسفاراً بأعجب من حال إخوانكم زماناً وقرباً، وأنتم أعرف الناس بهم، وأنهم قد كانوا في الجاهلية موصوفين بجودة الرأي وحسن النظر: ﴿وَلَإِنَّا رَأَيْنَهُمْ تَعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا لَنَقُولَ لَكُنْهُمْ أَتُؤْمِنُونَ﴾ [المنافقون: ٤]، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

سورة التغابن

لما بسط في السورتين قبل من حال من حُمِّل التوراة من بني إسرائيل ثم لم يحملها، وحال المنافقين المتظاهرين بالإسلام وقلوبهم كفر وعناد متكاثفة الإظلام وما بين من خروج الفريقين عن سنن السبيل المستقيم، وتنكبهم عن هدى الدين القويم، وأوهم ذكر اتصافهم بمتحد أوصافهم خصوصهم في الكفر بوسم الانفراد، وسم ينسب عن عظيم ذلك الإبعاد سوى ما تناول غيرهم من أضراب الكفار، فانبأ تعالى أن الخلق بجملتهم - وإن تشعبت الفرق، وافتقرت الطرق - راجعون بحكم السوابق إلى طريقتين، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرْتُمْ كَافِرًا وَهَكُمْ مُؤْمِنًا﴾ [التغابن: ٢]، وقد أوضحت الدلائل أن المؤمنين على درجات وأهل الكفر ذوو طبقات، وأهل النفاق أدونهم حالاً وأسوأهم كفراً وضللاً: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، افتتحت السورة بالتزويه لعظيم مرتكب المنافقين في جهلهم.

ولو لم تنطو سورة المنافقين من عظيم مرتكبهم إلا على ما حكى تعالى من قولهم: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَظْلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، وقد أشار قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْهَوْنَ وَاللَّهُ

عَلَيْمٌ يَدَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ [التغابن: ٤]، إلى ما قبله وبعده من الآيات، إلى سوء جهل المنافقين، وعظيم جرماتهم في قولهم بالسنتهم ما لم تنطو عليه قلوبهم: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، واتخاذهم إيمانهم جنة، إلى ما وصفهم به سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨].

ثم قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُشِيرُونَ وَمَا تُلْتَمُونَ﴾ [التغابن: ٤]، فقرع ووبخ في عدة آيات، ثم أشار إلى ما منعهم عن تأمل الآيات وصدهم عن اعتبار المعجزات وأنه الكبر المهلك غيرهم، فقال تعالى مخبراً عن سلفهم في هذا المرتكب، ممن أعقبه ذلك أليم العذاب وسوء المنقلب: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُنَّ بِمَا يَكُونُ﴾ [التغابن: ٦]، ثم تناسج الكلام معروفاً بمآلهم الأخراوي ومآل غيرهم إلى قوله: ﴿وَيُنَسِّسُ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ١٠]، ومناسبة ما بعد بيّن في التفسير بحول الله.

سورة الطلاق

لما تقدم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]، وقوله في التغابن: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، والمؤمن قد يعرض له ما يضطره إلى فراق من نبه على فتنته وعظيم محنته - وردت هذه السورة منبهة على كيفية الحكم في هذا الافتراق، وموضحة أحكام الطلاق وأن هذه العداوة وإن استحكمت، ونار هذه الفتنة وإن اضطربت لا توجب التبري بالجملة وقطع المعروف، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

وقضى سبحانه بالإحسان المجمل في قوله: ﴿أَوْ تَصْرِيفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وبين تفصيل ذلك وما يتعلق به، فبدأه من الفرق المطلوب بإيقاع الطلاق في أول ما تستعده المطلقة في عدتها وتحسبه من مدتها، تحذيراً من إيقاع الطلاق في الحيض الموجب طول العدة وتكثير المدة، وأكد سبحانه هذا

بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١]، ثم نبه سبحانه على حقهن أيام العدة من الإبقاء في مستقرهن حين إيقاع الطلاق إلى انقضاء العدة، فقال: ﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، إلى ما استمرت عليه السورة من بيان الأحكام المتعلقة بالطلاق وتفصيل ذلك كله. ولما كان الأولاد إذا ظهر منهم ما يوجب فراقهم وإبعادهم غير مفترقين إلى ما سوى الرفض والترك - بخلاف المرأة - لم يحتج إلى ما احتج إليه من حقهن. فقد وضح وجه ورود سورة الطلاق في هذا الموضع، والله أعلم.

سورة التحريم

لا خفاء بشدة اتصال هذه السورة بسورة الطلاق لاتحاد مرماهما وتقارب معناهما، وقد ظن أنه ﷺ طلق نساءه حين اعتزل في الشرفة، حتى سألَه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والقصة معروفة^(١)، وتخييره ﷺ إياهن إثر ذلك، وبعد اعتزاله ﷺ إياهن شهراً كاملاً، وعتب الله سبحانه عليهن في قوله: ﴿وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ [التحريم: ٤]، وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ زَوْجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾ ... الآية [التحريم: ٥]، فهذه السورة وسورة الطلاق أقرب شيء، وأشبه بسورة الأنفال وبراءة لتقارب المعنى والتحامهما.

سورة الملك

ورود ما افتتحت به هذه السورة من التنزيه وصفات التعالي إنما يكون عقب تفصيل وإيراد عجائب من صنعه سبحانه، كورود قوله تعالى: ﴿مَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، عقب تفصيل التقلب الإنساني، من لدن خلقه من سلالة من طين إلى إنشائه خلقاً آخر، وكذا كان ما ورد من هذا ما لم يرد أثناء أي قد جردت للتنزيه والإعلام بصفات التعالي والجلال. ولما كان قد وقع في آخر سورة التحريم ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر،

(١) البخاري: نكاح ٨٣، ٥٥، مسند أحمد: ٣٣/١.

وأعلى آية لمن استبصر من ذكر امرأتين كانتا تحت عبيدين صالحين قد بعثهما الله رحمة لعباده، واجتهدا في دعاء الخلق إلى الله، فحرم الاستنارة بنورهما والعياذ بهما من لم يكن أحد من جنسهما أقرب إليهما منه، ولا أكثر مشاهدة لما مُدّا به من الآيات وعظيم المعجزات، ومع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً.

ثم أعقبت هذه القصة بما جعل في طرف منها ونقيض من حالها، وهو ذكر امرأة فرعون التي لم يضرها مرتكب صاحبها وعظيم جراته، مع شدة الوصلة واستمرار الألفة لما سبق لها في العلم القديم من السعادة وعظيم الرحمة فقالت: ﴿رَبِّ آتِنِي لِىِ عِنْدَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، وحصل في هاتين القصتين تقديم سبب رحمة حرم التمسك به أولى الناس في ظاهر الأمر، وتقديم سبب امتحان سلم منه أقرب الناس إلى التورط فيه.

ثم أعقب ذلك بقصة عرّيت عن مثل هذين السبيين، وانفصلت في مقدماتها عن تينك القصتين، وهو ذكر مريم ابنة عمران، ليعلم العاقل حيث يضع الأسباب، وأن القلوب بيد العزيز الوهاب، أعقب تعالى ذلك بقوله الحق: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وإذا كان الملك بيده سبحانه فهو الذي يؤتي الملك والفضل من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، كما صرحت به الآية الأخرى في آل عمران^(١)، فقد اتضح اتصال سورة الملك بما قبلها، ثم بنيت سورة الملك على التنبيه والاعتبار ببسط الدلائل ونصب البراهين حسبما ييسر في التفسير.

سورة ن والقلم

لما تضمنت سورة الملك من عظيم البراهين ما تعجز العقول عن استيفاء الاعتبار ببعضه كالاختبار بخلق السماوات في قوله: ﴿الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، أي يطابق بعضها بعضاً، من طابق النعل إذا نصفها طبقاً

(١) وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلُوكِ﴾ ... الآية.

على طبق، ويشعر هذا بتساويها في مسافة أقطارها ومقادير أجرامها، والله أعلم.

ووقع الوصف بالمصدر ليشعر باستحكام مطابقة بعضها لبعض إنباء منه سبحانه أنها مع عظيم أجرامها وتباعد أطرافها يطابق بعضها بعضاً من غير زيادة ولا نقص، ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [الملك: ٣]، أي: من اختلاف واضطراب في الخلق أو تناقض، إنما هي مستوية مستقيمة.

وجيء بالظاهر في قوله: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [الملك: ٣]، ولم يقل فيه: ما ترى من تفاوت، ليشعر أن جميع المخلوقات جار على هذا، كل شكل يناسب شكله، لا تفاوت في شيء من ذلك ولا اضطراب، فأعطى الظاهر من التعليم ما لم يكن ليعطيه الإضمار، كما أشعر خصوص اسم الرحمن بما في هذه الأدلة المبسطة من الرحمة للخلائق لمن رزق الاعتبار.

ثم نبه تعالى على ما يرفع الريب ويزيل الإشكال في ذلك فقال: ﴿فَاتَّبِعْ الْبَصَرَ﴾ [الملك: ٣]، أي عاود الاعتبار، وتأمل ما تشاهده من المخلوقات حتى يتضح عندك ما أخبرت به بالمعانية، ولا يبقى معك في ذلك شبهة، ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]، أي: من صدوع وشقوق.

ثم أمر تعالى بتكرير البصر فيهن متصفحاً ومتتبعاً، هل تجد عيباً أو خللاً، ﴿يَقْلَبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا﴾ [الملك: ٤]، أي: إنك إذا فعلت هذا رجع بصرك بعيداً عن إصابة الملتمس، كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار وبالانخساء والكلال لطول الإجالة والترديد.

وأمر برجع البصر ليكون في ذلك استجمامه واستعداده، حتى لا يقنع بالرجعة الأولى التي يمكن فيها الغفلة والذهول، إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة، إذ معنى التثنية في قوله: ﴿كَرِّهَيْنِ﴾ [الملك: ٤]، التكرير، كقولهم: لبيك وسعديك، فيحسر البصر من طول التكرار، ولا يعثر على شيء من فطور.

فلو لم تنطو السورة على غير ما وقع من أولها إلى هنا لكان في ذلك

أعظم معبر وأوضح دليل لمن استبصر، إذ هذا الاعتبار - بما ذكر من عمومه - جار في كل المخلوقات، ولا يستقل بفهم مجاريه الأحاد من العقلاء بعد التحريك والتنبيه، فشهادته بنبوة الآتي به قائمة واضحة.

ثم قد تكررت في السورة دلالات كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ [الملك: ٥]، وقوله: ﴿أَلَا يَتْلُمَنَّ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، الآيات إلى آخر السورة، وأدناها كاف في الاعتبار. فأنى يصدر بعض ذلك من متصف ببعض ما نعتوا به في قولهم: ساحر ومجنون وشاعر؟ ﴿بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾... [المطففين: ١٤].

فلعظيم ما انطوت عليه سورة الملك من البراهين أتبع بتنزيه الآتي بها ﷺ عما تقوله المبطلون، مقسماً على ذلك زيادة في التعظيم وتأكيذاً في التمييز والتكريم، فقال تعالى: ﴿تَٰٓتَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ﴾ ① ﴿مَا أَنتَ بِمَعْجُونٍ﴾ ② [القلم: ١، ٢]، وأتى يصح من مجنون أن يتصور تلك البراهين، وقد انقطعت دونها أنظار العقلاء؟ فكيف ببسطها وإيضاحها في نسق موجز، ونظم معجز، وتلاؤم حير العقول، وعبارة تفوق كل قول، تعرف ولا تدرك، ويستوضح سبيلها فلا يسلك؟ ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

فقوله سبحانه: ﴿مَا أَنتَ بِمَعْجُونٍ﴾ ③ [القلم: ٢]، جواب لقوله تعالى في آخر السورة: ﴿وَقُولُوا إِنَّهُ لَمَعْجُونٌ﴾ [القلم: ٥١]، وتقدم الجواب بنفي قولهم والتنزيه عنه على حكاية قولهم، ليكون أبلغ في إجلاله ﷺ، وأخف وقعاً عليه، وأنشط لحاله في تلقي ذلك منهم، ولهذا قدم له ﷺ مدحه بما خصه به من الخلق العظيم، فكان هذا أوقع في الإجلال من تقدم قولهم ثم رده، إذ كسر سورة تلك المقالة الشنعاء بتقديم التنزيه عنها أتم في الغرض وأكمل، ولا موضع أليق بذكر تنزيهه ﷺ ووصفه من الخلق والمنح الكريمة بما وصف مما أعقب به ذلك، إذ بعض ما تضمنته سورة الملك مما قدم الإيماء إليه شاهد قاطع لكل عاقل منصف بصحة نبوته ﷺ وجليل صلته، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فقد تبين موقع هذه السورة هنا، وتلاؤم ما بعد من أيها يذكر في التفسير.

ثم إن سورة الملك لما انطوت على ضرب من التنبيه والتخويف وقع ذلك فيها على تدرّج عظيم للطفه سبحانه بعبيده، فقلوه تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَبْدُو الْمَلِكُ﴾ [الملك: ١] أعظم تنبيه لأن الموجودات شاهدة بالعبودية لمالكها الحق ومفصحة بأن الملك له، لكن لا يستغل هذا الاعتبار إلا من نور الله بصيرته، ثم نبه بالموت والحياة وفيهما معتبر ودلالة، ويحتاج في ذلك أيضاً إلى النظر، ثم بخلق السماوات والاعتبار بذلك أقرب مما تقدم على ما أشارت إليه الآية.

سورة الحاقة

لَمَّا بُنِيت سورة (ن والقلم) على تفريع مشرقي قريش وسائر العرب وتوبيخهم، وتنزيه نبي الله ﷺ عن شنيع نقولهم وقبيح بهتهم، وبين حسدهم وعداوتهم: ﴿وَإِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِنُزُلُوتِكَ بِأَصْرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١]، أتبع بسورة الحاقة وعيداً لهم، وبياناً أن حالهم في سوء ذلك المرتكب قد سبق إليه غيرهم: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝١﴾ [الحاقة: ٤]، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٢﴾ [الحاقة: ٨]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُخَشِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سَمِعَ لَهُمْ رِكْزًا ۝٣﴾ [مريم: ٩٨].

فسورة الحاقة جارية مجرى هذه الآي المعقب بها ذكر عناد مشرقي العرب، ليتعظ بها من رزق التوفيق: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَنَعِيًا أُنْذِرُكُمْ ۝١﴾ [الحاقة: ١٢]، ولما ذكر حال من هلك من الأمم السالفة بسوء تكذيبهم وقبح عنادهم أتبع ذلك بذكر الوعيد الآخر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۝٣﴾ [الحاقة: ١٨]، ثم عاد الكلام إلى ما عليه بنيت سورة ن والقلم من تنزيهه ﷺ وتكريمه مقسماً على ذلك: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ [الحاقة: ٤٠، ٤١]، ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ ۝٥﴾ [الحاقة: ٤٢]، وانتهى نفي ما تقوله منصوصاً على نزاهته من كل خلة منها في السورتين: ﴿مَا أَنْتَ بِمُتَعَذِّرٍ بَلْ يَمْجُؤُونَ ۝٦﴾ [القلم: ٢]، وما الذي جئت به بقول شاعر ولا بقول كاهن بل هو: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ ۝٧﴾ [الحاقة: ٤٣]، ﴿وَأِنَّهُ لَتَذْكُرٌ لِلْعَذَابِينَ ۝٨﴾ [الحاقة: ٤٨]، ﴿وَلَيْتَهُمْ لَحِقَ الْيَقِينَ ۝٩﴾ [الحاقة: ٥١]، فزعه ربك وقدهسه عن عظيم ما ارتكبوا.

سورة المعارج

لما انطوت سورة الحاقة على أشد وعيد وأعظمه أتبعته بجواب من استبطأ ذلك واستبعده، إذ هو مما يلجأ إليه المعاند الممتحن، فقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]، إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَرَأَتْهُ قُرَيْبًا ۝﴾ [المعارج: ٦، ٧]، ثم ذكر حالهم إذ ذاك: ﴿يَوْمَذُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ ۝...﴾ [المعارج: ١١]، ثم أتبع بأن ذلك لا يغني عنه ولا يفيد: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ۝﴾ [المعارج: ١٥]، ثم ختمت السورة بأكيد الوعيد وأشد التهديد، ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ [المعارج: ٤٢]، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤]، ذلك يوم الحاقة ويوم القارعة.

سورة نوح

لما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر في قوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، وجليل الإغضاء في قوله: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ [المعارج: ٤٢]، أتبع ذلك بذكر قصة نوح ﷺ، وتكرار دعائه قومه إلى الإيمان، وخص من خبره حاله في طول مدة التذكار والدعاء، لأنه المقصود في الموضع تسلية لنبينا ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَٰؤُا الْعَزِيزِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [فاطر: ٨]، فقد دام دعاء نوح قومه أذوم من مدتك، ومع ذلك لم يزد هم إلا فراراً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ۝ إِذِ انْتَبَهَوْا ۝ فَأَسْتَغْفِسُ لَهُمْ يَا أَيُّهَا اللَّهُ فَاغْفِرْ لَهُمْ دُعَاؤِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [نوح: ٥ - ٧].

ثم مضت آي السورة على هذا المنهج من تجريد الإخبار بطول مكابذته ﷺ، وتكرار دعائه، فلم يزد هم ذلك إلا بعداً وتصميماً على كفرهم، حتى أخذهم الله وأجاب فيهم دعاء نبيه ﷺ، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وذلك ليأسه من فلاحهم، وانجر في هذا حض نبينا ﷺ على الصبر على قومه والتحمل منهم كما صرح به في قوله تعالى:

﴿خُذِ الْقَوْلَ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ لَكَ الْقُرْآنَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وكما قيل له قبل: ﴿فَأَمَّا لِيُكَلِّمَ رَبُّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْاُتَى﴾ [القلم: ٤٨]، ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَقْبَلَهُ الرُّسُلُ مَا نُبَيِّنُ بِهِ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ هُمْ يُزَادُونَ﴾ [هود: ١٢٠].

سورة الجن

لما تقدم ذكر حال كفار قريش في تعاملهم عن النظر، وجريهم إلى اللد والعداء حسبما انطوت عليه سورة ن والقلم، ثم أتبع بوعيدهم في الحاقة، ثم بتجميعه وقرب وقوعه في المعارج، ثم بتسليته عليه السلام وتأنيسه بقصة قوم نوح، أعقب ذلك بما يتعظ به الموفق، ويعلم أن القلوب بيد الله.

فقد كانت استجابة معاندي قريش والعرب أقرب في ظاهر الأمر لنبي من أنفسهم ومن جنسهم، فقد تقدمت لهم معرفة صدقه وأمانته، ثم جاءهم بكتاب بلسانهم الذي به يتحاورون، ولغتهم التي بها يتكلمون، وقد بهرت العقول آياته، ووضحت لكل ذي قلب سليم براهينه ومعجزاته، وقد علموا أنهم لا يقدرّون على معارضته، إلى (ما)^(١)، شاهدوه من عظيم البراهين، ومع ذلك عموا وطمسوا، وسبق إلى الإيمان من ليس من جنسهم، ولا سبقت له مزية تكريمهم، وهُم الجن ممن سبقت له من الله الحسنى، فآمنوا وصدقوا، وأمر رسول الله ﷺ بالإخبار بذلك فأنزل عليه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ...﴾ [الجن: ١]، إلى قوله - إخباراً عن تعريف الجن سائر إخوانهم بما شاهدوه من عناد كفار العرب -: ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا قَوْمٌ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، واستمرت الآي ملتحمة المعاني معتصدة المباني إلى آخر السورة.

(١) سقط من ن ١.

سورة المزمل

لما كان ذكر إسلام الجن قد أحرز غاية انتهى مرماها، وتم مقصدها ومبناها، وهي الإعلام باستجابة هؤلاء، وحرمان من كان أولى بالاستجابة، وأقرب في ظاهر الأمر إلى الإنابة، بعد تقدم وعيدهم وشديد تهديدهم صرف الكلام إلى أمره ﷺ بما يلزمه من وظائف عبادته، وما يلتزمه في أذكاره من ليله ونهاره، مفتتحاً ذلك بأجمل مكالمة والطف مخاطبة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُولُ﴾ [المزمل: ١]، تسلياً له ﷺ كما ورد: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ [فاطر: ٨]، وليحصل منه أن لا اكتراث بعناد من قدم عناده وقدم لججه، وأتبع ذلك بما يشهد لهذا الغرض ويعضده وهو قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [١٠] وَذَرْنِي أُولَىٰ النِّعَمَةِ وَمَهَلُمَّ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١٠، ١١]، وهذا عين الوارد في قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ [فاطر: ٨]، وفي قوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]، ثم قال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ [المزمل: ١٢]، فذكر ما أعد لهم.

وإذا تأملت هذه الآي وجدتها قاطعة بما قدمناه، وبأن لك التحام ما ذكر، ثم رجع الكلام إلى التلطف به ﷺ وبأصحابه، وإجزال جزائهم مع وقوع التقصير ممن يصح منه لعظم المعبود الحق جل جلاله: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْشَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠]، إلى قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْشُرُ رُتَّةً﴾ [المزمل: ٢٠]، وإلى ختم السورة بالاستغفار من كل ما تقدم من عناد الجاحدين المتقدم ذكرهم فيما قبل من السورة، وإلى ما لم يف العباد المستجيبون به مما أشار إليه قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْشَوْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

سورة المدثر

ملاءمتها لسورة المزمل واضحة، فاستفتاح السورتين من نمط واحد، وما ابتدئت به كل واحدة منهما من جليل خطابه ﷺ وعظيم تكريمه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُولُ﴾ [المزمل: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، والأمر فيهما بما يخصه:

﴿فَرِئَلَّ لَا فِئَلًا ۖ يَصْفُوهُ﴾ ... الآي [المزمل: ٢، ٣]، وفي الأخرى: ﴿فَرِئَلَّ لَا فِئَلًا ۖ يَصْفُوهُ﴾ [المزمل: ٢، ٣]، وأتبع في الأولى بقوله: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: ١٠]، وفي الثانية بقوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المزمل: ٧]، وكل ذلك قصد واحد، وأتبع أمره بالصبر في المزمل بتهديد الكفار ووعيدهم: ﴿وَذَرْنِي وَالْكَافِينَ﴾ ... الآيات [المزمل: ١١]، وكذلك في الأخرى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ ... الآيات [المزمل: ١١]، فالسورتان واردتان في معرض واحد وقصد متحد.

سورة القيامة

لما تقدم قوله مخبراً عن أهل الكفر: ﴿وَكَا كَذِبَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [المزمل: ٤٦]، ثم قد تقدم في صدر السورة قوله تعالى: ﴿إِذَا نُفِخَ فِي النُّفُورِ﴾ [المزمل: ٨]، إلى قوله: ﴿عِزِّ يَوْمِ﴾ [المزمل: ١٠]، والمراد به يوم القيامة، والوعيد به لمن ذكر بعد في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المزمل: ١١]، ومن كان على حاله في تكذيبه، ووقوع ذلك منه. ثم تكرر ذكره عند جواب من سئل بقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المزمل: ٤٢]، بسط القول في هذه السورة ما تكرر في الأخرى في بيان ذكر ذلك اليوم وأهواله، وأشير إلى حال من كذب به في قوله تعالى: ﴿يَتْلُو آيَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦]، وفي قوله: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَىٰ عِظَامِهِ﴾ [القيامة: ٣]، ثم أتبع ذلك بذكر أحوال الخلائق في ذلك اليوم: ﴿يَبْئُتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

سورة هل أتى على الإنسان

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، تعريف للإنسان بحاله وابتداء أمره، ليعلم ألا طريق له للكبر، واعتقاده السيادة لنفسه، وألا يغالطه ما اكتنفه من اللطاف الربانية، والاعتناء الإلهي والمكرمة، فيعتقد أنه يستوجب ذلك ويستحقه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّمْعٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

ولما تقدم في القيامة إخباره تعالى عن حال منكري البعث عناداً واستكباراً وتعامياً عن النظر والاعتبار: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْعَ عَظَامُهُ﴾ [القيامة: ٣]، وقوله بعد: ﴿فَلَا صَلَفَ وَلَا مَلَأَ﴾ [٣]، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتْلَىٰ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمَنَّطُ ﴿٣٤﴾ [القيامة: ٣١ - ٣٣]، أي: يتبخر عُدواً واستكباراً ومرحاً وتجبراً، بعد (إخباره) ^(١) بحاله التي لو فكر فيها لما كان منه ما وصف، وذلك قوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نَفْثَةً مِنْ مَتْنٍ يُمْنَىٰ﴾ [٣٧] ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ [القيامة: ٣٧، ٣٨]، أتبع ذلك بما هو أغرق في التوبيخ وأوغل في التعنيف، وهو أنه قد كان لا شيء فلا نطفة ولا علقة، ثم أنعم عليه بنعمة الإيجاد، ونقله تعالى من طور إلى طور، فجعله نطفة من ماء مهين في قرار مكين، ثم كان علقة، ثم مضغة، إلى إخراجها وتسويته خلقاً آخر: ﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فمن اعتبر باتصافه بالعدم ثم تقلبه في هذه الأطوار المكتنف حلها والواضح فناؤها واضمحلالها وأيده الله بتوفيقه، عرف حال ومآل من وصف في قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمَنَّطُ﴾ [القيامة: ٣٣].

فسبحان الله ما أعظم حلمه وأكرم رفقته!

ثم بين تعالى أن ما جعله للإنسان من السمع والبصر ابتلاء له، ومن أدركه أدركه الغلط وارتكب الشطط.

سورة المرسلات

أقسم تعالى بالملائكة المتابعين في الإرسال، والرياح المسخرة والآتية بالمطر، والملائكة الفارقة بما تنزل به بين الحق والباطل، الملقية الذكر بالوحي إلى الأنبياء إذاراً من الله وإنذاراً، أقسم تعالى بما ذكر من مخلوقاته على صدق الموعود في قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا وَأَغْلَلاً وَسَعِيرًا﴾ [الآيات [الإنسان: ٤]، وقوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]، وقوله: ﴿وَيَجْزِيهِمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ... [الآيات [الإنسان: ١٢]، إلى: ﴿وَكَانَ سَعِيرًا مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]، وقوله: ﴿وَيَذَرُونَ وراءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾

(١) زيد ليتم المعنى.

[الإنسان: ٢٧]، وقوله: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١]، ولو لم يتقدم إلا هذا الوعيد المختتم به السورة لطابقه افتتاح الأخرى قسماً عليه أشد المطابقة، فكيف وسورة هل أتى على الإنسان برأسها مواعد أخراوية وإخبارات جزائية؟ فأقسم ﷺ على صحة الوقوع، وهو المتعالي الحق، وكلامه الصدق.

سورة النبا

أما مطلعها فترتب على تساؤل واستفهام وقع منهم، وكأنه وارد هنا في معرض العدول والالتفات، وأما قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَقُولُونَ ۖ كَلَّا سَيَقُولُونَ ۖ﴾ [النبا: ٤، ٥]، فمناسب للوعيد المتكرر في قوله: ﴿وَلَّيْلَ يَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ﴾^(١)، وكان قد قيل: سيعلمون عاقبة تكذيبهم، ثم أورد تعالى من جميل صنعه ما إذا اعتبره المعبر علم أنه لا بد من وقت ينكشف فيه الغطاء ويجازى الخلاق على نسبة من أحوالهم في الاعتبار والتدبر والخضوع لمن نصب مجموع تلك الدلائل، ويستشعر من تكرار الفصول، وتجدد الحالات، وإحياء الأرض بعد موتها جري ذلك في البعث واطراد الحكم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ تُخَيَّجُ الْمَوْتَىٰ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فقال تعالى منبهاً على ما ذكرناه: ﴿أَنزِلْ نَجْمَ الْأَرْضِ مِهْنًا﴾ [النبا: ٦]، إلى قوله: ﴿وَجِئْتَ أَفْئَافًا﴾ [النبا: ١٦].

فهذه المصنوعات المقصود بها الاعتبار كما قدم، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبا: ١٧]، أي: موعداً لجزائكم، ولو اعتبرتم بما ذكر لكم لتيقنتم منه وقوع (البعث)^(٢)، وكونه ليقع جزاؤكم على ما سلف منكم، فويل يومئذ للمكذبين.

ويشهد لهذا القصد مما بعد من الآيات قوله تعالى لما ذكر ما أعد للطاغين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۖ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۖ﴾ [النبا: ٢٧ - ٢٩]، ثم قال بعد: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ﴾

(١) وردت في المرسلات عشر مرات. (٢) زيدت ليطم بها المعنى.

[النبا: ٣١]، وقوله بعد: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ [النبا: ٣٩]، وأما الحياة الدنيا فلعب ولهو: ﴿وَلَا تَدَارُ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقوله بعد: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِغَنِي كُتُّ رَبِّبَا﴾ [النبا: ٤٠].

سورة النازعات

لما أوضحت سورة النبا حال الكافر في قوله: ﴿يَلْبِغَنِي كُتُّ رَبِّبَا﴾ [النبا: ٤٠]، عند نظره ما قدمت يده ومعاينته من العذاب عظيم ما يراه، وبعد ذكر تفصيل أحوال وأهوال، أتبع ذلك بذكر ما قد كانت حاله عليه في دنياه من استبعاد عودته في أخراه، وذكر هون ذلك عليه سبحانه، كما قال في الموضع الآخر: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وذلك بالنظر إلينا ولما عهدناه وإلا فليس عنده سبحانه شيء أهون من شيء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فقال تعالى: ﴿وَاللَّزَّعَتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١]، إلى قوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْنَا لَمَرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [١٢] ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً﴾ [١٣] [النازعات: ١٠، ١١]، أي: يستبعدون ذلك ويستدفعونه: ﴿فَالنَّامَا هِيَ زَجْرًا وَتَجْرَةً﴾ [النازعات: ١٣]، أي صيحة، ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤]، أي: بالأرض قياماً ينظرون ما قدمت أيديهم، وهم يتمنون أن لو كانوا تراباً ولا ينفعهم ذلك. ثم ذكر تعالى من قصة فرعون وطغيانه ما يناسب الحال في قصد الاتعاظ والاعتبار، ولهذا أتبع القصة بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْتَعِقُ﴾ [النازعات: ٢٦].

سورة عبس

لما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْتَعِقُ﴾ [النازعات: ٢٦]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، افتتحت هذه السورة الأخرى بمثال يكشف عن المقصود من حال أهل التذكر والخشية وجميل الاعتناء الرباني بهم، وأنهم وإن كانوا في دنياهم ذوي خمول، لا يؤبه لهم، فهم عنده سبحانه في عداد من اختاره لعبادته، وأهله لطاعته وإجابة رسله، وأعلى منزلته لديه:

رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ لَا يُوْبُهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ^(١)، ومنهم ابن أم مكتوم الأعمى مؤذن رسول الله ﷺ، وهو الذي نزلت السورة بسببه، ووردت بطريق العتب وصاة لنبي الله ﷺ وتنبهياً على أن يحمل نفسه الكريمة على مصابرة أمثال ابن أم مكتوم، وأن لا يحتقره، وحاشاه ﷺ من ذلك، ولكن التحذير من هذا - وإن لم يكن وقع - يشعر بعظيم الاعتناء بمن حذر، وهو من قوله سبحانه له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وهو كثير، وبسط هذا الضرب لا يلائم مقصودنا في هذا التعليق.

لما دخل عليه ﷺ ابن أم مكتوم سائلاً مسترشداً، وهو ﷺ يكلم رجلاً من أشرف قريش، وقد طمع في إسلامه، ورجا إنقاذه من النار وإنقاذ ذويه وأتباعه، فتمادى على مكالمته هذا الرجل لما كان يرجوه، ووكل ابن أم مكتوم إلى إيمانه فأغفل فورية مجابته، وشق عليه إلحاحه خوفاً من تفلت الآخر ومضيه على عقبه وهلاكه، عتب سبحانه عليه فقال: ﴿عَسَىٰ وَفَوْقَ ۖ أَن جَاءَهُ الْأَقْنَىٰ﴾ [١]... الآيات [عبس: ١، ٢]، وفيها: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّكَ يَرْكَىٰ﴾ [عبس: ٣]، وهي منه سبحانه واجبة.

وقد تقدم في السورة قبل قول موسى ﷺ لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ أَن تَزْكَىٰ﴾ [النازعات: ١٨]، فلم يقدر له ذلك، ولا انتفع ببعده صيته في الدنيا، ولا أغنى عنه ما نال منها، وبارت مواد تدبيره، وعميت عليه الأنباء إلى أن قال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَمِنَنَّ عَلَى الْطِينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [غافر: ٣٧]، فأنى يزكى؟ ولو سبقت له سعادة لأبصر من حاله عين اللهو واللعب حين مقالته الشنعاء: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف: ٥٢]. ولما سبقت لابن أم مكتوم الحسنى، لم يضره عدم الصيت الدنياوي، ولا أخل به عماه، بل

(١) مسلم: بر: ١٣٨، جنة: ٤٨.

عَظُمَ ربه شأنه لما أنزل في حقّه: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ يَزْكُ﴾ ﴿٢٠﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرُ ﴿٢١﴾ [عبس: ٣، ٤]، فيا له صيتاً ما أجله! بخلاف من قدم ذكره ممن طرد فلم يتزكَّ ولا انتفع بالذكرى حين قصد بها، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخَشِنَهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، كابن أم مكتوم.

ومن نمط ما نزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ... [الكهف: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]، فتبارك ربنا، ما أعظم لطفه بعبده!.

اللهم لا تيسنا من رَوْحِكَ، ولا تقطع بنا عنك بمنك وإحسانك.

سورة التكوير

لما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُفُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ ... الآيات [عبس: ٣٣، ٣٤] إلى آخر السورة، كان مظنة لاستفهام السائل عن الوقوع ومتى يكون؟ فقال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، ووقوع تكوير الشمس، وانكدار النجوم، وتسيير الجبال، وتعطيل العشار، كل ذلك متقدم على فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه، إلى ما ذكر إلى آخر السورة، لاتصال ما ذكر في مطلع سورة التكوير بقيام الساعة، فصح أن يكون أمانة للأول وَعَلِمَاً عليه.

سورة الانفطار

هذه السورة كأنها من تمام سورة التكوير لاتحاد القصد، فاتصالها بها واضح وقد مضى نظير هذا^(١).

(١) كما بين الأنفال والتوبة، وبين الطلاق والتحريم.

سورة التطفيف

لما قال سبحانه في سورة الانفطار: ﴿وَأِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كَرَامًا كَثِيرِينَ ۝﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]، وكان مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال، وأنه لا يفوت عمل كما قال تعالى: ﴿وَلَا كَانَ يَنْفَعُ الْخَبِيرَ ۝ مَنْ خَرَدَلِ آتِنَا بِهِمَا ۝﴾ [الأنبياء: ٤٧]، أتبع الآية المتقدم ذكرها بجزاء من عمل عملاً يتوهم فيه هون المرتكب، وهو من أكبر الجرائم وذلك التطفيف في المكبال والميزان، والانحراف عن إقامة القسط في ذلك، فقال تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، ثم أردف بتهديدهم وتشديد وعيدهم، فقال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝﴾ [المطففين: ٤]، ثم التحمت الآية مناسبة لما افتتحت به السورة إلى ختامها.

سورة الانشقاق

لما تقدم في الانفطار التعريف بالحفظة وإحصائهم على العباد في كتبهم، وعاد الكلام إلى ذكر ما يكتب على البر والفاجر واستقرار ذلك، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ [المطففين: ١٨]. وقوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ [المطففين: ٧] أتبع ذلك هنا بذكر التعريف بأخذ هذه الكتب في القيامة عند العرض، وأن أخذها بالآيمان عنوان السعادة، وأخذها وراء الظهر عنوان الشقاء، إذ تقدم في السورتين قبل ذكر الكتب واستقرارها بحسب اختلاف مضمناها منها في عليين، ومنها في سجين، إلى يوم العرض، فيؤتى كل كتابه، فيأخذ هذا بيمينه وهو عنوان سعادته، ويأخذ ذاك وراء ظهره وهو عنوان هلاكه. فتحصل الإخبار بهذه الكتب ابتداء واستقراراً وتفريقاً يوم العرض، وافتتحت السورة بذكر انشقاق السماء، ومد الأرض، وإلقائها ما فيها وتخليها، تعريفاً لهذا اليوم العظيم بما يتذكر به من سبقت سعادته، والمناسبة بينة.

سورة البروج^(١)

وردت هذه السورة في معرض الالتفات والعدول إلى إخبار نبي الله ﷺ بما تضمنته هذه السورة من قصة أصحاب الأخدود، وقد تقدم هذا الضرب في سورة المجادلة وسورة النبأ، وبيننا وقوعه في أنفس السور وبينها، وهو أقرب فيما بين السورتين وأوضح.

سورة الطارق

لما قال تعالى: في سورة البروج: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]، وكان في ذلك تعريف العباد بأنه سبحانه لا يغيب عنه شيء ولا يفوته هارب، أردف ذلك بتفصيل يزيد في إيضاح ذلك التعريف الجملي، من شهادته سبحانه على كل شيء، وإحاطته به، فقال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

فأعلم سبحانه بخصوص كل نفس بمن يحفظ أنفاسها: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ليعلم العبد أنه ليس بمهممل ولا مضتبع، وهو سبحانه الغني عن كتب الحفظة وإحصائهم، ولكن هي سنته حتى لا يبقى لأحد حجة ولا تعلق، وأقسم تعالى على ذلك تحقيقاً وتأكيذاً يناسب المقصد المذكور.

سورة الأعلى

لما قال سبحانه مخبراً عن عمه الكفار في ظلام حيرتهم أنهم يكيدون كيداً، وكان وقوع هذا من العبيد المحاط بأعمالهم ودقائق أنفاسهم وأحوالهم من أقبح مرتكب وأبعده عن المعرفة بشيء من عظيم أمر الخالق جلّ جلاله وتعالى علاؤه وشأنه، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه ﷺ بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم وافتراءهم، فقال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] أي:

(١) بهامش ن ١ وفي الأصل: الطارق وهو خطأ.

نزّهه عن قبيح مقالهم، وقد مر التنبيه على وقوع التنزيه في أمثال هذا ونظائره، ووقوع ذلك أثناء السور وفيما بين سورة وأخرى، وأتبع سبحانه من التعريف بعظيم قدرته وعليّ حكمته ما يبين ضلالهم فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣]، فتبارك الله أحسن الخالقين، وتنزه عما يتقوله المفكرون.

سورة الغاشية

لما تقدم تنزيهه سبحانه عما توهمه الظالمون، واستمرت أي السورة على ما يوضح تقدّيس الخالق جل جلاله عن عظيم مقالهم، أتبع ذلك بذكر الغاشية بعد افتتاح السورة بصورة الاستفهام تعظيماً لأمرها، فقال تعالى لنبيه: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَيْثُ الْفِتْنَةُ﴾، وهي القيامة، فكأنه سبحانه يقول: في ذلك اليوم يشاهدون جزاءهم، ويشدّ تحسرهم حين لا يغني عنهم، ثم عرف بعظيم امتحانهم في قوله: ﴿أَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦] مع ما بعد ذلك وما قبله، ثم عرف بذكر حال من كان في نقيض حالهم إذ ذاك أزيد في (القرع)^(١) وأدهى، ثم أردف بذكر ما نصب من الدلائل وكيف لم تغن عنهم فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] أي: أفلا يعتبرون بكل ذلك ويستدلون بالصنعة على الصانع، ثم أمره بالتذكّار.

سورة الفجر

أبدى سبحانه لمن تقدم ذكره وجهاً آخر من الاعتبار، وهو أن يتذكروا حال من تقدم من الأمم وما أعقبهم تكذيبهم واجترامهم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمِصْرَ ۖ﴾ [الفجر: ٦، ٧] إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] أي إنه لا يخفى عليه شيء من مرتكبات الخلائق،

(١) في ن: القرع.

ولا يغيب عنه ما أكنّوه: ﴿سَوَاءٌ مِّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠]. فهلاً اعتبر هؤلاء بما يعاينونه ويشاهدونه من خلق الإبل، ورفع السماء ونصب الجبال، وتسطيح الأرض، كل ذلك لمصالحهم ومنافعهم، فالإبل لأثقالهم وانتقالهم، والسماء لسقيهم وإظلالهم، والجبال لاختزان مياههم وإقلالهم، والأرض لحلهم وترحالهم، فلا بهذا استبصروا ولا بمن خلا قبلهم من القرون اعتبروا.

الم يروا كيف فعل بعاد على عظيم طغيانها وصميم بهتانها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَإِلْمَرَصَدٌ ۝١٤﴾ [الفجر: ١٤]، سيتذكرون حين لا ينفع التذكر: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝١٥ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝١٦ وَجِئَتْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَبَذَرُ الْإِنْسَنُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۝١٧﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٣].

سورة البلد

لما أوضح سبحانه حال من قدم ذكره في السورتين في عظيم حيرتهم، وصف غفلتهم وما أعقبهم ذلك من التذكر تحسراً حين لا ينفع، والتندم ولات حين مطمع، أتبع ذلك بتعريف نبيه ﷺ بأن وقوع ذلك منهم إنما جرى على حكم السابقة التي شاءها والحكمة التي قدرها، كما جاء في الموضع الآخر: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣]، فأشار تعالى إلى هذا بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] أي: إنا خلقناه كذلك ابتلاء ليكون ذلك قاطعاً لمن سبق له الشقاء عن التفكير والاعتبار: ﴿وَلَن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]، فأعماهم بما خلقهم فيه من الكبد، وأغفل قلوبهم فحسبوا أنه لا يقدر عليهم أحد.

وقد بيّن سبحانه فعله هذا بهم في قوله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، أفأنت يا محمد تشاهدهم ذوي أبصار وآلات بها يعتبر النظار: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَّكُمْ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البلد: ٨، ٩]، فهلاً أخذ في خلاص نفسه واعتبر بحاله وأمهه، ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]، ولكن إذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له.

سورة الشمس

لما تقدم في سورة البلد تعريفه تعالى: بما خلق فيه الإنسان من الكبد، مع ما حصل له سبحانه من آلات النظر، وبسط له من الدلائل والعبء، وأظهره في صورة من ملك قياده، وميز رشده وعناده، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]، وذلك بما جعل له من القدرة الكسبية التي حقيقتها إمام وعزم، وأتى بالاستبداد والاستقلال؟ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، أقسم سبحانه في هذه السورة على فلاح من اختار رشد، واستعمل جهده، وأنفق وجده ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، وخيبة من عادى هداه، واتبع هواه: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠]، فبين حال الطريقين وسلوك الفريقين.

سورة الليل

لما بين قبل حالهم في الافتراق، وأقسم سبحانه على أن ذلك الشأن في الخلائق بحسب تقديره أزلاً: ﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، فقال تعالى: ﴿إِنَّ سَيِّئَ لَقْدٍ﴾ [الليل: ٤]، فاتصل بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

ثم إن قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل: ٥] إلى: ﴿لَلْمَسْرِيِّ﴾ [الليل: ١٠] يلائمه تفسيراً أو تذكيراً بما الأمر عليه من كون الخير والشر بإرادته وإلهامه، وبحسب السوابق قوله: ﴿فَأَلَمَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]، فهو سبحانه الملهم للإعطاء والاتقاء والتصديق، والمقدر للبخل (والا...) (١) والتكذيب: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ثم زاد ذلك إيضاحاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [١٧] وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ [الليل: ١٢، ١٣] فتباً للقدرة والمعتزلة:

(١) في ن: ١: بياض، ويبدو أنه مكان لفظة ساقطة تقديرها «والاستغناء»، استنتاجاً من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَفْتَى﴾ (٨) وَكَذَّبَ بِآيَاتِنَا﴾ (١١).

﴿وَكَاْنَيْنِ مِّنْ ءَايٰتِي فِي السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمْرُوْنَ عَلَيَّهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [١٥٥]
 [يوسف: ١٠٥].

سورة الضحى

لما قال تعالى: ﴿فَالْمَمَّهَا بُجُورَهَا وَتَقْوَنَهَا﴾ [٨] ﴿الشمس: ٨﴾، ثم أتبعه بقوله: ﴿فَسَيَّرُهُ﴾ [الليل: ٧]، ويقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [٧] ﴿وَلَنَا لِّلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [١٣] ﴿الليل: ١٢، ١٣﴾، فلزم الخوف والاشتداد والفرع، وتعين على الموجود الإذعان للتسليم والتضرع في التخلص والنجاة إلى السميع العليم، أنس جل وتعالى أحب عباده إليه وأعظمهم منزلة لديه، وذكر له ما منحه من تقربه واجتبائه وجمع خير الدارين له، فقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [٢] ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [٣] ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [٤] ﴿الضحى: ١ - ٤﴾.

ثم عدد عليه تعالى نعمه بعد وعده الكريم له بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَىٰ﴾ [٥] ﴿الضحى: ٥﴾، وأعقب ذلك بقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَمِيمُ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [٦] ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [٧] ﴿الضحى: ٩، ١٠﴾، فقد آويتك قبل تعرضك، وأعطيتك قبل سؤالك، فلا تقابله بقهر من تعرض، وانتهار من سأل، وهو حاشاه عما نهاه عنه، ولكنه تذكير بالنعيم، وليستوضح الطريق من وفق من أمته ﷺ، أما هو ﷺ فحسبك من تعرف رحمته ورفقه: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ... إلى: ﴿رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ثم تأمل استفتاح هذه السورة ومناسبة ذلك للمقصود، وكذا السورة قبلها، فوقع القسم في الأولى بقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١] تنبيهاً على انبهاهم الأمر في السلوك على المكلفين، وغيبة حكم العواقب، وليناسب هذا حال المتذكر بالآيات، وما يلحقه من الخوف خفاء أمر غائب عنه من تيسيره ومصيره، واستعصاء ما به يحصل اليقين، واستصعاب ترقى درجات المتقين، ثم لم يكن هذا غائباً بالجملة عن آحاد المكلفين، أعني ما يثمر العلم اليقين ويعلي من أهل للترقى في درجات اليقين، بل قد يطلع سبحانه خواص عباده على ما به التقوى والاعتبار على واضحة السبيل، ويريهم مشاهدة وعياناً ما قد

انتهجوا قبل سبيله بمشقة النظر في الدليل، قال ﷺ لحارثة: وجدت فالزم، وقال مثله للصدیق، وقال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ تَحَنُّ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١]، فلم يسبق في حق هؤلاء كل ذلك الإبهام ولا كدر حولهم متكاثف ذلك الإظلام، لما منحهم سبحانه من نعمة الإحسان بما وعدهم في قوله: ﴿يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَجِينَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فعمل هؤلاء على بصيرة، واستدلوا اجتهداً بتوفيق ربهم على أعمال جليلة خطيرة، فقطعوا عن الدنيا الآمال، وتلهفوا لآخرتهم بأوضح الأعمال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. فلا ابتداء الأمر وشدة الإبهام والإظلام أشار قوله سبحانه: ﴿وَالَيْلِ إِذَا يَفْتُنِي﴾ [الليل: ١]، ولما تؤول إليه الحال في حق من كتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه أشار قوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢]، ولانحصار السبل وإن تشعبت في طريقين: ﴿فَنَكُرُ كَافِرٌ وَمَنكُرٌ مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ﴿فَرِيقٌ فِي الْغَنَةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وأشار قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣]، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] إلى الله الواحد مطلقاً. فقد وضع لك - إن شاء الله - بعض ما قصد من تخصيص هذا القسم، والله أعلم.

أما سورة والضحي فلا إشكال في مناسبة استفتاح القسم بالضحي لما بشره به سبحانه وما منحه، لا سيما إذا اعتبر ما ذكر من سبب نزول السورة، وأنه ﷺ كان قد فتر عنه الوحي حتى قال بعض الكفار: قلى محمداً ربه، فنزلت السورة مفسرة النعمة والبشارة^(١).

(١) انظر في ذلك: أسباب النزول للواحدي: ٣٣١.

سورة ألم نشرح

معنى هذه السورة من معنى السورة قبلها، وحاصل السورتين تعداد نعمه سبحانه عليه ﷺ.

فإن قلت: فلم فصلت سورة ألم نشرح ولم ينسق ذكره هذه النعم في سورة واحدة؟.

قلت: من المعهود في البشر، وفيمن عنده على ولده أو عبده نعماء أن يذكر له أولاً ما شاهد الحصول عليه منها بكسبه مما يمكن أن يتعلق في بعضها بأن ذلك وقع جزاء لا ابتداء، فإذا استوفى له ما قصده من هذا أتبعه بذكر نعم ابتدائية قد كان ابتدأه لها قبل وجوده، كقول الأب مثلاً لابنه: ألم اختر لأجلك الأم والبقعة حيث استولدتك، وأعددت لك من مصالحك كذا وكذا.

ونظير ما أشرنا إليه قوله سبحانه لذكرياء ﷺ: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، وقد تقدم له: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]، وتوهم الكسبية والاستبداد في وجود الولد غير خافيه في حق من قصر نظره ولم يوفق، فابتدئ بذكرها، ثم أعقب بما لا يمكن أن يتوهم فيه ذلك وهو قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، وله نظائر من الكتاب وعليه جاء ما ورد في هاتين السورتين، والله أعلم.

سورة والتين

هذه السورة موضحة ومتممة للمقصود في السورتين قبلها، بيان ذلك أن الصورة الإنسانية بظاهر الأمر مما هي عليه من الترتيب والإتقان قد كانت تقتضي بظاهرها ارتباط الكمال بها، من حيث إنها في أحسن تقويم، ولا افتراق يبدو في الظاهر، فكيف افترق الحكم واختلف السلوك؟

فمن صاعد بالاستيضاح والامثال، ونازل إلى أسفل سافلين، فضلاً عن ترقى بعض درجات الكمال، فإذا ليس ترقى من خص بمزية التقريب إلا أنه

نودي من قريب فأسرع في إجابة مناديه وأصاخ وما جعل يجافيه، فسلك من واضحة السبيل ما رسم له، وبنى على ما كتب له من ذلك عمله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣]، فعلى العاقل المنصف من نفسه أن يعلم أن كلاً من عند الله فيضرع إلى خالقه في طلب الخلاص، ومن وجد خيراً فليحمد الله.

فأوضحت هذه السورة أن ما أعطى الله نبيه ﷺ، وخصه به من ضروب الكرامات، وابتدأه به من عظيم الآلاء، مما تضمنته السورتان قبل، إلى ما منحه من خير الدارين وما تضمن قسمه سبحانه له، أنه ما ودعه ولا قلاده، من الملاطفة والتأنيس ودلائل الحب والتقريب، كل ذلك فضل منه تعالى وإحسان، لا لعمل تقلم يستوجب ذلك أو بعضه، ولو تقدم عمل لم يقع إلا بمشيئته وتوفيقه وإرادته، ولا يستوجب أحد عليه شيئاً وإنما هو فضله يوتي به من يشاء، فقال سبحانه منبهاً على ما وقع الإيماء إلى بعضه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ومع ذلك لا ينفعه وقوع صورته الظاهرة في عالم الشهادة على أكمل خلق وأنتم وضع، بل إذا لم يصحبه توفيق وسبقته سعادة من خالقه، ولم يجعل له نوراً يمشي به، لم ير غير نفسه، ولا عرف إلا أبناء جنسه، فقصر نظره على أول ما شاهد، ووقف عند ما عاين من غير اعتبار يجره إلى تحقق حاله وتبين محاله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ [الإنسان: ١]، فلما قصر وما أبصر اعتقد لنفسه الكمال وعمي عن المبدأ والمآل، فصار أسفل سافلين حيث لم ينتفع بآلات نظره، ولا تعرف حقيقة خبره: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [الشمس: ٧٧، ٧٨].

ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٦] فهم الذين هداهم ربهم بإيمانهم، فجروا بسنة من خلقهم في أحسن تقويم، واستوضحوا الصراط المستقيم واستبصروا، ونظروا فاعتبروا، وقالوا ربنا الله ثم استقاموا: ﴿ظَهَرَ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦].

سورة العلق

لما قال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ۚ﴾ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ
 الْحَكِيمِينَ ﴿٨﴾ [التين: ٧، ٨]، وكأن معنى ذلك: أي شيء يحمل على هذا بعد
 وضوح الأمر وبيانه؟ وقد نزهه تعالى عن التكذيب بالحساب وأعلى قدره عن
 ذلك، ولكن سبيل مثل هذا إذا ورد كسبيل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ
 عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وبابه، وحكم هذا القبيل واضح في حق من تعدى له
 الخطاب وقصد بالحقيقة به من أمته ﷺ: من حيث عدم العصمة وإمكان
 تطرق الشبهات والشكوك إليهم، فتقدير الكلام: أي شيء يمكن فيه أن
 يحملكم على التوقف أو التكذيب بأمر الحساب وقد وضع لكم ما يرفع الريب
 ويزيل الإشكال؟ ألم تعلموا أن ربكم أحكم الحاكمين؟ أفليق به وهو العليم
 الخبير أن يجهل اختلاف أحوالكم في السلوك بعد خلقكم في أحسن تقويم؟
 أفيحسن أن يفعل ذلك عبثاً وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
 بَطْلاً﴾ [ص: ٢٧].

فلما قرر سبحانه العبيد على أنه أحكم الحاكمين، مع ما تقدم ذلك من
 موجب نفي الاسترابة في وقوع الجزاء إذا اعتبر ونظر، وقعت في الترتيب
 سورة العلق مشيرة إلى ما به يقع الشفاء، ومنه يعلم الابتداء والانتهاء، وهو
 كتابه المبين الذي جعله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فأمر
 بقراءته ليدبروا آياته فقال: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، اقرأ مستعيناً به فسوف
 يتضح سبيلك وينتهج دليلك، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
 نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وأيضاً فإنه تعالى أعلم عباده بخلقه الإنسان في أحسن
 تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين، وحصل منه على ما تقدم بيانه افتراق الطرفين
 وتباين الغايتين، وكل ذلك بسابق حكمته وإرادته: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ
 هُدًى﴾ [السجدة: ١٣].

وقد بين سبحانه لنا غاية ينالها أكرم خلقه وأجل عباده لديه من الصنف
 الإنساني، وذلك فيما أوضحت السورتان قبل من حال نبينا المصطفى ﷺ

وجليل وعده الكريم له في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]، وفصل حال ابتداء ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ﴾ على تقدم سؤال: ﴿رَبِّ أَشْرَحْ﴾ [طه: ٢٥]، إلى ما أشارت إليه آي السورتين من خصائصه الجليلة، وذلك أعلى مقام يناله أحد ممن ذكر، فوق تعقيب ذلك بسورة تضمنت الإشارة إلى حال من جعل في الطرف الآخر من الجنس الإنساني، وذلك حال من أشير إليه من لدن قوله: ﴿أَرْهَبَتِ اللَّيْءُ بَنَىٰ ۙ عِدًّا إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق: ٩، ١٠] إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ﴾ [العلق: ١٩]، وليظهر تفاوت المنزلتين، وتباين ما بين الحالين، وهي العادة المطردة في الكتاب، ولم يقع صريح التعريف هنا كما وقع في الطرف الآخر ليتطابق المقصود.

(فصل)

ولعل بعض من لم يتفطن يعترض هنا بأن هذه السورة من أول ما نزل، فكيف يستقيم مرادك من ادعاء ترتيبها على ما تأخر عنها نزولاً؟ فنقول له: وأين غاب اعتراضك في عدة سور مما تقدم؟ بل في معظم ذلك؟ وإلا أفليست سورة البقرة من المدني ومقتضى تأليفنا هذا بناء ما بعدها من السور - على الترتيب الحاصل في مصحف الجماعة - إنما هو عليها، وفي ما بعدها من المكي ما لا يحصى؟ فإنما غاب عنك ما قدمنا في خطبة هذا الكتاب من أن ترتيب السور على ما هي عليه راجع إلى فعله ﷺ، كان ذلك بتوقيف منه ﷺ أو باجتهاد الصحابة على ما قدمناه. فارجع بصرك، وأعد في الخطبة نظرك، والله يوفقنا إلى اعتبار بيانه وتدبر آياته، ويحملنا في ذلك على ما يقرب إليه بمنه وفضله.

سورة القدر

وردت تعريفاً بإنزال ما تقدم الأمر بقراءته، لما تقدمت الإشارة إلى عظيم أمر الكتاب، وأن السلوك إليه سبحانه إنما هو من ذلك الباب، أعلم سبحانه بليلة إنزاله، وعرفنا بقدرها لنعتمدها في مظان دعائنا وتعلق رجائنا، ونبحث عنها بالاجتهاد بالليل لعلنا نوافقها، وهي كالساعة من يوم الجمعة في

إيهام أمرها مع جلالة قدرها، ومن قبيل الصلاة الوسطى، والله سبحانه في إخفاء ذلك أعظم رحمة، وكأن في التعريف بعظيم قدر هذه الليلة التعريف بجلالة المنزل فيها، فصارت سورة القدر من تمام ما تقدم، وتبين اتصالها بها.

سورة البرينة (سورة البينة)

هي من كمال ما تقدمها، لأنه لما أمر ﷺ بقراءة كتابه الذي به انضحت سبيله وقامت حجته، وأتبع ذلك بالتعريف بليلة إنزاله وتعظيمها بعظيم ما أهلت له مما أنزل فيها، أتبع ذلك بتعريفه ﷺ بأن هذا الكتاب هو الذي كانت يهود تستفتح به على مشركي العرب وتعظم أمره وأمر الآتي به حتى إذا حصل ذلك مشاهداً لهم كانوا أول كافر، فقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ وَبَيْنَ الْقِيسَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وفي التعريف بهذا تأكيد ما تقدم بيانه، مما يثمر الخوف وينتج بإذن الله التسليم، والتبري من ادعاء حول أو قوة، فإن هؤلاء قد كان قدم إليهم في أمر الكتاب والآتي به: ﴿يَحْذَرُونَ مَكَتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقد كانوا يؤملون الانتصار به ﷺ من أعدائهم ويستفتحون بكتابه، فرحم الله من لم يكن عنده علم منه كأبي بكر وعمر ونظرائهما ﷺ، ورحم هؤلاء الذين قد كانوا على بصيرة من أمره وجعلهم بكفرهم شر البرينة، ورضي عن الآخرين ورضوا عنه، وأسكنهم في جواره ومنحهم الفوز الأكبر والحياة الأبدية، وإن كانوا قبل بعثته ﷺ على جهالة وعمى، فلم يضرهم إذ قد سبق لهم في الأزل: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

سورة الزلزلة

وردت عقيب سورة ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ ليبين بها حصول جزاء الفريقين ومآل الصنفين المذكورين في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ٦]،

إلى قوله: ﴿شَرُّ الْبَرَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البينة: ٧] إلى خاتمة السورة. ولما كان حاصل ذلك افتراقهم على صنفين، ولم يقع تعريف بتباين أحوالهم، أعقب ذلك بمآل الصنفين واستيفاء جزاء الفريقين المجمل ذكرهم فقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّئُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۝١﴾ [الزلزلة: ٦] إلى آخر السورة.

سورة العاديات

أقسم سبحانه على حال الإنسان بما هو فقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝١﴾ [العاديات: ٦] أي: لكفور يبخل بما لديه من المال، كأنه لا يجازى ولا يحاسب على قليل ذلك وكثيره من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وكأنه ما سمع بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨] أي المال، ﴿لَشَدِيدٌ﴾ لبخيل، ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات: ٧] وإنه على ذلك لمطلع، أفلا نظر في أمره وعاقبة مآله، ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝١﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝٢﴾ [العاديات: ٩ - ١٠] أي: ميز ما فيها من الخير والشر ليقع الجزاء عليه، ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ [العاديات: ١١]، لا يخفى عليه شيء من أمرهم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

سورة القارعة

لما قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝١﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝٢﴾ [العاديات: ٩، ١٠] كان ذلك مظنة للسؤال متى ذلك؟ فقيل: يوم القيامة، الهائل الأمر، الفظيع الحال، الشديد البأس، والقيامة هي القارعة، وكررها تعالى تعظيماً لأمرها كما قال: ﴿الْمَلَأْتُهُ ۝١﴾ مَا الْمَلَأْتُهُ ۝٢﴾ [الحاقة: ١، ٢]، وكما قال: ﴿فَنَشِيبُهُمْ مِّنَ النَّارِ مَا غَشِيبُهُمْ﴾ [طه: ٧٨]، ثم زاد عظيم هولها إيضاحاً بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝١﴾ [القارعة: ٤]،

والفراش ما تهافت في النار من البعوض، والمبثوث المنتشر. ﴿وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارة: ٥] والعهن الصوف المصبوغ،
وخص لإعداده للغزل إذ لا يصبغ لغيره بخلاف الأبيض إذ لا يلزم فيه ذلك،
ثم ذكر حال الخلق في وزن الأعمال، وصيرورة كل فريق إلى ما كتب له
وقدر.

سورة التكاثر

لما تقدم ذكر القارة وعظيم أهوالها، أعقت بذكر ما شغل عنها، وصد
عن الاستعداد لها، وألهى عن ذكرها، وهو التكاثر بالعدد والقراءة والأهلين
فقال: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، وهو في معرض التهديد والتقريع. وقد
أعقب بما يعضد ذلك وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [١] ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ
﴿١﴾ [التكاثر: ٣، ٤]، ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:
٥]، وحذف جواب لولا والتقدير: لو تعلمون علم اليقين لما شغلكم التكاثر،
قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً...» الحديث^(١)،
وقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦] جواب القسم مقدر، أي: والله لترون
الجحيم، وتأكد بهذا التهديد، وكذا بما بعد إلى آخر السورة.

سورة العصر

لما قال تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، وتضمن ذلك الإشارة إلى
قصور نظر الإنسان وحصر إدراكه في العاجل دون الآجل الذي فيه فوزه وفلاحه،
وذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْيًا ظَلُمْتُمْ أَهْلُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٢]،
أخبر سبحانه أن ذلك شأن الإنسان بما هو إنسان فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ۝٢﴾ [العصر: ١، ٢]، فالقصور شأنه، والظلم طبعه، والجهل
جبلته، فيحق أن يلهيه التكاثر إلا أن يدخل عليه روح الإيمان: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) البخاري: كسوف: ٢، مسلم: صلاة: ١١٢.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ٣]، فهؤلاء الذين لا يلهيهم التكاثر: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ قِصَّةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

سورة الهمزة

لما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] أتبعه بمثال من ذكر نقصه وقصوره واغتراره، وظنه الكمال بنفسه حتى يعيب غيره، واعتماده على ما جمعه من المال ظناً أنه يخلده وينجيّه، وهذا كله هو عين النقص الذي هو شأن الإنسان، وهو المذكور في السورة قبل فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] وافتتح تعالى بذكر ما أعد له من العذاب جزاء على همزه ولمزه الذي أثمره خسره. والهمزة العتّاب الطعان، واللمزة مثله، ثم ذكر تعالى مآله ومستقره بقوله: ﴿يَلْبُدَنَّ فِي السُّمُومَةِ﴾ [الهمزة: ٤] أي ليطرحن في النار جزاء على اغتراره وطعنه.

سورة الفيل

لما تضمنت سورة الهمزة ذكر اغترار من فتن بماله حتى ظن أنه يخلده، وما أعقبه ذلك، أتبع هذا بذكر أصحاب الفيل الذين غرهم تكاثرهم، وخدعهم امتدادهم في البلاد واستيلاؤهم، حتى هموا بهدم البيت المحرم، فتعجلوا النعمة، وجعل الله كيدهم في تضليل ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣] أي: جماعات متفرقة ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤] حتى استأصلتهم وقطعت دابرهم ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ أَلْكُولِ﴾ [الفيل: ٥]، وأمر لهم ذلك اغترارهم وتوفر حظهم من الخسر المتقدم.

سورة قريش

لا خفاء باتصالها، أي إنه تعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل ومنعهم عن بيته وحرمة لانتظام شمل قريش، وهم سكان الحرم وقطان بيت الله، وليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة أمن ساحتهم.

سورة الدين^(١)

لما تضمنت السور المتقدمة من الوعيد لمن انطوى على ما ذكر فيها - مما هو جارٍ على حكم الجهل والظلم الكائنين في جبلة الإنسان - ما تضمنت كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُمُ﴾ [الهمزة: ٣]، وانجر أثناء ذلك مما ثمره هذه الصفات الأولية ما ذكر أيضاً فيها كالشغل بالتكاثر والطعن في الناس ولمزهم والاعتزاز المهلك أصحاب الفيل، أتبع ذلك بذكر صفات قد توجد في المنتمين إلى الإسلام أو يوجد بعضها، أو أعمال من يتصف بها وإن لم يكن من أهلها، كدغ اليتيم، وهو دفعه عن حقه وعدم الرفق به، وعدم الحض على إطعام المسكين، والتغافل عن الصلاة والسهو فيها، والرياء بالأعمال، ومنع الزكاة والحاجات التي يضطر فيها الناس بعضهم إلى بعض، ويمكن أن يتضمن اسم الماعون هذا كله، ولا شك أن هذه صفات توجد في المنتمين إلى الإسلام، فأخبر تعالى أنها من صفات من يكذب بيوم الدين ولا ينتظر الجزاء والحساب، أي إن هؤلاء هم أهلها.

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً»^(٢)، وقوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٣)، وهذا الباب كثير في الكتاب والسنة وقد بسطته في كتاب: إيضاح السبيل في حديث جبريل^(٤).

فمن هذا القبيل عندي - والله أعلم - قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّكْرِ﴾ [فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ] [الماعون: ١، ٢] أي إن هذه الصفات: من دفع اليتيم، وبعد الشفقة عليه، وعدم الحض على إطعامه، والسهو عن الصلاة، والمراعاة بالأعمال، ومنع الحاجات، إنما هذه كلها من

(١) يريد سورة الماعون.

(٢) سنن أبي داود: سنة ١٥، مسند أحمد: ٥٠/٢.

(٣) ابن ماجه: فتن ٣.

(٤) لم تورّد كتب التراجم اسم هذا الكتاب من ضمن مؤلفات ابن الزبير.

شأن المكذب بالحساب والجزاء، لأن نفع البعد عنها إنما يكون إذ ذاك، فمن صدق به جرى في هذه الخصال على السنن المشكور والسعي المبرور، ومن كذب به لا يبالي بها وتأبط جميعها، فتتزهوا أيها المؤمنون عنها فليست من صفاتكم في أصل إيمانكم الذي بايعتم عليه: ومن تشبه بقوم فهو منهم^(١)، فاحذروا هذه الرذائل، فإن دَعَّ اليتيم من الكبر الذي أهلك أصحاب الفيل، وعدم الحض على إطعامه إنما هو فعل البخيل الذي يحسب أن ماله أخلده، والسهو في الصلاة ثمرة إلهاء التكاثر والشغل بالأموال والأولاد، فنهى سبحانه عباده عن هذه الرذائل التي ثمرها ما تقدم، والتحمت السور.

سورة الكوثر

لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار، والكبر، والتغرر بالمال والجاه، وطلب الدنيا، أتبع ذلك بما منح نبيه مما هو خير مما يجمعون، وهو الكوثر وهو الخير الكثير، ومنه الحوض الذي ترده أمته في القيامة، لا يظماً من شرب منه، ومنه مقامه المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون عند شفاعته العامة للخلق، وإراحتهم من هول الموقف، ومن هذا الخير ما قدم له في دنياه: كت تحليل الغنائم والنصر بالرعب والخلق العظيم، إلى ما لا يحصى من خير الدنيا والآخرة، فبعض ذلك خير من الدنيا وما فيها، إذ لا تعدل الدنيا بجملتها وما فيها واحدة من هذه العطايا: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَيَذَلِّكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ومن الكوثر والخير الذي أعطاه الله كتابه المبين الجامع لعلم الأولين والآخرين والشفاء لما في الصدور.

ولما كمل سبحانه له من النعم ما لا يأتي عليه حصر، مما لا يناسب أدناه نعيم الدنيا بجملتها، قال له منهاً على عظيم ما أعطاه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١]، إلى قوله: ﴿وَرَزَقْنَاكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، فقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي أوتي كل ما ذكره تعالى في الكتاب من

(١) سنن أبي داود: لباس: ٤.

نعيم أهل الدنيا وتمكن من تمكن منهم، وهذا أحد موجبات تأخير هذه السورة، فلم يقع بعد ما ذكر شيء من نعيم الدنيا، ولا ذكر أحد من المتمتعين بها لانقضاء هذا الغرض وتمامه، وسورة الدين^(١) آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من تمهيد إشارتها، وتبين بهذا وجه تعقيبها، والله سبحانه أعلم.

سورة الكافرون

ولما اقتضى ذكر الفريقين المتردد ذكرهما في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره، على اختلاف أحوال كل فريق وشتى درجاتهم، وأعني بالفريقين من أشير إليهما في قوله سبحانه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، فهذا طريق أحد الفريقين، وقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، إشارة إلى من كان في الطريق الآخر من حال أولئك الفريق، إذ ليس إلا طريق السلامة أو طريق الهلاك، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، ﴿فَإِنَّكُمْ كَافِرٌ وَمَنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

والسالكون طريق السلامة على درجات، فأعلى درجاتهم مقامات الرسل والأنبياء ﷺ، ثم يليهم أتباعهم من صالحى العباد وعلمائهم العاملين وعبادهم، وأهل الخصوص منهم والقرب، ثم أحوال من تمسك بهم مختلفة وإن جمعهم جامع واحد وهو قوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾، وأما أهل التنكب عن هذا الطريق وهم الهالكون فعل طبقات أيضاً، ويضم جميعهم طريق واحدة، فكيفما تشعبت الطرق فإلى هاتين ترجع، وباختلاف سبل الجميع عرّفت أي الكتاب، وفصلت ذلك كله تفصيلاً لا يبقى معه ارتياب لمن وقّق.

فلما انتهى ذلك كله بما يتعلق به، وتداولت بيانه الآي من لدن قوله بعد أم القرآن: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] إلى قوله: ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ [الكوثر: ٣] أتبع ذلك بالتفاضل والتسجيل فقال: ﴿قُلْ يَتَّابِئَا

(١) يريد سورة الماعون.

الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ [الكافرون: ١]، فيبين سبحانه أن من قضى عليه بالكفر والموافاة عليه لا سبيل له إلى خروجه عن ذلك، ولا يقع منه الإيمان أبداً. ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّنا إِلَيْهِمُ الْمَلِئِكَةُ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، ولو أنهم بعد عذاب الآخرة ومعاناة البعث وعظيم تلك الأهوال، أو سؤلهم الرجوع إلى الدنيا وقولهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، فلو أجيئوا إلى هذا وأرجعوا لعادوا إلى حالهم الأولى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] تصديقاً لكلمة الله وإحكاماً لسابق قدره: ﴿أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَن تَتَّقُوا مَن فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩] فقل لهم: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتَ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ [الكافرون: ٢، ٣] إلى قوله: ﴿لَكُم دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] فتباراً الفريقان، وارتفع الإشكال، واستمر كل على طريقه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [فاطر: ٨] ﴿إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]. فتأمل موقع هذه السورة وأنها الخاتمة لما قصد في الكتاب يلخ لك وجه تأخيرها، والله سبحانه أعلم.

سورة الدين^(١)

لما كمل دينه، واتضحت شريعته، واستقر أمره ﷺ، وأدى أمانة رسالته حق أدائها، عرّف ﷺ (بانتهاه أمره)^(٢) وانقضاء حياته، وجعلت له على ذلك علامة دخول الناس في دين الله جماعات بعد التوقف والتشط، حكمة بالغة منه سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥]، وأمر ﷺ بالإكثار من الاستغفار المشروع في أعقاب المجالس وأطراف النهار وخواتم المآخذ لما عسى أن يتخلل من لغو أو فتور، فشرع سبحانه الاستغفار ليحرز لعباده من حفظ أحوالهم ورعي أوقاتهم ما يفي بعلي أجورهم كما وعدهم. ﴿وَكَمَلْتُ لَكَ صِدْقًا وَعَدًّا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِي﴾ [الأنعام: ١١٥].

(١) يريد سورة النصر.

(٢) في ن ١: بانتهاه أمره وعمره.

وقد بسطت ما أشارت إليه هذه السورة العظيمة - وكل كلام ربنا عظيم - فيما قيدته في غير هذا.

وإن أبا بكر رضي الله عنه عرف منها أن رسول الله ﷺ نُعيت إليه نفسه الكريمة بنعي ربه، وعرف بدنو أجله، وقد أشار إلى هذا الغرض أيضاً ما يُعد من الواقع في هذه السورة قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾... الآية [المائدة: ٣]، وسورة براءة، وأفعاله ﷺ في حجة الوداع، لكن لم يبلغنا استشعار أحد من الصحابة الأمر إلا من هذه السورة، وهي التي عرفت بإشارة براءة وآية المائدة تعريفاً شافياً، واستشعر الناس عام حجة الوداع وعند نزول براءة ذلك لكن لم يستيقنوه، وغلبوا أرجاءهم في حياته ﷺ، ومنهم من توقف، فلما نزلت سورة: ﴿إِذَا جَاءَ فَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] استيقن أبو بكر استيقاناً حمله على البكاء لما قرأها رسول الله ﷺ.

سورة تبت

هذه السورة وإن نزلت على سبب خاص، في قصة معلومة^(١)، فهي مع ما تقدمها واتصل بها في قوة أن لو قيل: قد انفظ يا محمد عمرك، وانتهى مما قلدته من عظيم أمانة الرسالة أمرك، وأديت ما تحمלתه، وحان أجلك، وأمارة ذلك دخول الناس في دين الله أفواجاً، واستجابتهم بعد تلكتهم، والويل لمن عاند وعدل عن متابعتك وإن كان أقرب الناس إليك، فقد فصلت سورة ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ بين أوليائك وأعدائك، وبان بها حكم من اتبعك ومن عاداك، ولهذا سماها ﷺ: البريئة من النفاق^(٢)، وليعلم كفار قريش وغيرهم أنه لا اعتصام لأحد من النار إلا بالإيمان، وأن القربات غير نافعة ولا مجزية شيئاً إلا مع الإيمان: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرين: ٦]، وأنتم

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٤٤.

(٢) مسند أحمد: ٤٥٦/٥، ترمذي: دعوات: ٢٢، المستدرک تفسیر: ٥٣٨/٢ وفيها براءة من الشرك.

بريثون مما أعمل، وأنا بريء مما تعملون. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [النوبة: ٧١]، وهنا انتهى أمر الكتاب بجملته.

سورة الإخلاص

ولما انقضى مقصود الكتاب العزيز بجملته عاد الأمر إلى ما كان، وأشعر العالم بحالهم من يردهم إلى حين ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، فوجودهم منه سبحانه ويقاؤهم به، وهم وجميع ما يصدر عنهم من أفعالهم وأقوالهم كل ذلك خلقه واختراعه، وقد كان سبحانه ولا عالم ولا زمان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، لا يفتقر إلى أحد ولا يحتاج إلى معين، ولا يتقيد بالزمان ولا يتحيز بالمكان.

فالحمد لله رب العالمين أهل الحمد ومستحقه مطلقاً، له الحمد في الأولى الآخرة وله الحكم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] هو الموجود الحق، وكلامه الصدق، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فطوبى لمن استوضح أي كتاب الله، وأتى الأمر من بابه، وعرف نفسه ودنياه، وأجاب داعي الله، ولم ير فاعلاً في الوجود حقيقة إلا هو سبحانه. ولما كمل مقصود الكتاب، واتضح عظيم رحمة الله به لمن تدبر آياته وأناب، كان مظنة الاستعانة واللجوء من شر حاسد وكيد الأعداء، فختم بالمعوذتين من شر ما خلق وذرأ وشر الثقلين.

سورة الفلق

قد أشير إلى وجه ارتباطها آتفاً، وذلك واضح إن شاء الله.

سورة الناس

وجه تأخرها عن شقيقتها عموم الأولى وخصوص الثانية، ألا ترى عموم قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]، وإيهام ما، وتنكير غاسق وحاسد،

والعهد فيما استعيز من شره في سورة الناس، وتعريفه ونعته بالعموم، ثم أتبع بالخصوص ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه وأوفى بالمقصود. ونظير هذا في تقديم المعنى الأعم، ثم إتياعه بالأخص ليتناول الجلائل والدقائق قوله سبحانه: ﴿يَسْمِعُ أَقْوَمَ الْكَلِمِ الْخَفِيِّ﴾. فمعنى الرحمن الرحيم واحد إلا في عموم الصفة الأولى، وكونها في المبالغة أبلغ، وقد تعرض لبيان ذلك المفسرون، ولذلك نظائر.

وقد تم الغرض لما قصدناه من غير ادعاء تعد عن الطور، ولا جهالة بالقدر، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

نسأله سبحانه أن يحسن نياتنا، ويستر زلاتنا، وأن ينفعنا بكتابه العزيز، وأن يجعله حجة لنا يوم تبلى السرائر، وصلى الله على محمد الصادق ببرهانه، والمتكفل ببيانه، صلاة نعتمدها وسيلة لشفاعته، وقسطاً راجحاً من طاعته، وعلى آله وصحبه وسلم كثيراً.



الخلاصة

تيسّر لي - بعون من الله - تحقيق كتاب «البرهان في تناسب سور القرآن» للإمام ابن الزبير الثقفي، فكان بما كشف فيه مؤلفه من لطائف المناسبة بين السور برهاناً ساطعاً على ما في كتاب الله من عجائب لا تنتهي وأسرار لا تنفذ، يجد فيه الدارسون ما يروي غلتهم على مدى الأزمان، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

يفرق على بضع وعشرين سنة وعلى موضوعات عديدة، متقاربة حيناً ومتباعدة في ظاهرها أحياناً، فيأتي سبيكة واحدة متناسج الآيات، متناسب السور، متناسق الأجزاء، في لحمه متينة، بعضه آخذ بأعناق بعض، وفي تأليف محكم حاله حال البناء المتين المتلائم، وكالكلمة الواحدة متنسق المعاني منتظم المباني، وهذا لعمرى وجه آخر من وجوه إعجاز هذا الكتاب، يضاف إلى وجوه إعجازه الكثيرة، فهو إلى جانب إعجازه من ناحية فصاحة ألفاظه وشرف معانيه معجز من جهة ترتيبه ونظم آياته وسوره، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

كما كان كتاب البرهان بما تجلّى فيه من قدرة المؤلف الفائقة على توجيه المناسبة بين السور دليلاً آخر - إلى جانب كتابه ملاك التأويل - على مدى رسوخ قدم ابن الزبير في فهم المقاصد ومدى تمكنه من علوم الوسائل، فلا عجب أن كان أستاذ الزمان^(١)، وقبلة طلاب العلم لسعة معارفه^(٢).

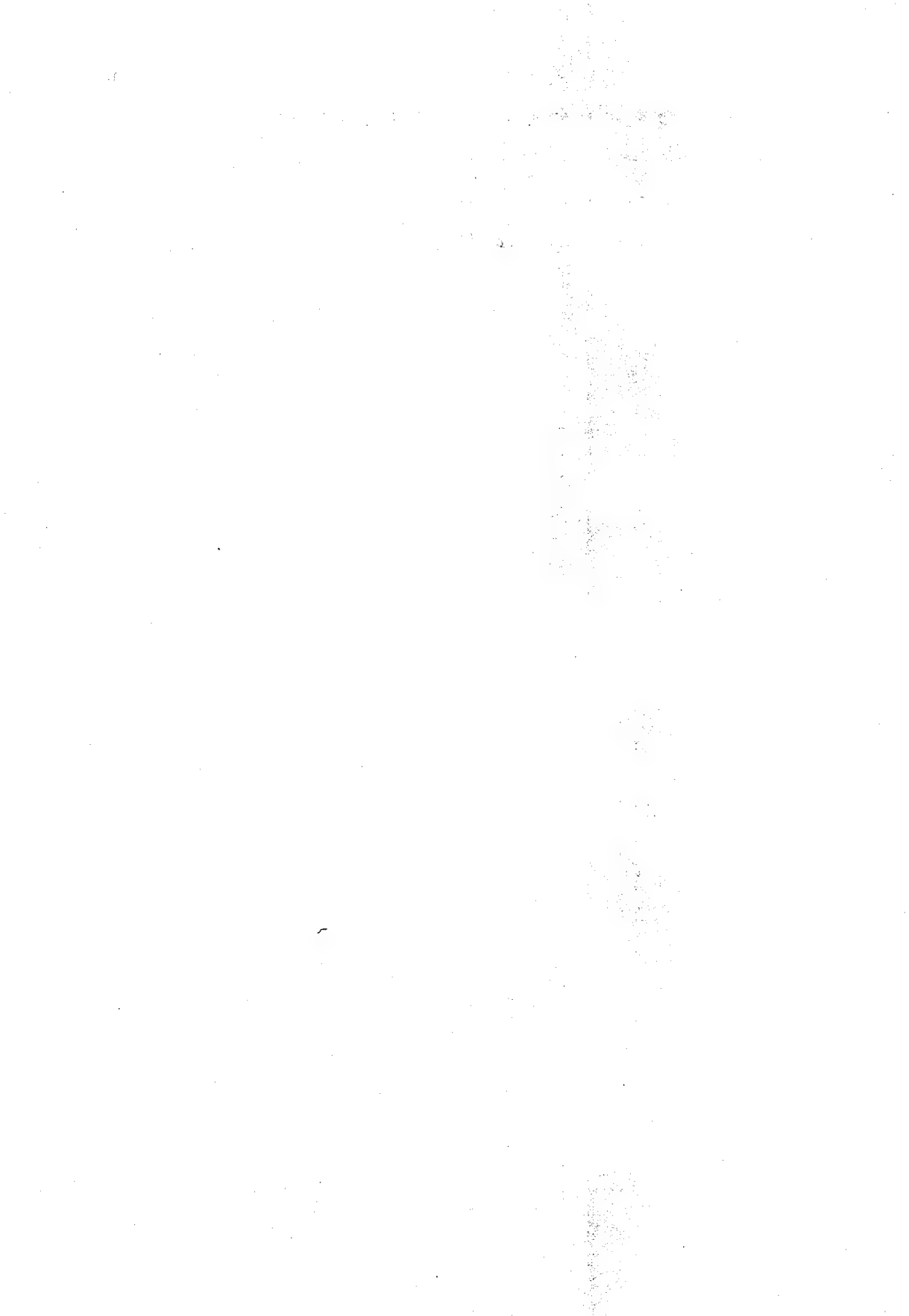
وسيكون كتاب البرهان - على ما قد تقرر - لبنة أخرى في صرح المكتبة

(١) نفع الطيب: ٩٨/٦.

(٢) الذليل والتكملة: ٣٩/١، الوافي بالوفيات: ٢٢٢/٦.

الإسلامية بوجه عام، وفي ميدان علوم القرآن بوجه خاص، وفي علم المناسبة
بين السور بوجه أخص، هذا العلم الجليل، الدقيق، البعيد الغور، الذي كان
ابن الزبير من العلماء القلائل الذين طرقوا بابه وسبروا غوره.
والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم.





الفهارس

- فهرس الآبات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الجماعات والقبائل والفرق.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس الآبات الشعرية.
- فهرس الكتب.
- فهرس بأهم المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات العام.

فهرس الآيات

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
----------	-----------	------------

(١) سورة الفاتحة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	٨٥
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	٨٥ ، ٤٧
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٩٠ ، ٨٤
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٢٢١ ، ٨٨ ، ٨٤
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	٢٢١ ، ٨٤

(٢) سورة البقرة

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٢	٢٢١ ، ٨٤
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	٣	٨٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾	٦	٨٩ ، ٨٥
﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾	٨	٨٥
﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ أَعْبَدُوا رَبِّكُمْ﴾	٢١	١٨٣ ، ٩٨
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾	٢٣	١٧٣
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾	٢٦	١٣٦ ، ٩٠
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ﴾	٣٠	١٨٣ ، ١٨٢ ، ٨٥
﴿يَبْقَىٰ بُرْهَانٌ لِّمَنْ يَبْقَىٰ﴾	٤٠	٩٣
﴿وَأٰمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ﴾	٤١	١٠٦
﴿يَبْقَىٰ بُرْهَانٌ لِّمَنْ يَبْقَىٰ﴾	٤٧	١٠٦
﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾	١٠٤	١٠٦
﴿وَدَٰ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ﴾	١٠٩	١٠٢

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ وَمَا يُرْسَلُ بِهِ كِتَابًا مِّنْهُ﴾	١٢٤	٨٥
﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا لَا نَنْزِلُ﴾	١٤٠	٨٦
﴿وَنُفِثَ لَكُمْ مِنْهُ مِنْ الْقُفْرِ﴾	١٥٥	١٤١
﴿وَاللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾	١٦٣	٩٠
﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾	١٦٦	٨٦
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ سَرَّلَ السُّحُوفَ وَالسَّحَابَ﴾	١٧٦	٨٦
﴿أَلَيْسَ الْإِسْلَامُ قَوْلًا وَجُوهًا مِّنَ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	١٧٧	٨٨ ، ٨٧
﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾	٢٢٩	١٨٩
﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَضَّعْنَ﴾	٢٤٠	٤٤
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٢٥٥	٩٠
﴿مَّا مَنَ الرُّسُلُ بِمَا أَتَوْا إِلَهُ مِنْ نَّبِيٍّ﴾	٢٨٥	٩٠ ، ٨٨ ، ٨٧
﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٨٨

(٢) سورة آل عمران

﴿وَلَعَلَّكَ الْهَكَاةَ وَالسُّقَاةَ﴾	٣	٨٩
﴿مِنْ قَوْلِكَ إِنَّكَ أَنتَ الْغَافِلُونَ﴾	٤	٨٩ ، ٩٠ ، ٩١
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	٥	٩٠
﴿فِي الْقُلُوبِ مَلِكٌ﴾	٢٦	١٣٨
﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾	٥٩	٨٩
﴿أَفَنَسِيَ دِينَ اللَّهِ أَنِ اسْمُهُ﴾	٨٣	١١٩ ، ١٨٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ اسْمُهُ﴾	١٠٠	١٠٦
﴿وَأَقْبِسُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمْعًا﴾	١٠٣	١١٤
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	١٦٩
﴿وَلَا عُدَّةَ مِنْ قَبْلِهِ﴾	١٢١	٤٥
﴿وَلَا يَسْتَوِي الَّذِينَ كَفَرُوا أَمَّا تِلْكَ الْأُمَّةُ﴾	١٧٨	١٧١
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْفُكَّارِ قَالُوا إِنَّا إِلَهُ قَوْمٍ﴾	١٨١	١٠٦

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
----------	-----------	------------

(٤) سورة النساء

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾	١	٩١ ، ٩٢ ، ١٠٦
﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾	٤٦	٨٨ ، ١٨٦
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾	٥١	٧١ ، ١٠٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	٥٨	٧١
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَارِ﴾	٨٢	٧١ ، ٧٦ ، ١١٧
		١٩٣ ، ٢٢٦
﴿وَلَا يَنْفَرَا بِنِيعَةِ اللَّهِ كَلًّا مِّنَ سَعْيِهِ﴾	١٣٠	٩٢
﴿وَقُلُوا مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	١٣١	٩٢
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾	١٤٥	١٨٨
﴿فَيُظْلَمُونَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طِبَاقًا أُحِلَّت لَهُمْ﴾	١٦٠	١٠٦
﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾	١٦١	١٠٦
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّكُم فِي الْكُلَّةِ﴾	١٧٦	٤٥

(٥) سورة المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	١	٩٣ ، ١٠٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا شَهْوَةَ قُلُوبِكُمْ﴾	٢	٩٥
﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾	٣	٢٢٣
﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	١٢	٩٣
﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِّيثَاقَهُمْ لَمَسَّئِهِمْ﴾	١٣	٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣
﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا فَصَلَدْنَا أَخَذَنَا مِيثَاقَهُمْ﴾	١٤	٩٣
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾	٤١	١٤٨ ، ١٨٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾	٥٤	١٦٧
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ﴾	٦٠	١٨٤
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾	٦٧	١٤٨
﴿لِمَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	٧٨	١٨٤
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾	٨٢	٩٣

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزِنُوا طَيِّبَتْ مَا لَعَلَ اللَّهُ﴾	٨٧	٩٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخِزْيُ وَالْمَيْسِرُ﴾	٩٠	٩٣
﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾	٩٧	٩٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾	١٠١	٩٣
﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	١٠٢	٩٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا طَيِّبَتْ لَكُمْ أَلْسِنَتُكُمْ﴾	١٠٥	٩٣
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾	١١٦	٩٤
﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾	١١٩	٩٤

(٦) سورة الانعام

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	١	٩٥
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرُونٍ﴾	٦	٩٥ ، ١٠٠
﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾	٩	١٢١
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾	١٠	١٠٠
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾	١١	١٠٠
﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَنْشِقُونَ مِنْ قَبْلُ﴾	٢٨	٢٢٢
﴿قَدْ ظَلَمَ إِذْهَ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾	٣٣	١٠٠
﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا﴾	٣٤	١٠٠
﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾	٣٥	١٣٥ ، ٢٢٢
﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾	٣٦	٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٤٢	١٠٠
﴿وَلَا تَقْلُدْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رَبَّهُمْ﴾	٥٢	٢٠٣
﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٧٥	٩٦
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا﴾	٧٦	٩٦
﴿فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسُ بَازِفَةً﴾	٧٨	٩٦
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٧٩	٩٦

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾	٨٣	٩٧
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾	٨٤	١١٥
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهُمْ أَقْبَدَهُ﴾	٩٠	٨٤ ، ٨٦ ، ١١١ ، ١٠١
﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَىٰ آلِهِمُ الْمَلَايِكَةَ﴾	١١١	٢٢٢ ، ٩٨
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾	١١٥	٢٢٢
﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾	١٢٢	٩٨ ، ٩٧ ، ٩٥
		٢١٠ ، ١٥٣
﴿يَمْعَسِرَ الْيَمِينَ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾	١٣٠	١٠٠
﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾	١٣٧	١٣٥
﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾	١٤٩	٩٩
﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ يُسَنُّ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾	١٥٧	٩٩
﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَىٰ رَبًّا﴾	١٦٤	١٥٦

(٧) سورة الأعراف

﴿الْمَصَّ﴾	١	١٠١
﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾	٢	١٠١
﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾	٦	
﴿فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بَعَثُ﴾	٧	١٠١
﴿وَقَالَسْمُهُمَا إِلَيَّ لَكُمَا لَيْنَ النَّاصِيحِينَ﴾	٢١	١٠٢
﴿يَنْبَغِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾	٢٧	١٠٢
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾	٤٣	٢٢٥
﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾	٥٧	٢٠٠ ، ١١٦
﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾	١٣٤	١٦٩
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾	١٥٧	٢١٥
﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْوِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾	١٦٩	١٠٥
﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَيَّاتِ﴾	١٧٤	١٧٨

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَقِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْبَيْتِ مَاتَيْنَاهُ أَأَيْتَنَاهُ﴾	١٧٥	١٠١
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾	١٧٦	١٠١ ، ١٠٣
		١٧٨ ، ١٠٥
﴿مَنْ يَمِدْ إِلَهُ فَهُوَ الْمُتَوَكِّلُ﴾	١٧٨	١٠١
﴿خُذِ الْمَنَ وَاسْرَ بِالْغَرْبِ﴾	١٩٩	١٩٦ ، ١٠٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ حَافٌ﴾	٢٠١	١٠٧
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾	٢٠٤	١٠٥

(٨) سورة الأنفال

﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾	١	١٠٣
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٢	١٠٥ ، ١٠٤
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾	٤	١١٨ ، ١٠٤
﴿وَلَا يَمِدُّكُمْ إِلَهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾	٧	١٠٤
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَعَيْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١١﴾﴾	٢١	١٠٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾	٢٩	٢١٠ ، ١٠٥ ، ١٠٤
﴿وَقُلُوبُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾	٣٩	١٠٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾	٦٥	١٤٨

(٩) سورة التوبة

﴿إِلَّا نَضْرِبُكَ فَنَجِّنَا اللَّهُ﴾	٤٠	١٠٨
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَ لِهَؤُلَاءِ﴾	٤٣	١٤٨ ، ١٠٨
﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾	٦١	١٠٨
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَشَرُهُمْ﴾	٧١	٢٢٤
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾	٧٨	١٨٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾	١١٩	٩٤
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾	١٢٥	١٣٦
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾	١٢٨	٢٠٩ ، ١٠٨

(١٠) سورة يونس

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رَجُلًا مِّنْهُمْ﴾	٢	١٠٨ ، ١٢٠
﴿إِنَّ رَبِّكَ اللَّهُ﴾	٣	١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾	٥	١٠٨ ، ١١٠
﴿إِنَّ فِي آخِذَاتِ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	٦	١١٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾	٧	١٠٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِذْنِهِمْ﴾	٩	١٠٩
﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا إِلَىٰ مَا يَدْعُونَ ثُمَّ يَجِدُوهُ﴾	٣٤	١١٠
﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ﴾	٣٥	١١٠
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾	٣٨	١١٠
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾	٣٩	١١٠
﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْثُرُهُمْ مَّوْعِدَةٌ﴾	٥٧	١١٠
﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِزْرَتِي﴾	٥٨	٢٢٠
﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	٦٤	٢١٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾﴾	٩٦	١١٠
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جِمْعًا﴾	٩٩	١٣٥ ، ٢٠٧
﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٠١	١١٠
﴿قُلِ يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرُكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	١٠٨	١١٠

(١١) سورة هود

﴿الرَّ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ابْتِغَاءُ مَا نَحْنُ مُبْعِدُونَ﴾	١	٦٧ ، ٧١ ، ١١٠
		١١٢
﴿إِلَّا تَهْتَدُوا إِلَّا اللَّهُ﴾	٢	١١٢
﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	٣	١١٢
﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾	١٧	١١٢
﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	٢٧	١٠٨
﴿قَالَ يَقْوِمُ زَرْعُهُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْنٍ مِّنْ رَبِّي﴾	٢٨	١٢٠

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾	٤٤	١٨٠
﴿وَتَقَوِّرِي لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقَ﴾	٨٩	١٧٧
﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ﴾	٩١	١٢١
﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِيمٌ﴾	١٠٢	١٧٨
﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَبْدُءُ كَذِبًا﴾	١٠٩	١٧٨
﴿فَأَسْتَفْهِمُ كَمَا أَمَرْتُ﴾	١١٢	١١٢
﴿وَأَقْرِضْ صَلَواتَكَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ﴾	١١٤	١١٤
﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾	١١٥	١١٤ ، ١١٥
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	١١٨	١١٤ ، ١١٥
﴿وَكَلَّا تَقْصُصَ عَلَيْكَ مِنْ آبَائِهِ الرُّسُلَ مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ﴾	١٢٠	١٠١ ، ١١١
		١١٢ ، ١١٥ ، ١٩٦
﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَصْلَحُوا عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾	١٢١	١١٤
﴿وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾	١٢٢	١١٤
(١٢) سورة يوسف		
﴿مَا كُنَّا لَنَا أَنْ نُنْشِرَكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾	٣٨	٩٧
﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَدَدْتُمْ يُوسُفَ﴾	٥١	١١٤
﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَّخِذُ الْغَيْرُ مَسْنَا وَأَقْلَنَّا الشَّرَّ﴾	٨٨	١١٣
﴿قَالُوا نَأْتِيهِ لَقَدْ آتَيْنَاهُ اللَّهُ عَلِيمًا﴾	٩١	١١٤
﴿قَالَ لَا تَخْزِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾	٩٢	١١٤
﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾	١٠٤	١١٦
﴿وَكَايْنِ مِنْ مَا بَعَثَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٠٥	٢٣ ، ١١٦
		١١٩ ، ٢٠٩
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾	١٠٦	١١٦ ، ١١٨
﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾	١٠٧	١١٦ ، ١١٨
﴿قُلْ هَلْ يَدْعُو سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾	١٠٨	١١٦ ، ١١٨
﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾	١١٠	١١٥

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾	٣٤	١٨٠
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفُولًا عَمَّا يَفْعَلُ الْغَافِلُونَ﴾	٤٢	١٧١ ، ١٢٢
﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾	٤٤	١٢٢
﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِثْرَ الْأَرْضِ﴾	٤٨	١٢٢

(١٥) سورة الحجر

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرَّانٍ تُوْهِدُ﴾	١	١٢٢
﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾	٢	١٢٣ ، ١٢٢
﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا﴾	٣	١٢٢
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾	٤	١٢٢
﴿قَالَ لِمَ أَكُن لِّأَسْجَدَ لِشَيْءٍ﴾	٣٣	١٠٥
﴿لَا تَدْعُ عِبَادَكَ﴾	٨٨	٨٧
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمِينَ﴾	٩٢	١٢٣
﴿فَأَصْنَعْ بِمَا تَوْحَىٰ﴾	٩٤	١٨٠
﴿الَّذِينَ يَسْأَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾	٩٦	١٢٣

(١٦) سورة النحل

﴿إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	١	١٢٣
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْعَمَىٰ﴾	٣	١٢٣
﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن تُطْنَةٍ﴾	٤	١٢٤ ، ١٢٣
﴿وَوَضَعَ اللَّهُ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾	٩	١٢٣
﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	١٠	١٢٤
﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾	١١	١٢٤
﴿وَمَا يَكُم مِّن يَّعْتَمِرَ فَمِنَ اللَّهِ﴾	٥٣	١٩٨ ، ٩٩
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾	٩٠	٤٥
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَالِئًا لِلَّهِ خَافًا﴾	١٢٠	١٢٤
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَافًا﴾	١٢٣	١٢٤
﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾	١٢٧	١٢٩

(١٧) سورة الإسراء

١٥٦	٧	﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾
٨٩	١٥	﴿مَنْ أَحْتَدَىٰ فَأَنَا لِيَمِينِهِ لَئِيْلٌ﴾
٢٠٢	٣٧	﴿وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾
١٦٤	٤٤	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾
١٢٦	٨٥	﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾
١٩٣ ، ١٧٣	٨٨	﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾

(١٨) سورة الكهف

١٢٦	٥	﴿مَّا لَمْ يَكُنْ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ﴾
١٢٦	٦	﴿فَلَمَّا كَ بَدِيعَ نَفْسِكَ﴾
٢٠٨	٧	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾
١٢٨ ، ١٢٦	٩	﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾
٢٠٧ ، ٢٠٣	٢٨	﴿وَأَصْبَحَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾
٢٠٧ ، ٩٨	٥٧	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾
١٢٧	٨٣	﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾
٢٢٦	١٠٩	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾

(١٩) سورة مريم

٢١١	٧	﴿يَذْكُرُونَ إِنَّا تُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾
١٢٨	٨	﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾
٢١١ ، ١٢٨	٩	﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَذِهِ﴾
١٢٨	٥٨	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾
١٢٩	٥٩	﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾
١٦١	٨٨	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾
١٦١	٨٩	﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾
١٦١	٩٠	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِعْنَ مِنْهُ﴾
١٣٠	٩٧	﴿فَإِنَّمَا يَسْمُرُكُم بِلسَانِكُمْ﴾

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾	٩٨	١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٩٤

(٢٠) سورة طه

﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾	٢	١٢٩ ، ١٣٠
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	١٢٩
﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾	٢٥	٢١٤
﴿فَأَنبِئْهُمْ وَرِعُونَ بِمِثْوَرِهِمْ﴾	٧٨	٢١٦
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾	١٣١	١٣٠ ، ٢٢٠
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾	١٣٢	٨٧
﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ﴾	١٣٣	١٤٠
﴿قُلْ كُلُّ مُرْسِلٍ فَمُرْسِلٌ﴾	١٣٥	١٣٠

(٢١) سورة الأنبياء

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾	١	١٣٠ ، ١٣١
﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾	٦	١٣١
﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُ الْوَعْدَ فَأَنْبِئْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾	٩	١٣١
﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	٢٣	٢٠٨ ، ٢٣
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾	٣٥	١٣١
﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾	٣٧	١٣١
﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾	٣٨	١٣١
﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجْهِهِمْ النَّارُ﴾	٣٩	١٣١
﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابٍ﴾	٤٦	١٣١
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	٤٧	١٣١ ، ٢٠٤
﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾	٤٩	١٣١
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾	٥١	١٣١
﴿وَنَقَطَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ يَلِيَهُمْ﴾	٩٣	١٣١
﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾	٩٧	١٣١

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾	٩٨	١٣١
﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾	١٠٤	١٣١
(٢٢) سورة الحج		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾	١	١٣٢
﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾	٢	١٣٢
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ﴾	٥	١٣٢ ، ١٣٣
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾	٦	١٣٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾	٧٧	١٣٢
(٢٣) سورة المؤمنون		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾﴾	٥	١٣٣
﴿فَمَنْ أَتَّبَعِ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾	٧	١٣٣ ، ١٣٤
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّفُثَةَ عَلَاقَةً﴾	١٤	١٣٣ ، ١٩٠ ، ١٩٩
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾	١٧	١٣٣
﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾	٤٧	١٠٨
﴿فَذَرُهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ يَجِيءَ ﴿٥٤﴾﴾	٥٤	١٧٨
﴿سَارِعُ مَنَ فِي الْغَيْرِ﴾	٥٦	١٧٨
﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَٰذَا﴾	٦٣	١٧٨
﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَفِيقَهُمْ﴾	٦٤	١٧٨
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾	١١٥	١٧٨
﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾	١١٧	١٧٨
(٢٤) سورة النور		
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً﴾	٢	١٣٣
﴿إِذْ تَلْقَوْنَهُ بِالسُّبْحِ وَتَقُولُونَ يَافُوَاهُكُمْ﴾	١٥	١٣٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ...﴾	٢٣	١٣٤
﴿رِيحَالٌ لَا لُئْلِمُهُمْ بِعِذْرِ اللَّهِ وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٣٧	٢١٨

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾	٤٧	١٨٦
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾	٥٥	١٣٩ ، ١٣٤ ، ١١٣
﴿لَا تَحْسَبُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ مِّنْكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ﴾	٦٣	١٣٤
(٢٥) سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾	١	٢١٣ ، ١٣٥
﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾	٧	١٣٥ ، ١٢٠ ، ١٠٨
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾	٢١	١٣٥ ، ١٠٨
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾	٣٢	١٣٥
﴿وَلَئِنَّا قِيلَ لَهُمْ اسْمِعُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾	٦٠	١٣٥
﴿قُلْ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾	٧٧	١٣٥
(٢٦) سورة الشعراء		
﴿لَكَ يَبْغِي قَسَمَكَ﴾	٣	١٣٥
﴿إِنْ لَّمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ﴾	٤	١٣٥
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرِهْنَا فِيهَا﴾	٧	١٣٦
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾	٨	١٧٩
﴿وَلَوْلَا نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾	١٠	١٣٦
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾	٦٧	١٧٩
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾	١٠٣	١٧٩
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾	١٢١	١٧٩
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَمْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾	١٣٩	١٧٩
﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾	١٥٨	١٧٩
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾	١٧٤	١٧٩
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾	١٩٠	١٧٩
﴿وَلِلَّهِ لِنَزِيلِ رَبِّ السَّلَافِ ﴿١٩١﴾﴾	١٩٢	١٧٩ ، ١٣٦
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٢﴾﴾	١٩٣	١٣٦
﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٣﴾﴾	١٩٤	١٣٦

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَيْنَا لَعِىَ ذُرِّيُّ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾	١٩٦	١٣٦
﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾	١٩٧	١٣٦
﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾	١٩٨	١٣٦
﴿فَفَرَّخُوهُمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾	١٩٩	١٣٦
﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾	٢٠٠	١٣٦
﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ ﴿٢٠١﴾﴾	٢٠١	١٣٦
﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾	٢١٠	١٣٧
﴿وَمَا يَلْبِغِي لَهُمْ﴾	٢١١	١٣٧
﴿فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾	٢١٣	١٣٧
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾	٢١٤	١٣٧
﴿وَلْخُفِضْ جَنَاحَكَ لِِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾	٢١٥	١٣٧
﴿هَلْ أَتَيْنَاكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾	٢٢١	١٣٧
﴿تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾	٢٢٢	١٣٧
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٢٢٧	١٣٧ ، ١٧٩

سورة النمل (٢٧)

﴿طَسَّٰ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾	١	١٣٧
﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾	٢	١٣٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾	٤	١٣٨
﴿قُلْ لِّلْعَمَلِ لِلَّهِ وَسْكَمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَسْطَفَوْا﴾	٥٩	١١
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنِ أَصْبَحَ رُبُّهُ هَٰذِهِ الْبَلَدُ﴾	٩١	١٣٨ ، ١٣٩
﴿وَأَن أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾	٩٢	١٣٩
﴿وَقُلْ لِّلْعَمَلِ لِلَّهِ﴾	٩٣	١٣٨ ، ١٣٩

سورة القصص (٢٨)

﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾	٣	١٣٩
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	٤	١٣٩
﴿وَتُؤَكِّدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	٦	١٣٨

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي﴾	٩	١٤٠
﴿وَلَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾	٢١	١٤٠
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِتَأْيِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَذَابٌ﴾	٣٨	٢٠٢
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾	٥٠	١٦٤
﴿وَلَنَسْفَعْنَا بِهٖ وَبِذَارِهِ الْأَرْضَ﴾	٨١	١٤٠
﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيْهِ مَعَادٌ﴾	٨٥	١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩
﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا غَيْرَ﴾	٨٨	٢٠٢

(٢٩) سورة العنكبوت

﴿أَحِبَّ النَّاسَ أَنْ يَرْضَوُا﴾	٢	١٤١
﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾	٦	١٤١
﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾	١٠	١٤١
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾	٢٠	٢٢٤
﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾	٤٠	١٤٢
﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾	٤٥	١٣٣ ، ٨٤
﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾	٦٤	٢٠١ ، ١٤٣ ، ١٠٥
		٢٢٤
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُونًا﴾	٦٧	١٤٢

(٣٠) سورة الروم

﴿الْعَرَّةِ﴾	١	١٤٣
﴿غُلَّتِ الرُّوْمُ﴾	٢	١٤٣
﴿فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ مُسْتَغْلِبُونَ﴾	٣	١٤٣
﴿يَنْصُرِي اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾	٥	١٤٣
﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٧	١٤٣
﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾	٨	١٦٤ ، ١٤٤
﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾	٩	١٤٤ ، ١٤٣
﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾	١١	١٤٤

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾	١٩	١٤٤
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾	٢٧	٢٠١
﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾	٢٨	١٤٤
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾	٥٨	١٤٤

(٢١) سورة لقمان

﴿الذِّكْرِ﴾	١	١٤٤ ، ١٤٦
﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾	٢	١٤٤ ، ١٤٦
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحِكْمِ﴾	٦	١٤٤
﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾	١١	١٤٥
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾	١٢	١٤٥
﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	٢٢	١٤٥ ، ١٤٦
﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزِنُهُ﴾	٢٣	١٤٥
﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	٢٥	١٤٥ ، ١٤٦
﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَجَدْتُمْ﴾	٢٨	١٤٥
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾	٣٠	١٤٥
﴿وَلِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌّ كَالظُّلُمِ دَعَوْا اللَّهَ﴾	٣٢	١٤٥ ، ١٤٦
﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ﴾	٣٣	١٤٦

(٢٢) سورة السجدة

﴿الذِّكْرِ﴾	١	١٤٦
﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٢	١٤٦
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾	٣	١٤٦
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٤	١٤٦
﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾	١٢	١٤٧
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾	١٣	١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٧١
		٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣
﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾	١٦	٢١٠

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَلَا تَعْلَمُ قَسَمًا مَّا أَخْفَىٰ عَنْكَ مِنْ فُرْقَةٍ أَمِينٍ﴾	١٧	١٥١ ، ٢١٠
﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	١٤٧
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذَكَرَ يُدَارِئُ رِيحَهُ﴾	٢٢	١٤٧
(٣٣) سورة الأحزاب		
﴿يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنِّي أَعْلَمُ﴾	١	١٤٨
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١﴾﴾	٣	١٤٧
﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجَالٍ مِنَ الْقَبِيلِ فِي جَوَافٍ﴾	٤	١١١ ، ١٤٧
﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	٩	١٥٠
﴿هَٰذَاكَ أَبَقَىٰ الْمُؤْمِنُونَ﴾	١١	١٥٠
﴿وَلَمَّا رَأَىٰ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾	٢٢	١٤٨ ، ١٤٩
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾	٢٣	١٤٨ ، ١٤٩
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِفِطْرَتِهِمْ﴾	٢٥	١٥٠
﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَوَيَرَثُهُمْ﴾	٢٧	١٥٠
﴿يَلِسَ النَّبِيُّ لُغْتًا كَلِمًا مِنَ الْإِسْلَامِ﴾	٣٢	١٤٨
﴿وَقَرَنَ فِي يَوْمِهِمْ﴾	٣٣	١٤٩
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾	٣٥	١٤٩
﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿٤١﴾﴾	٤١	١٤٩
﴿وَسَيُخَوِّدُكُمْ وَيَنْصَلِحُكُمْ﴾	٤٢	١٤٩
﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾	٤٣	١٤٩ ، ٢٠٩
﴿يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُومَتُ السُّلُوكِ﴾	٤٤	١٤٩
﴿يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾	٤٥	١٤٩
﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّبِينًا ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	١٤٩
﴿وَمَنْشَرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	١٤٩
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾	٥٦	١٤٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾	٥٧	١٤٩
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	٥٨	١٤٩

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُلْ لَأَزِيدَنَّكُمْ مَنَافِعَ﴾	٥٩	١٤٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ مَادُوا مُوسَى﴾	٦٩	١٤٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	٧٠	١٤٩
﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	٧١	١٤٩
﴿إِنَّا مَرْضَيْنَا الْإِيمَانَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾	٧٢	٢١٧
﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾	٧٣	١٤٩

سورة سبا (٢٤)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمُوتْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	١	١٥٠ ، ١٥١
﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِئُ فِي الْأَرْضِ﴾	٢	١٥١
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾	٣	١٥١
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَحْنُ عَلَىٰ رَحِيلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾	٧	١٥١
﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾	٩	١٥١ ، ١٥٩
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾	١٠	١٥١
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾	١٢	١٥١
﴿يَعْمَلُونَ لَّهُ مَا يُغْنِيهِمْ﴾	١٣	١٥١
﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ﴾	٢٢	١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣
﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا﴾	٣٣	١٥١
﴿وَلِذَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِئَنَتَ﴾	٤٣	١٠٨

سورة فاطر (٢٥)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١	١٥٢
﴿مَنَّا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾	٢	١٥٢
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	٣	١٥٢
﴿أَفَمَن رَّبَّنَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَمَلٌ فَرَّاهُ حَسَنًا﴾	٨	١٩٥ ، ١٥٢
		١٩٧ ، ٢٢٢
﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾	٩	١٥٢
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾	١١	١٥٢

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾	١٣	١٥٢
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	٢٧	٢٢٢ ، ١٥٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾	٢٩	
﴿وَهُمْ يَصْطَرِغُونَ فِيهَا رَبِّناً أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً﴾	٣٧	
﴿مُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾	٣٩	١٥٢
﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾	٤١	١٥٢

(٣٦) سورة يس

﴿يَسْ﴾	١	١٥٣
﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾	٢	١٥٣
﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	٣	١٥٣
﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٤	١٥٣
﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾	٦	١٥٣
﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾	٧	١٥٣
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾	١١	٧٥
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾	١٢	١٥٣
﴿وَأَضْرِبْ لَمْثًا لِمَن لَّمْ يَأْتِ الْفِتْرَةَ﴾	١٣	١٥٣
﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾	١٥	١٢٠ ، ١٠٨
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾	٣١	١٥٤
﴿وَأَيُّ لَمْ يَأْتِ الْفِتْرَةَ أَحْيَيْتُهَا﴾	٣٣	١٥٤
﴿يَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾	٣٥	١٥٤
﴿وَأَيُّ لَمْ يَأْتِ الْفِتْرَةَ نَسْلَخْ مِنْهُ النَّهَارَ﴾	٣٧	١٥٤
﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾	٤٠	١٦٤ ، ١٥٤
﴿وَأَيُّ لَمْ يَأْتِ الْفِتْرَةَ حَلَّلْنَا بِزَيْنَتِهِمُ فِي الْفَلَاحِ﴾	٤١	١٥٤
﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾	٤٤	١٥٤
﴿فَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ﴾	٧٦	١٢٩
﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾	٧٧	٢١٢

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
----------	-----------	------------

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾	٧٨	٢١٢
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨١)	٨٢	٢٠١

(٣٧) سورة الصافات

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ (١)	١	١٥٤
﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ (٢)	٢	١٥٤
﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (٣)	٣	١٥٤
﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤)	٤	١٥٤
﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٥	١٥٤
﴿إِنَّا رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَنَيْنَا الْكُوكَبَ﴾ (٦)	٦	١٥٤
﴿إِلَّا مَنْ خَلَفَ لَلْظُلْفَةِ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (١٥)	١٠	١٥٤
﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾	١١	١٥٤
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦)	٩٦	٢٠٨ ، ٩٠ ، ٢٣
﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَرَأَيْتَ الْإِنْسَانَ وَلَهُهُ الْإِنْسَانُ﴾ (١٧)	١٤٩	١٧٩
﴿وَلَدَ اللَّهُ وَلِيَهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٨)	١٥٢	١٧٩
﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٩)	١٨٠	١٧٩

(٣٨) سورة ص

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾	١٢	١٥٥
﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ﴾	١٤	١٥٥
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا مَجْلَلٌ لَنَا قُتْلُنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (١٦)	١٦	١٥٥
﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾	١٧	١٥٥
﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسْؤَالِ نَجِيِّكَ إِنْ يَجِإْ﴾	٢٤	١١٨
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾	٢٧	٢١٣
﴿كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾	٢٩	٧٦

(٣٩) سورة الزمر

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)	١	١٥٥
---	---	-----

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾	٢	١٥٥
﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾	٣	١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٤
﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾	٤	١٥٦ ، ١٧٤
﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	٦	١٥٦
﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي مَعَكُم﴾	٧	١٥٦
﴿قُلِ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصًا لَمْ يَبْدِ ①﴾	١٤	١٧٤
﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾	١٥	١٧٤
﴿أَمْسِنَ حَقٌّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾	١٩	٢٢٢
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾	٢٩	١٥٦ ، ١٧٤
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	٣٦	١٥٧
﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَنْجِدْ﴾	٣٧	١٥٧
﴿وَلَمَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	٣٨	١٥٧
﴿قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾	٤٤	١٥٧
﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٤٦	١٥٧
﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾	٥٢	١٥٧
﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٦٢	١٥٧
﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٦٣	١٥٧
﴿قُلِ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَغْبُدْ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ②﴾	٦٤	١٥٧
﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٦٥	٢٠٢ ، ٢١٣
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾	٦٧	١٥٧
﴿وَقَالُوا الْحَسْبُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَنُفِرُ﴾	٧٤	١٥٨

(٤٠) غافر

﴿حَمِّ ③﴾	١	١٥٧
﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ④﴾	٢	١٥٧
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾	٣	١٥٧ ، ١٥٨
﴿مَا يُجَدِّلُ فِي عِلْمِكَ اللَّهُ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٤	١٥٨ ، ١٧٤

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾	٥	١٥٨ ، ١٦٠
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾	١٢	١٧٤
﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾	١٣	١٨٧
﴿يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤٌ﴾	١٦	١١٢
﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ﴾	٢١	١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٧٤
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾	٢٢	١٥٨
﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾	٣٧	٢٠٢
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾	٥١	١٥٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَقْتَرِ سُلْطَانٌ﴾	٥٦	١٥٩ ، ١٧٤
﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾	٥٧	١٥٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصْرَفُونَ ﴿٥٨﴾﴾	٦٩	١٥٩ ، ١٧٤
﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾	٧٠	١٧٤
﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾	٧٤	١٥٩
﴿فَأَنصِرْ إِلَهُكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾	٧٧	١٥٩ ، ١٧٤
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾	٨٢	١٣٩ ، ١٥٩
		١٦٠ ، ١٧٤

(٤١) سورة فصلت

﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾	٢	١٥٩
﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ﴾	٣	١٥٩
﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾	٤	١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٤
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ﴾	٥	١٦١ ، ١٧٤
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾	١٣	١٦٠
﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَقْتَرِ الْحَقُّ﴾	١٥	١٦٠
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾	١٦	١٦٠
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْإِثْمِ﴾	١٧	١٦٠
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾	٢٦	١٦٠ ، ١٧٤

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا﴾	٣٠	٢١٠
﴿تَحْنُ أُولَئِكَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٣١	٢١٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾	٤٠	١٧٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾	٤١	١٥٩
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾	٤٢	١٥٩
﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا فَهَيَّأَ لَقَالُوا لَوْلَا نُفِّلَتْ آيَاتُهُ﴾	٤٤	١٧٤ ، ١٦٠ ، ١٥٩
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾	٥٢	١٦٠
﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾	٥٣	١٧٥
﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾	٥٤	١٦١

(٤٢) سورة الشورى

﴿تَكَاذُ السَّمَوَاتِ يَنْفَطَرْنَ مِنْ قَدْحِهِ﴾	٥	١٦١
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ﴾	٦	١٧٥ ، ١٦٠
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	٧	١٣٢ ، ١٦٠ ، ١٦١
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	٨	٢٢١ ، ٢٢٠
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾	١٣	١٧٥ ، ١٦١
﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَلْمُ﴾	١٤	١٦٠ ، ١٦١
﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾	١٥	١٦٠ ، ١٦١
﴿وَالَّذِينَ يَخَافُونَ فِي اللَّهِ﴾	١٦	١٧٥
﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾	١٧	١٦١
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾	٢١	١٧٥
﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٧	١٦٢
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ﴾	٢٩	١٦١
﴿وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾	٣١	١٦١
﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ أَوْلِيَاءَ يَصُورُهُمْ﴾	٤٦	١٦١
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾	٤٨	١٦١ ، ١٧٥ ، ٢٢٢

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٤٩	١٦٢
﴿أَوْ يَرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْسَانًا﴾	٥٠	١٦٢
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٥٢	١٦١
(٤٣) سورة الزخرف		
﴿حَمِّ﴾	١	١٦١
﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	٢	١٦٢
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	٣	١٦٢
﴿وَلَقَدْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌ حَكِيمٌ﴾	٤	١٦٢ ، ٧٥
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾	٥	١٧٥ ، ١٦٢
﴿وَجَعَلُوا لَمْ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾	١٥	١٧٥
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾	١٧	١٦٢
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	٣١	١٢٠
﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	٣٣	١٦٢
﴿وَلَقَدْ لَدَكُوكَ وَلَقَوْمُكَ﴾	٤٤	١٦٢
﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾	٥٢	٢٠٢
﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾	٧٩	١٦٣
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾	٨٠	١٦٣
﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	٨٩	١٦٣
(٤٤) سورة الدخان		
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَتٍ﴾	٣	١٦٢
﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾	٤	١٦٢
﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾	٩	١٧٥
﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾	١٠	١٦٣
﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾	١٦	١٧٥ ، ١٦٣
﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٤٠	١٧٥
﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾	٤٩	١٦٣

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تُمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	١٧٥
﴿فَلَمَّا يَتَذَكَّرْهُ لِيَسلِّطْهُ﴾	٥٨	١٦٣
﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾	٥٩	١٦٣
(٥٥) سورة العنكبوت		
﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾	٣	١٦٤
﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ يَدَيْهِمْ مِنْ مَّاءٍ فَهِيَ تَحْمِلُ الْوِجْدَانَ ثِقْلَانِ ﴿٢﴾﴾	٤	١٦٤
﴿وَالْخِلَافَ أَلَيْسَ لِلَّهِ الْكَلِمُ الْبَرُّ ﴿٣﴾﴾	٥	١٦٤
﴿وَالَّذِي هُوَ يُخَالِفُ مَا يُغَايِبُ عَنْكَ ﴿٤﴾﴾	٦	١٧٥ ، ١٦٤
﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ آفَاقٍ بَشِيرًا ﴿٥﴾﴾	٧	١٦٤
﴿يَتِمُّعْ بآيَاتِ اللَّهِ تَتْلُو مَلَكُوتُ لَمْ يُعْزِزْ ﴿٦﴾﴾	٨	١٦٤
﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ مَوَاقِنَا سُوءَ الْقُنْهَاءِ مَرُؤًا ﴿٧﴾﴾	٩	١٦٤
﴿هَذَا مُذُنٌ ﴿٨﴾﴾	١١	١٧٥ ، ١٦٤
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَةً ﴿٩﴾﴾	٢٣	١٧٥
(٥٦) سورة الاحقاف		
﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١﴾﴾	٣	١٧٥ ، ١٦٥
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرَأَوْا مَاذَا خَلَقُوا ﴿٢﴾﴾	٤	١٦٥
﴿وَإِنَّا خَيْرُ النَّاسِ كَلَّا هُمْ أَهْلَةٌ ﴿٣﴾﴾	٦	١٦٥
﴿وَإِنَّا لَنَلْقَاهُمْ عَلَيْهِمْ كَالسَّجَدِ الْهَاتِكِ ﴿٤﴾﴾	٧	١٦٥
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ ﴿٥﴾﴾	٣٣	١٦٦
﴿فَأَمَّا زَكَاةً كَمَا صَبَّ أُنُوفُ الْفَاسِقِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿٦﴾﴾	٣٥	١٩٥ ، ١٦٦ ، ١١٥
(٥٧) سورة محمد		
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَحَ أَصْلَحَهُمْ ﴿١﴾﴾	١	١٦٦
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَلُمُوا الصَّالِحِينَ ﴿٢﴾﴾	٢	١٦٦
﴿فَلَمَّا لَقِيتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرَبَ الرِّقَابَ ﴿٣﴾﴾	٤	١٧٥ ، ١٦٦
﴿بِمَقَالِهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِّرُوا عَنْ اللَّهِ بِضَرْبِهِمْ ﴿٤﴾﴾	٧	١٦٦

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتُورَاتِ أَرَأَيْتَ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَآ ۝٢٤﴾ ﴿فَلَا تَنْهَوْا وَلْتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَزِيدَكُمْ عَمَلَكُمْ ۝٢٥﴾	٢٤	٧٦
﴿إِنَّمَا لِلْبَيْزَةِ الدُّنْيَا لَوْمٌ وَلَهُوَ ۝٣٦﴾	٣٥	١٦٧
﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءَ تُدْعَوْنَ لِتُخْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۝٣٨﴾	٣٦	١٢٧
	٣٨	١٦٨ ، ١٦٧

(٤٨) سورة الفتح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾	١	١٦٨ ، ١٦٦
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ۝٤﴾	٤	١٦٦
﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ۝١١﴾	١١	١٨٦
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٨﴾	١٨	١٦٧
﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۝٢٧﴾	٢٧	١٦٧
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ۝٢٩﴾	٢٩	١٦٨ ، ١٤٧

(٤٩) سورة الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝١﴾	١	١٦٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ۝٢﴾	٢	١٦٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ۝٣﴾	٣	١٦٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنَ وَرَثَةِ الْحُجُرَتِ ۝٤﴾	٤	١٦٩
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ۝٥﴾	٥	١٦٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ۝٦﴾	٦	١٧٠ ، ١٦٩
﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۝٧﴾	٧	١٧٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ۝١٣﴾	١٣	١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٣٩
﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا ۝١٧﴾	١٧	١٧٠

(٥٠) سورة ق

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١﴾	١	١٧٠
﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۝٢﴾	٢	١٧٠

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾	٦	١٧٠
﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾	٨	
﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْجٌ﴾	١٢	١٧٠
﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِنْدٌ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٢٠٥
﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾	١٩	١٧١
﴿فَتَنُنُّ أَهْلَهُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾	٤٥	١٩٧ ، ١٧٠

(٥١) سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيْنَ ذَرَوْا ﴿١﴾﴾	١	١٧١
﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾﴾	٥	١٧١
﴿وَإِنَّ إِلَيْنَ لَرْوَعٌ ﴿٦﴾﴾	٦	١٧١
﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾﴾	١٢	١٧١
﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٥﴾﴾	٢٠	١٧١ ، ١١٧
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾﴾	٢١	١١٧
﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾	٤٩	٢١٠ ، ١٧١
﴿فَقُرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	١٢٧
﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	٥٢	١٧١
﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾	٥٣	١٧١
﴿فَقُولْ عَنْهُمْ وَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾	٥٤	١٧١
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾	٥٥	١٧٢
﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا يَبْتُلُ ذُنُوبَ أَحْسَنِهِمْ﴾	٥٩	١٧٢
﴿فَقُولِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾	٦٠	١٧٢

(٥٢) سورة الطور

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾﴾	١	١٧٢
﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾	٧	١٧٢
﴿مَا لَمْ يَنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾	٨	١٧٢
﴿فَقُولِ لِلْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	١١	١٧٢

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (١٤)	١٤	١٧٢
﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٥)	١٥	١٧٢
﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (١٦)	٢٩	١٧٢
﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٢٩)	٣٤	١٧٢

(٥٣) سورة النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١)	١	١٧٣
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (٢)	٢	١٧٣
﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (٣)	١٩	١٧٣
﴿وَأَنَّ إِلَيْنَا لَبِئْسَ الْأَشْنَىٰ﴾ (٤)	٤٢	١٧٣
﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَضْحَكٌ وَاتَّكَىٰ﴾ (٥)	٤٣	١٧٣
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ (٦)	٥٥	١٧٣
﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ﴾ (٧)	٥٦	١٧٣

(٥٤) سورة القمر

﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَاشْتَقَّ الْقَمَرَ﴾ (١)	١	١٧٤
﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ (٢)	٤	١٧٩ ، ١٧٦
﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾ (٣)	٥	١٧٩ ، ١٧٦
﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ (٤)	٦	١٧٩
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ (٥)	٩	١٧٦
﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَكِّ﴾ (٦)	١٥	١٧٩ ، ١٧٦
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٧)	١٦	١٧٩ ، ١٧٦
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ (٨)	١٧	١٧٦
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٩)	١٨	١٧٩ ، ١٧٦
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١٠)	٢١	١٧٩ ، ١٧٦
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ (١١)	٢٢	١٧٦
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١٢)	٣٠	١٧٩ ، ١٧٦
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ (١٣)	٣٢	١٧٦

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾	٤٠	١٧٦
﴿أَكْثَرَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾	٤٣	١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩
﴿أَوْ يَقُولُونَ كُنْ جَمِيعٌ شَعِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	١٧٧
﴿سَيَوْمَئِذٍ لَجْمَعُ وَيَوْمَئِذٍ الدُّبُرُ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	١٧٧
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٦﴾﴾	٤٩	١٧٩ ، ١٨١
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ نَعْنُو فَعَلْنَاهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾	٥٢	١٧٩ ، ١٨١

(٥٥) سورة الرحمن

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾﴾	١	١٨٠
﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾﴾	٢	١٨٠
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾﴾	٣	١٨٠
﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾	٤	١٨٠
﴿فَإِنِّي مَالِكٌ تَرْجُمَا نَكَدَ بَابٍ ﴿١٣﴾﴾	١٣	١٨١

(٥٦) سورة الواقعة

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾	١	١٨١
﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾﴾	٧	١٨١
﴿هَذَا نَزْلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	١٨١
﴿فَمَنْ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تَسْفِهُونَ ﴿٥٧﴾﴾	٥٧	١٨١
﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾	٥٨	١٨١
﴿فَمَنْ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَنْ جَعَلْنَاهَا لِلْمُغْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾	٧٣	١٨١
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْغَاطِيَةِ ﴿٧٤﴾﴾	٧٤	١٨٢
﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٨١﴾﴾	٨١	١٨٢
﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ مُصْهِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾	٨٧	١٨٢
﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾	٨٨	١٨١
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَلِيِّ ﴿٩٦﴾﴾	٩٦	١٨٢

(٥٧) سورة الحديد

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾	١	١٨٢
---	---	-----

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾	٦	١٨٢
﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	٧	١٨٢ ، ١٨٣
﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	٢٨	٢١٠
(٥٨) سورة المجادلة		
﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحُّوا فِي الْمَجَالِسِ فَانْسَحُوا﴾	١١	١٧٧
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَوْلُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾	١٤	١٨٤
﴿لَا يَحْجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾	٢٢	١٨٤ ، ١٨٥
(٥٩) سورة الحشر		
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	١	١٨٤
(٦٠) سورة الممتحنة		
﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾	١	١٨٦
﴿يَتَأْتِيهِمُ النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ﴾	١٢	١٤٨
﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾	١٣	١٨٦
(٦١) سورة الصف		
﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾﴾	٢	١٨٦
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾	٣	١٨٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾		
﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بِلَيْتٍ مَرْضُوضٌ ﴿١﴾﴾	٤	١٨٦
﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَرُّوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾	١٤	١٨٧
(٦٢) سورة الجمعة		
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾	٢	١٨٧
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾	٤	١٨٧
﴿مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا الثَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ		
أَسْفَارًا﴾	٥	١٨٧

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
----------	-----------	------------

سورة المنافقون (٦٣)

١٨٩	١	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾
١٨٨	٤	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾
١٨٨	٧	﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾
١٨٨	٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
١٨٩	٩	عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

سورة التغابن (٦٤)

١٨٢	١	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
٢٢١ ، ٢١٠ ، ١٨٨	٢	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرَ كُفْرًا وَنُكِرَ مُؤْمِنًا﴾
١٨٩ ، ١٨٨	٤	﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
١٨٩ ، ١٢٠	٦	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾
١٨٩	١٠	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾
١٨٩	١٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَزُولُكُمْ عَنْ أَمْنِكُمْ وَأُولَٰئِكَ عَدُوٌّ لَكُمْ﴾
١٨٩ ، ٨٧	١٥	﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

سورة الطلاق (٦٥)

١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٤٨	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِمَدَّتِهِنَّ﴾
-----------------	---	---

سورة التحريم (٦٦)

١٤٨	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾
١٩٠	٤	﴿إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمْ﴾
١٩٠	٥	﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾
١٩١	١١	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾

(٦٧) سورة الملك

﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ﴾	١	١٩١ ، ١٩٤
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾	٣	١٩١ ، ١٩٢
﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾	٥	١٩٣
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٦٧)	١٤	١٤١ ، ١٩٣

(٦٨) سورة القلم

﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١)	١	١٩٣
﴿مَا أَنْتَ بِمُحْذَرٍ رَبِّكَ يَعْجُونَ﴾ (٢)	٢	١٩٣ ، ١٩٤
﴿فَأَنْصِرْ لِخَيْرِ رَبِّكَ﴾	٤٨	١٩٦
﴿وَلَنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾	٥١	١٩٣ ، ١٩٤

(٦٩) سورة الحاقة

﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١)	١	٢١٦
﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٢)	٢	٢١٦
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ بِالْقَارِعَةِ﴾ (٣)	٤	١٩٤
﴿فَهَلْ رَأَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٨)	٨	١٩٤
﴿لِنَجْمِلَهَا لَكُمْ ذِكْرًا﴾	١٢	١٩٤
﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١٨)	١٨	١٩٤
﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٢٠)	٤٠	١٩٤
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (٢١)	٤١	١٩٤
﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ (٢٢)	٤٢	١٩٤
﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَالِكِينَ﴾	٤٣	١٩٤
﴿وَأِنَّهُمْ لَلَّذِكْرَةَ لِّلْمُنَاقِبِ﴾ (٤٨)	٤٨	١٩٤
﴿وَأِنَّهُمْ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥١)	٥١	١٩٤

(٧٠) سورة المعارج

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (١)	١	١٩٥
﴿فَأَنْصِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥)	٥	١٩٥

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ﴾	٢	١٩٨
﴿وَرَبُّكَ مَنَّكَ﴾	٣	١٩٨
﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	٧	١٩٨
﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأَقْصَى﴾	٨	١٩٨
﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١٠	١٩٨
﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾	١١	١٩٨
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾	٤٢	١٩٨
﴿وَكَلَّا تَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾	٤٦	١٩٨

(٧٥) سورة القيامة

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَهُ عَظَمَهُ﴾	٣	١٩٨ ، ١٩٩
﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	٦	١٩٨
﴿يَبْئُوءُ الْإِنْسَانُ بِمَا كَفَّمَ يَدَايِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	١٣	١٩٨
﴿فَلَا صَلَفَ وَلَا حُلَاقَ﴾	٣١	١٩٩
﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾	٣٢	١٩٩
﴿ثُمَّ دَخَلَ إِلَهُ أَهْلِهِ يَتَنَقَّحُ﴾	٣٣	١٩٩
﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	٣٧	١٩٩
﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُتَعَلِّقًا فَسَوْى﴾	٣٨	١٩٩

(٧٦) سورة الإنسان

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾	١	٦٣ ، ١٩٨ ، ٢١٢
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	٢٠٨
﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَقْنَا وَسْعِيرًا﴾	٤	١٩٩
﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا وَعِيسَى مُطَمَرًا﴾	١٠	١٩٩
﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَدَقُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	١٢	١٩٩
﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا فَتَبَيَّنُوا﴾	٢٢	١٩٩
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاقِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَبِيلًا﴾	٢٧	١٩٩
﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٣١	٢٠٠

(٧٧) سورة المرسلات

٢٠٠ ١٥ ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝﴾

(٧٨) سورة النبا

٢٠٠ ٤ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝﴾
 ٢٠٠ ٥ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝﴾
 ٢٠٠ ٦ ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝﴾
 ٢٠٠ ١٦ ﴿وَجَعَلَ الْفَالِقَ ۝﴾
 ٢٠٠ ١٧ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝﴾
 ٢٠٠ ٢٧ ﴿إِنَّهُمْ كَاثِرُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝﴾
 ٢٠٠ ٢٨ ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا ۝﴾
 ٢٠٠ ٢٩ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَمْسَيْنَتْهُ كُنُوبًا ۝﴾
 ٢٠٠ ٣١ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝﴾
 ٢٠١ ٣٩ ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَيْكَ رَبًّا مِثْلًا ۝﴾
 ٢٠١ ٤٠ ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ۝﴾

(٧٩) سورة النازعات

٢٠١ ١ ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَابًا ۝﴾
 ٢٠١ ١٠ ﴿يَقُولُونَ أَوَلَمْ نَكْرَهُهُمْ فِي الْفَافِرَةِ ۝﴾
 ٢٠١ ١١ ﴿أَوَلَدَا كُنَّا عِظْمًا فُتْرَةً ۝﴾
 ٢٠١ ١٣ ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرًا وَجْدَةً ۝﴾
 ٢٠١ ١٤ ﴿فَلَمَّا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝﴾
 ٢٠٢ ١٨ ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ ۝﴾
 ٢٠١ ٢٦ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝﴾
 ٢٠١ ، ٢٠٣ ٤٥ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ بَيْنِهَا ۝﴾

(٨٠) سورة عبس

٢٠٢ ١ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝﴾
 ٢٠٢ ٢ ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝﴾

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ (٢)	٣	٢٠٢ ، ٢٠٣
﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُمُ الذِّكْرَى﴾ (٤)	٤	٢٠٣
﴿فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاعَةُ﴾ (٣٣)	٣٣	٢٠٣
﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْغَرُورُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤)	٣٤	٢٠٣
(٨١) سورة التكويد		
﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١)	١	٢٠٣
(٨٢) سورة الانفطار		
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (١٠)	١٠	٢٠٤
﴿كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾ (١١)	١١	٢٠٤
﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (١٩)	١٩	١١٢
(٨٣) سورة المطففين		
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١)	١	٢٠٤
﴿أَلَا يَبْظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ (٤)	٤	٢٠٤
﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥)	٥	٢٠٤
﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (٧)	٧	٢٠٤
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)	١٤	١٩٣
﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِنْبَرِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (١٨)	١٨	٢٠٤
(٨٥) سورة البروج		
﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ		
شَهِيدٌ﴾ (٩)	٩	٢٠٥
﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (١٥)	٢٠	٢٠٥
(٨٦) سورة الطارق		
﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (١)	٤	٢٠٥
(٨٧) سورة الأعلى		
﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١)	١	٢٠٥

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝﴾	٢	٢٠٦
﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝﴾	٣	٢٠٦
(٨٨) سورة الفاشية		
﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝﴾	٦	٢٠٦
﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝﴾	١٧	٢٠٦
(٨٩) سورة الفجر		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَاءِ ۝﴾	٦	٢٠٦
﴿إِذَا ذَاكَ الْمَاءُ ۝﴾	٧	٢٠٦
﴿إِنْ رَبُّكَ لِبَالِغُ الْمَرَادِ ۝﴾	١٤	٢٠٦ ، ٢٠٧
﴿كَلَّا إِذَا دُخِيتِ الْأَرْضُ دُخَا ۝﴾	٢١	٢٠٧
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝﴾	٢٢	٢٠٧
﴿وَجِئَاةٌ يَوْمَئِذٍ يَجْمَعُهَا ۝﴾	٢٣	٢٠٧
(٩٠) سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝﴾	٤	٢٠٧
﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝﴾	٨	٢٠٧
﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝﴾	٩	٢٠٧
﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝﴾	١٠	٢٠٨
﴿فَلَا اقْنَعُكَ الْقَبِيلَةُ ۝﴾	١١	٢٠٧
(٩١) سورة الشمس		
﴿فَالْمُهْمُ فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝﴾	٨	٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ذَكَرَهَا ۝﴾	٩	٢٠٨
﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۝﴾	١٠	٢٠٨
(٩٢) سورة الليل		
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝﴾	١	٢٠٩ ، ٢١٠
﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝﴾	٢	٢١٠

نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (٣)	٣	٢١٠
﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (٤)	٤	٢٠٨
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاقْفَىٰ﴾ (٥)	٥	٢٠٨ ، ٢٣
﴿فَسَتَيْسَرُّ لِلْبَشَرِ﴾ (٧)	٧	٢٠٩
﴿فَسَتَيْسَرُّ لِلْمُصْرَىٰ﴾ (١٠)	١٠	٢٠٨ ، ٢٣
﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ (١٢)	١٢	٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٣
﴿وَلَا لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (١٣)	١٣	٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٣

(٩٢) سورة الضحى

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ (١)	١	٢٠٩
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (٢)	٢	٢٠٩
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (٣)	٣	٢٠٩
﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٤)	٤	٢٠٩
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَىٰ﴾ (٥)	٥	٢١٤ ، ٢٠٩
﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩)	٩	٢٠٩
﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠)	١٠	٢٠٩

(٩٥) سورة التين

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١)	٤	٢١٢
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦)	٦	٢١٢
﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ﴾ (٧)	٧	٢١٣
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْخَافِيينَ﴾ (٨)	٨	٢١٣

(٩٦) سورة العلق

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١)	١	٢١٣ ، ٤٧
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ (١)	٩	٢١٤
﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ (١٠)	١٠	٢١٤
﴿كَأَنَّهُ لَا فُلْجَةٌ وَاسْتَجَدَّ وَاقْتَرَبَ﴾ (١١)	١٩	٢١٤

(٩٧) سورة القدر

٨١ ١ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾

(٩٨) سورة البينة

٢١٥ ١ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّينَ ﴿١﴾﴾

٢١٥ ٥ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٥﴾﴾

٢١٦ ، ٢١٥ ٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ ٢١٦ ، ٢١٥ ٧

(٩٩) سورة الزلزلة

٢١٦ ٦ ﴿يَوْمَ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعُ أَمَّا النَّاسُ أَشُنَّاءُ لَمَنَاسِكُمْ ﴿١﴾﴾

٢١٦ ٧ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾﴾

٢١٦ ٨ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

(١٠٠) سورة العاديات

٢١٩ ، ٢١٦ ٦ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾﴾

٢١٦ ٧ ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾

٢١٦ ٨ ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾

٢١٦ ٩ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾

٢١٦ ١٠ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾

٢١٦ ١١ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

(١٠١) سورة القارعة

٢١٦ ٤ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿١﴾﴾

٢١٧ ٥ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾﴾

٢١٦ ٩ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾

٢١٦ ١٠ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾

سورة التكاثر (١٠٢)

٢١٧	١	﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾
٢١٧	٣	﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾
٢١٧	٤	﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾
٢١٧	٥	﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾
٢١٧	٦	﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾
١٣٠	٨	﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾

سورة العصر (١٠٣)

٢١٧	١	﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾
٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧	٢	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢﴾
		﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ
٢١٨	٣	﴿وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

سورة الهمزة (١٠٤)

٢١٨	١	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾
٢١٩	٣	﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣﴾
٢١٨	٤	﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّ فِي السَّاعَةِ ۝٤﴾

سورة الفيل (١٠٥)

٢١٨	٣	﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾
٢١٨	٤	﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾
٢١٨ ، ٥٦	٥	﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

سورة قريش (١٠٦)

٥٦	١	﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝١﴾
----	---	--------------------------

سورة الماعون (١٠٧)

٢١٩	١	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ ۝١﴾
٢١٩	٢	﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْبَيْتَ ۝٢﴾

(١٠٨) سورة الكوثر

﴿إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ أَزِيدُ﴾	٣	٢٢١
----------------------------------	---	-----

(١٠٩) سورة الكافرون

﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾	١	٢٢٢ ، ٢٢٣
--------------------------------	---	-----------

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾	٢	٢٢٢
--------------------------------	---	-----

﴿وَلَا أَنتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾	٣	٢٢٢
---------------------------------------	---	-----

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	٦	٢٢٢ ، ٢٢٣
---------------------------------	---	-----------

(١١٠) سورة النصر

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾	١	٢٢٣
--	---	-----

(١١٢) سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	٢٢٤
----------------------------	---	-----

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	٢	٢٢٤
---------------------	---	-----

﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ﴾	٣	٢٢٤
----------------------------	---	-----

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤	٢٢٤
-------------------------------------	---	-----

(١١٣) سورة الفلق

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾	٢	٢٢٤
-------------------------	---	-----

(١١٤) سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾	١	٦٣
---------------------------------	---	----

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	رقم الصفحة
إذا قرأت السورة فأنفذها	٦٢
أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	٨٧ ، ٢١٩
الإسلام ثمانية أسهم	٩٢
أعطيت السبع الطوال مكان التوراة	٥٧ ، ٥٢ ، ٥١
اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران	٨٢
أمرهم عثمان بأن يتابعوا الطوال	٤٩
إن فلاناً كان يقرأ منكوساً قال ذلك منكوس القلب	٦٢ ، ٦٣
بني الإسلام على خمس	٩٢
الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين	١٢٤
رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره	٢٠٢
سمعت عبد الله بن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف	٨٢
سمى رسول الله ﷺ سورة الكافرين البرية من النفاق	٢٢٣
الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل	٨٧ ، ١١٨
صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح سورة البقرة	٨٠
صلى رسول الله ﷺ بالسبع الطوال في ركعة	٦٢ ، ٨٢
قرأ عمر في ركعة واحدة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَمَل رَبُّكَ بِأَحْصَى الْفِيلِ﴾ و﴿لَا يَلْفُ	
قُرَيْشٍ﴾	٨٣
قلت لعبد الرحمن بن عوف: يا خال أخبرني عن قصتكم يوم أحد	٤٥
قلت لعثمان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي المثاني	٤٩
قلت لعثمان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ...﴾	٤٤
كان ﷺ يجمع المفصل في ركعة	٨٢
كان ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما	٥٧ ، ٨٢
كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة سورة الجمعة والمنافقين	٨٠

- ٨٢ كان ﷺ يجمع المفصل في ركعة
- ٦٣ كان الحسن يكره أن يقرأ القرآن إلا على تأليفه في المصحف
- ٤٥ كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره
- ٥٧ ، ٥٤ كنت في الوفد الذين أسلموا في ثقيف
- ٢١٩ لا يزنني الزاني حين يزنني وهو مؤمن
- ٢١٧ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً
- ١١٥ لو لبثت في السجن ما لبث أخي يوسف لأجبت الداعي
- ١٦٨ لو كان الإيمان في الثريا لثاله رجال من هؤلاء
- ٤٥ ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله
- ٧٥ ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر
- ٢٢٠ من تشبه بقوم فهو منهم
- ٢١٠ وجدت فالزم
- ١٦٧ ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
- ٨٢ يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به

فهرس الأعلام

ابن الأنباري (أبو بكر): ٥٢، ٥١	(١)
أنس <small>رضي الله عنه</small> : ١٢٤، ١٢١	آدم: ٨٩، ٩١، ١٠٢، ١١١، ١٢٤
أوس الثقفي: ٥٤	١٢٥، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٢، ١٥٦
(ب)	ابن الأبار (محمد بن عبد الله القضاعي):
الباجي (علي بن محمد): ٤٠	إبراهيم (عليه السلام): ٨٥، ٨٦، ٩٦
الباقلاني (أبو بكر بن الطيب): ٤٦	٩٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٨٥
٤٧، ٥٠، ٥٢، ٧٩، ٨٣	إبراهيم بن محمد الطبري: ٢٤
البخاري: ٤٤، ٥٠، ٥٧، ٨٢	إبراهيم بن محمد التنوخي: ٣٢
برهان الدين البقاعي: ٥٥، ٦٦	إبراهيم بن محمد المدني: ٤١
البزار: ١٢٥	إبراهيم النخعي: ٦٤
ابن بشكوال (أبو القاسم): ٤٠	إبليس: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤
أبو بكر الطيب = الباقلاني:	١٠٥، ١١١، ١٣٠
أبو بكر <small>رضي الله عنه</small> : ٢١٠، ٢١٥، ٢٢٣	أبي بن كعب: ٤٧، ٤٨، ٨٣
بلال <small>رضي الله عنه</small> : ٦٢	أحمد بن إبراهيم بن الزبير = ابن الزبير:
بلعام: ١٠٣، ١٠٤	أحمد بن الحسن الكلاعي: ٣٢
البيهقي: ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٢	أحمد بن حنبل = ابن حنبل:
(ت)	أحمد بن فارس: ٤٧
الترمذي: ٢٩، ٣١، ٤٩	أحمد بن محمد الأزدي: ٣٢
التنبكتي: ٤١	أحمد بن محمد القرطبي: ٢٤
(ج)	أحمد بن محمد خديجة: ٢٥
جبريل <small>عليه السلام</small> : ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨	أحمد بن يوسف بن فرتون: ٢٥
٥٢، ٥٣، ٦٠، ٦٢، ١٢٥، ٢١٩	إسحاق: ١١٥
أبو جعفر بن خلف: ٣١، ٣٧	الإسكافي (الخطيب)، الحصنكفي: ٤٢
جعفر بن علي الحمداني: ٢٤	ابن أشته (محمد بن عبد الله): ٤٩، ٥٧

أبو داود (صاحب السنن): ٥٤، ٥٦
ابن أبي داود: ٦٣، ٦٤

(ج)

الرازي (الفخر): ٥٥، ٦٦، ٦٧
الربيع بن أنس: ١٢٤
ربيعة: ٥٧
ابن رحمون (عبد الرحمن بن محمد):
٢٦، ٣١
ابن رمان (محمد بن القاسم القرشي): ٣٤

(ز)

ابن الزبير (أحمد بن إبراهيم بن الزبير
الشفقي): ١١، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢،
٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠،
٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤١،
٤٢، ٤٤، ٤٧، ٥٣، ٥٦، ٥٨، ٦٠،
٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٥،
٢٢٦، ٢٢٧
الزركشي (بدر الدين): ٤٤، ٤٧، ٤٨،
٥٣، ٥٦، ٦١، ٧١، ٧٢
زكريا عليه السلام: ١٢٨
الزمخشري: ٢٧
زيد بن ثابت عليه السلام: ٤٧، ٥٠، ٥١

(س)

سعد بن محمد الحفار: ٢٥
سعيد بن العاص: ٥٠
سلمان الفارسي عليه السلام: ١٦٨
سلمون بن علي الكناني: ٣٢
سليمان بن بلال: ٥٧
سليمان عليه السلام: ١٢٥، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣

أبو جعفر المنصور: ٨٠، ١٦٧
ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي): ٢٦

(ح)

حارثة: ٢١٠
ابن الحاج (محمد بن محمد): ٣٤
حاجي خليفة: ٣٩
حاطب بن أبي بلتعة: ١٨٥
ابن حجر السقلاني: ٥٤
حذيفة الشفقي: ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٨٠،
٩٢، ١٦٧
الحراني: (عبد اللطيف بن هبة الله): ٢٦
الحسن عليه السلام: ٦٣
حسن حسني عبد الوهاب: ١٢
ابن الحضار: ٥٣
الحصنكي = الإسكافي الخطيب:
الحضار (أبو الحسن): ٣١، ٣٧
الحكم: ٨٠
الحليمي (حسين بن الحسين): ٦٢
ابن حنبل (أحمد): ٢٨، ٤٤، ٤٩،
٥٤، ٥٦
أبو حيان (أثير الدين): ٢٥، ٣٤، ٣٥،
٣٧

(خ)

الخضر: ١٢٧، ١٢٨
الخطابي (محمد بن محمد): ٨١
ابن الخطيب لسان الدين: ٣٥، ٣٩

(د)

داود عليه السلام: ١٢٥، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣،
١٨٤

ابن عباس (عبد الله) : ٤٩ ، ٥٠
 عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : ٥٠
 عبد الرحمن بن عوف : ٤٥
 عبد الرحمن بن يزيد : ٨٢
 عبد العظيم الزرقاني : ٥٨
 عبد الله بن الزبير : ٥٠
 عبد الله بن سلام : ١٣٦
 أبو عبد الله العبدري : ٣٧
 أبو عبد الله نصر : ٣٦
 ابن عبد الملك الأنصاري (محمد بن محمد) : ٣٧ ، ٣٦ ، ٣١ ، ٢٦ ، ٢٣
 أبو عبيد : ٦٢
 عثمان بن عفان : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٩
 عثمان بن أبي العاص : ٤٤
 عثمان بن طلحة العبدري : ٧١
 ابن العربي (أبو بكر) : ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٨١ ، ١٦٨
 العز بن عبد السلام : ٢٦ ، ٦٨
 ابن عساكر (عبد الصمد) : ٢٦
 العشاب (أحمد بن محمد) : ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢
 ابن عطية القيسي (أبو عبد الله) : ٢٤
 ابن عطية - عبد الحق : ٥٨ ، ٥٩ ، ٨١
 علي بن محمد الشاري : ٢٧ ، ٣١
 علي (عليه السلام) : ٤٨ ، ١٢٥
 عمران :
 عمر بن الخطاب : ٤٥ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٩٠ ، ٢١٥
 عمر بن محمد السكوني : ٢٧

سبيويه : ٣٠ ، ٣٨
 ابن سيد الناس (محمد بن محمد) : ٢٩ ، ٣١
 ابن سيرين : ٦١
 السيوطي (عبد الرحمن) : ٣٧ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨
 (ش)
 الشاطبي : ٢٨
 شريك : ١٢٥
 شعيب : ١١٣ ، ١٢١ ، ١٤٢ ، ١٧٧
 الشهرستاني (أبو الحسن) : ٦٥
 ابن أبي شيبة (عبد الله بن محمد) : ٨٠ ، ٨٢
 ابن الشيخ (عبد العظيم البلوي) : ٢٦ ، ٣١
 (ص)
 صالح (النبي) : ١١٣ ، ١٢١
 صبحي الصالح : ٥٠ ، ٥٤ ، ٧٠
 الصديق (انظر = أبو بكر) :
 (ط)
 الطبراني : ٦٢
 الطراز (محمد بن سعيد) : ٢٨
 طه : ١٢٨
 الطيبي : ٥٣
 (ع)
 عائشة : ٨٢
 ابن العاصي (محمد بن أحمد) : ٣١
 ابن العاصي (إبراهيم بن محمد) : ٢٤

محمد بن أحمد المعافري: ٢٨
محمد بن أحمد بن فرج اللخمي: ٢٨،
٣٣

محمد بن أحمد الكلبي: ٣٣
محمد بن الأشعري: ٣٣
(محمد بن عثمان)، ابن المرباط: ٣٣
محمد بن علي اليباس: ٣٤
محمد بن علي بن وهب: ٢٨
محمد بن علي الدهان: ٢٨
محمد بن علي الحميري: ١٢
محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر:
١٢٥

محمد بن عيسى الرعيبي: ٢٤
أبو محمد القرشي: ٤٩
محمد بن محمد بن أحمد بن جزي
الكلبي: ٣٤
محمد بن محمد بن سهل الوزير: ٣٤
محمد بن محمد بن محرز: ٢٩
محمد بن يوسف الطنجالي: ٢٩
محمد بن يوسف بن نصر (أبو عبد الله):
٧٧

محمود بن سليمان بن فهد: ٢٩
مريم: ١٢٨، ١٩١
ابن مسعود: ٤٨، ٥٨، ٦٢، ٦٣،
٨٢
مسلم: ٤٥، ٦٢، ١٢٤
المسور بن مخزومة: ٤٥
أبو مطرف بن عميرة: ٢٤، ٣١
معبد بن خالد (أبو زرة): ٨٢
ابن مفرج (محمد بن يحيى): ٢٩

عمر مولى عفرة: ٦٢
عيسى: ٨٩، ٩١، ٩٤، ١٢٥،
١٨٧، ١٨٤، ١٢٨

(غ)
الغزال (علي بن أحمد): ٢٧
الغزالي (أبو حامد): ٢٦

(ف)
ابن فرحون (برهان الدين): ٢٢
فرعون: ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٨،
١٣٩، ١٤٠، ١٥٥، ١٥٨، ٢٠١، ٢٠٢

(ق)
قارون: ١٤٠، ١٥٨
ذو القرنين: ١٢٧، ١٢٨

(ك)
الكرماني تاج القراء: ٥٣
كعب بن الأشرف: ٧١

(ل)
لقي بروفنصال: ٤٠
لقمان: ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧
لوط: ١١٣، ١٤٢

(م)
مالك بن أنس: ٤٧، ٦٠، ٦١، ٦٤،
٨٣، ٨٠، ٧٩

محمد: ٧٢، ٧٥، ٨٩، ١٢١، ١٢٤،
١٢٥، ١٢٨، ١٤٧، ١٥٩، ١٦٤،
١٦٨، ١٨٧، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٢٣،
٢٢٧، ٢٢٥

محمد بن إبراهيم الأموي: ٣٣
محمد بن إبراهيم المقدسي: ٢٧

(و)

وائل بن حجر: ١٢١
وائل بن الأسقع: ٥٧
الوادي آشي محمد بن جابر: ٣٣
الوراد أحمد بن محمد التجيبي: ٢٥
ولي الدين الملوحي: ٥٥، ٦٧
ابن وهب: ٥٧

(ي)

ياقوت الحموي: ٢٠
يحيى بن أحمد بن المرباط: ٣٠
يحيى بن زكريا: ١٢٨
يحيى بن عباس القيسي: ٣٠
يحيى بن عبد الله المولي: ٣٠
يزيد الفارسي: ٤٩، ٥٠
يعقوب: ١١٣، ١١٥، ١١٦
أبو يعلى أحمد بن علي: ٤٥
يوسف: ٦٣، ٩٧، ١١٣، ١١٤
١١٥، ١١٦
يوسف بن إبراهيم أبو الحجاج: ٣٤
يوسف بن أبي ريحانة المالقي: ٣٠
يونس:

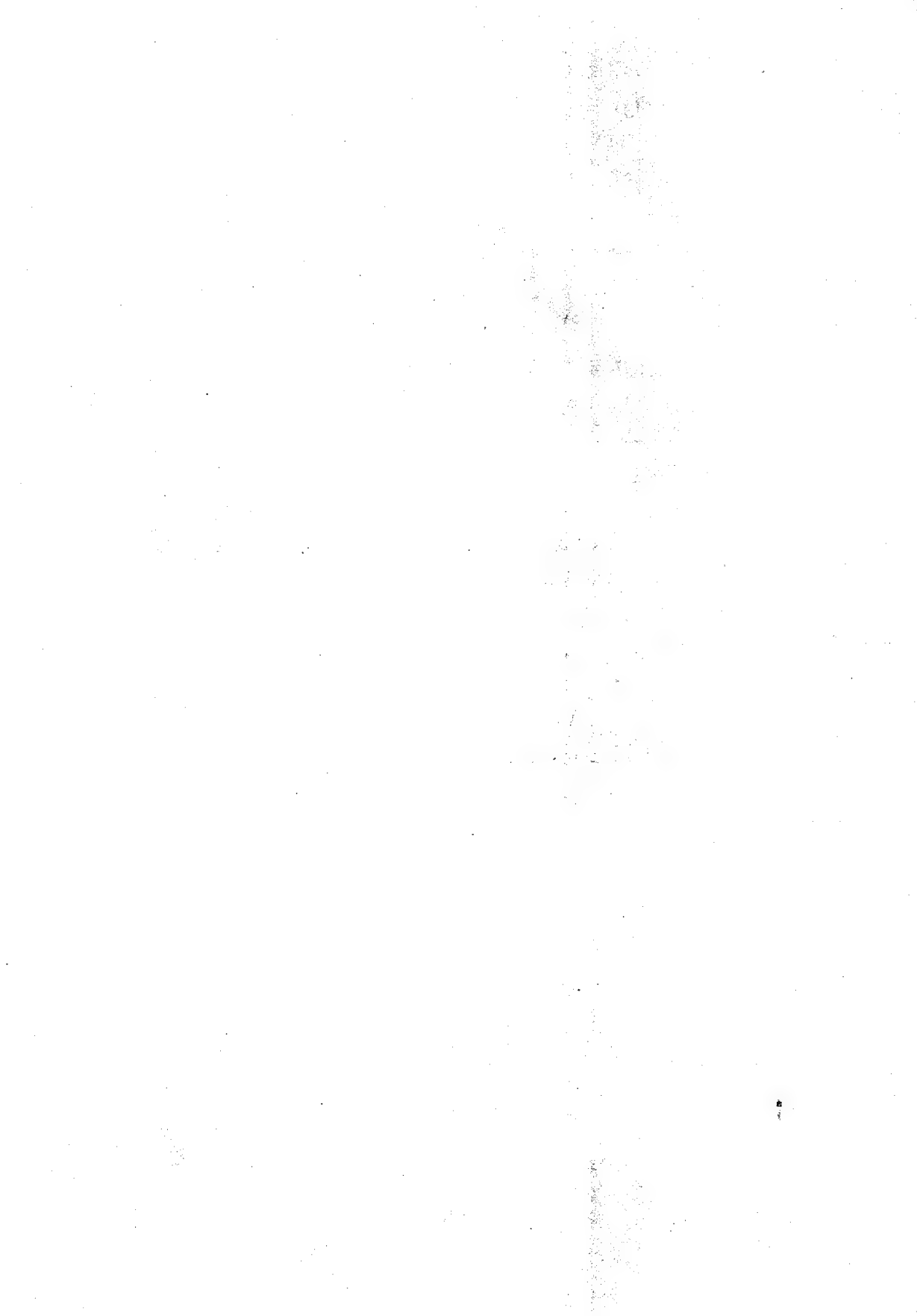
ابن أم مكتوم عبد الله: ٢٠٢، ٢٠٣
مكي بن أبي طالب حموش: ٤٥، ٤٨
موسى: ١١٣، ١٢٤، ١٢٥
١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦
١٣٩، ١٤٠، ١٤٩، ١٦٩، ٢٠٢
أم موسى: ١٤٠

(ن)

ابن الناظر (الحسن بن عبد العزيز):
٢٥، ٣٢
النحاس (أبو جعفر): ٤٩، ٥١، ٥٢
٥٥، ٥٧، ٦١
النسائي: ٢٧، ٣٣
نوح: ١٠٢، ١١٣، ١٢٥، ١٤٢
١٩٥
النور بن سعيد أبو الحسن: ٢٢
النووي (يحيى بن شرف): ٦٣
النيسابوري (أبو بكر): ٦٥

(هـ)

هامان: ١٣٨، ١٥٨، ٢٠٢
أبو هريرة: ١٢٤
هود: ١١٣



فهرس القبائل والجماعات والفرق

(ص)	(١)
الصابئون: ١١١	بنو إسرائيل: ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ١٠٢، ١٠٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٦١، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٤
(ظ)	
الظاهرية: ٣٤	
(ع)	١٨٨
عاد: ٢٠٦، ١٩٤، ١٦٠، ١٥٥	أصحاب الأخدود: ٢٠٥
العجم: ١٦٨	الأكراد: ١٦٧
العرب: ٢٠، ٨٦، ٨٩، ٩٤، ١٠١، ١٢١، ١٢٦، ١٣٦، ١٤٢، ١٥٥	(ث)
١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٧	ثقيف - بنو ثقيف: ١٩، ٥٤، ٥٧
١٧٩	ثمود: ١٦٠، ١٩٤
(ف)	الثنوية: ٩٤
الفرس: ١٦٧، ١٦٨	(ح)
(ق)	الحنابلة: ٢٦، ٢٧، ٢٨
القلرية: ٨٧، ٩٠	(خ)
قريش: ١١٥، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٨، ١٤٠	الخوارج: ٢٢
١٧٢، ١٨٥، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٢	(د)
٢٢٣، ٢١٨	الروم: ١٤٢، ١٤٣
(ك)	(س)
أهل الكهف: ١٢٦	أهل السنة: ٢٧، ٣٠، ١٢٦
(م)	(ش)
المنذوب المالكي: ١٦٨، ٢٧	قوم شعيب: ١٢١
	الشوذية: ٣٦، ٣٩

(هـ)

قوم هود: ١٧٧

(ي)

١٦٨ ، ١٦٧

يأجوج وماجوج:

اليهود - اليهودية: ٥٦ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١١١ ، ١٢٦ ، ١٨٥

٢١٥

المعتزلة: ٨٧ ، ٩٠

المجوس: ٨٧ ، ٩٤

(ن)

النصارى - النصرانية: ٤٠ ، ٥٦ ، ٨٦

٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤

١١١ ، ١٢٦

قوم نوح: ١٢٠ ، ١٤٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨

١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٦

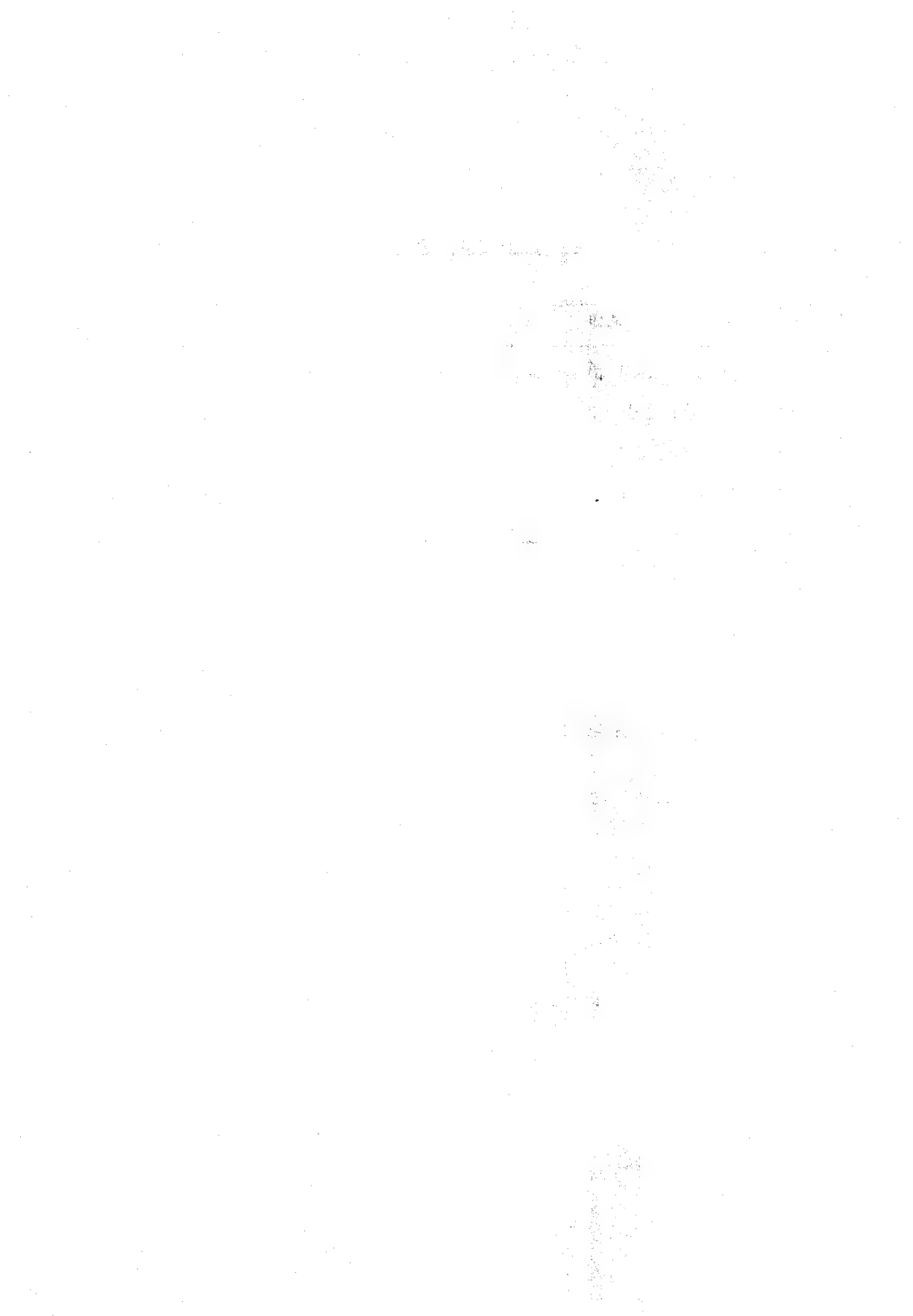
فهرس الأماكن والبلدان

٢٣	سبتة:	(١)	
	(ش)	٢١	إشبيلية:
٢٨	الشام:	٢٠	ألبيرة:
	(ص)	٣٠، ٢٦، ٢٣، ٢٢، ٢٠	الأندلس:
٢٨	الصالحية (مدرسة):	٤٠، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١	
١٦٧	الصين:	(ب)	
	(ط)	٣٠، ٢٤	بجاية:
٣٣، ٣٢	طريف:	١٢٦، ١٠٤، ١٠٣، ٧٢، ٧١	بدر:
٢٠	طليطلة:	١٧٧، ١٦٣، ١٣٩	
	(غ)	٦٥، ٢٦	بغداد:
٢٧، ٢٤، ٢١، ٢٠، ١٩	غرناطة:	(ت)	
٤٣، ٣٧، ٣٤، ٣٢، ٣١		٢٠	تدمير:
	(ف)	٢٧، ١٧، ١٢، ٨	تونس:
٢٥	فاس:	(ج)	
	(ق)	٢١، ٢٠، ١٩	جيان:
٣٤	القاهرة:	(خ)	
٢٥، ٢١، ٢٠	قرطبة:	١٦٨	خراسان:
٣٠	قسنطينة:	الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط:	
٢٨	قوص:	١٨، ١٢	
	(ك)	(ز)	
٩٣، ٧١	الكعبة:	٤٠	الرباط:
		(س)	
		١٥٠	سبأ:

٣٥ ، ١٧	المغرب:	(٢)	
١٣٨ ، ٧١ ، ٥٧ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٤	مكة:	٣٦ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٤	مالقة:
١٦٧ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٣٩		٨٠ ، ٥٧ ، ٤٩ ، ٣٤	المدينة المنورة:
٢١٨ ، ١٨٥			١٨٨ ، ١٢٦
١٧ ، ١٢ ، ٨	المكتبة الوطنية بتونس:	٣٠	مرسية:
٣٠	مولى:	٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦	مصر:

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية	صدر البيت
٢١	أبو الحسن النوري	الرجز	يقيد	إن قيدوه وبالفوا في عصره
٢٢	ابن الزبير الثقفي	الرمل	ينجلي	حسبي ذنوب أثقلت كاهلي
٢٢	أبو الحسن النوري	الرجز	تفرد	لابن الزبير مكارم أضحت بها
٢١	ابن الزبير الثقفي	الرمل	يلي	مالي وللتسأل لا أم لي
٦٨	مجهول	البسيط	الصفر	والنجم تستصغر الأبصار صورته



فهرس الكتب

(أ)

- الإتقان للسيوطي: ٣٧، ٣٨، ٤٦، ٤٧، ٦٠، ٦٦
- الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: ٢٠، ٢١، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤٠
- أحكام القرآن لابن العربي: ٥٩
- الأربعين في أصول الدين على مذهب أهل السنة: ٢٧
- أرجوزة في بيان مذهب الشوذية لابن الزبير الثقفي: ٣٦
- أسرار التنزيل - السيوطي: ٦٦
- الإعلام - الزركلي: ٣٨، ٤١
- الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام - ابن الزبير الثقفي: ٣٦، ٣٨
- الإشارة - الباجي: ٤٠
- الانتصار - الباقلاني: ٤٦
- الإنجيل: ٥٧، ٨٩، ٩٠، ١٢٥، ١٦٧، ١٦٩، ٢١٥
- إيضاح المكنون - البغدادي: ٤٠
- إيضاح السيل في حديث جبريل - ابن الزبير الثقفي: ٣٧، ٢١٩

(ب)

- البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الثقفي: ٥، ٧، ١١، ٢٣، ٣٧
- ٣٨، ٣٩، ٤٧، ٥٩، ٦٥
- ٢٢٦، ٦٦
- البرهان في علوم القرآن - الزركشي: ٤٤، ٤٧، ٥٣، ٥٦، ٦١
- البرهان - الكرمانلي: ٥٣
- برنامج روايات ابن الزبير الثقفي: ٣٧، ٤٠
- بغية الوعاة - السيوطي: ٢١

(ت)

- ٤٠ تاريخ علماء الأندلس - ابن الزبير الثقفي:
٦٣ التبيان في آداب حملة القرآن - النووي:
١٦٨ تخلص التلخيص - ابن العربي:
٢٥ تسديد اللسان لذكر أنواع البيان - أحمد خديجة:
٣٨ تعلية على كتاب سيويه ابن الزبير الثقفي:
٢٤ تفسير العشاب:
٣٩ تفسير ابن الزبير الثقفي:
٣١ التكملة لابن الأبار:
٤١ ، ٤٠ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٣ التكملة لابن عبد الملك:
٢٧ التميز لما أودعه الزمخشري من الاعتزالات:
٢٧ في تفسير الكتاب العزيز - السكوني:
٦٦ تناسق الدرر في تناسب السور - السيوطي:
١٢٥ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٥٧ ، ٥٢ التوراة:
١٦٥ ، ١٨٨ ، ١٦٩ ، ١٦٧

(ج)

- ٣١ ، ٢٥ جامع الترمذي:

(د)

- ٣٨ ، ٣٥ درة الحجال ابن القاضي:
٤٢ ، ٤١ الدرر الكامنة - ابن حجر:
٣٩ ، ٣٨ ، ٢٣ الديباج - ابن فرحون:

(ذ)

- ٣٩ ، ٣١ ، ٢٤ الذيل والتكملة - ابن عبد الملك:
٢٥ ذيل صلة ابن بشكوال - ابن فرتون:

(ر)

- ٣٩ ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل - ابن الزبير الثقفي:

(ز)

- ٥٧ الزبور:

(س)

٤٠

سبيل الرشاد في فضل الجهاد - ابن الزبير الثقفي:

٣٣ ، ٢٧

سنن النسائي:

(ش)

٢٢

شجرة النور الزكية - ابن مخلوف:

٤٠

شرح الإشارة - ابن الزبير الثقفي:

شرح عمدة الأحكام - ابن دقيق العيد:

٦٢

شرح المذهب - السيوطي:

(ص)

٨٢ ، ٥٧

صحيح البخاري:

١٢٤ ، ٨٠

صحيح مسلم:

٢٥

الصلة - ابن بشكوال:

٤٠ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٧ ، ٢٥

صلة الصلة - ابن الزبير الثقفي:

(ع)

٣٤

العذب والأجاج - ابن الحاج:

٣١ ، ٢٩

عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير (ابن سيد الناس):

(ف)

فهرس روايات ابن الزبير الثقفي (انظر = برنامج روايات ابن الزبير):

(ك)

٣٨ ، ٣٠

كتاب سيويه:

٢٤

كتاب في المعاني والبيان - للعشاب:

٢٨

كتاب الكافي في القراءات للرعيني:

٤٢ ، ٤١ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧

كشف الظنون - حاجي خليفة:

(م)

٢٥

مختصر التبصرة - أحمد خديجة:

- المدخل - البيهقي: ٥٩
المسائل الخمس - ابن فارس: ٤٧
المستصفى - الغزالي: ٢٦
مسند أبي يعلى: ٤٥
المصاحف - ابن أشتة: ٥٧ ، ٤٩
مصنف ابن أبي شيبة: ٨٣ ، ٨٢ ، ٨٠
معجم البلدان ياقوت: ٢٠
معجم شيوخ ابن الزبير الثقفي: ٤١
معجم المؤلفين - كحالة: ٣٩ ، ٣٨
المقصد الواجب - ابن الزبير الثقفي: ٤١
ملاك التأويل - ابن الزبير الثقفي: ٢٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٣ ، ٢٢٦
منظومة في القراءات - الشاطبي (أبو محمد القاسم): ٢٨
منظومة في القراءات - محمد بن أحمد المعافري: ٢٨

(ن)

- الناسخ والمنسوخ - النحاس: ٥١ ، ٤٩
نزهة البصائر والأبصار = ابن الزبير الثقفي: ٤٢
نظم الدرر في تناسب الآي والسور - البقاعي: ٦٦ ، ٥٥
النفح الشذي في شرح الترمذي - ابن سيد الناس: ٢٩
نفح الطيب - المقرئ: ٣٤

فهرس بأهم المصادر والمراجع

مرتبة حسب المؤلفين على حروف المعجم

القرآن الكريم:

ابن الأبار (محمد بن عبد الله):

- التكملة لكتاب الصلة، جزءان، ط. روضح مجريط، ١٨٨٧م.

ابن الأثير (أثير الدين):

- أسد الغابة = ط. القاهرة، ١٩٢٨م.

- الكامل في التاريخ، ٩ مجلدات، القاهرة، ١٣٤٨هـ.

- اللباب في تهذيب الأنساب، ٣ مجلدات، بيروت.

الباقلاني (أبو بكر بن الطيب):

- نكت الانتصار، تحقيق محمد زغلول سلام، مصر، ١٩٧١م.

البخاري (محمد بن إسماعيل):

- الصحيح، ٩ أجزاء، مصر، ١٣٤٥هـ.

بروكلمان:

- تاريخ الأدب العربي، الملحق ٢، ليدن، ١٩٣٨م.

ابن بشكوال (خلف بن عبد الله):

- الصلة، مجلدان، ط. مجريط، ١٨٨٣م.

البغدادي، الخطيب (أحمد بن علي):

- تاريخ بغداد، ١٤ مجلدات، مصر، ١٣٤٩هـ.

البغدادي (إسماعيل باشا):

- إيضاح المكنون، مجلدان، تحقيق الكليسي، ط ج ١ = ١٩٤٥م.

- هدية العارفين، مجلدان، ط ج ١ = ١٩٥١، ط ج ٢ = ١٩٥٥م.

البقاعي (برهان الدين):

- نظم الدرر في تناسب الآي والسور، مخطوط بدار الكتب الوطنية، بتونس.

- الترمذي (محمد بن حسين):
 - السنن، طبعة القلعي، بدون تاريخ.
 تقي الدين المكي:
 - لحظ الألفاظ بذييل طبقات الحفاظ، دمشق، ١٣٤٧هـ.
 التنبكتي:
 - نيل الابتهاج، على هامش الديباج لابن فرحون، مصر، ١٣٧١هـ.
 ابن الجزري (محمد بن محمد):
 - غاية النهاية في طبقات القراء، مجلدين، مصر، ١٣٥١هـ.
 حاجي خليفة:
 - كشف الظنون، مجلدين، ط. اسطنبول، ١٩٤١م.
 الحاكم (أبو عبد الله النيسابوري):
 - المستدرک علی الصحيحین، ٤ مجلدات، بيروت.
 ابن حجر (المسقلاني):
 - الدرر الكامنة، ٤ مجلدات، ط. دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م.
 - فتح الباري، طبعة بولاق، ١٣٠١هـ.
 - الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ مجلدات، مصر ١٩٣٩م.
 - تهذيب التهذيب، ١٢ مجلدًا، ط. الهند، ١٣٢٧هـ.
 ابن حزم (علي بن أحمد):
 - الفصل في الملل والأهواء والنحل = ٣ أجزاء، ط. القاهرة، ١٣١٧هـ بهامشه
 الملل والنحل للشهرستاني.
 ابن حنبل (أحمد):
 - المسند، ٦ مجلدات، القاهرة، ١٣١٣هـ.
 ابن الخطيب (لسان الدين):
 - الإحاطة في أخبار غرناطة، مجلدان، تحقيق عنان، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٣م.
 ابن خلكان (أحمد بن محمد):
 - وفيات الأعيان: تحقيق إحسان عباس، ط. دار صادر، ١٩٧١م.
 الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن):
 - سنن الدارمي، دار الفكر بيروت.

أبو داود (سليمان السجستاني):

- صحيح سنن المصطفى، مجلدان، القاهرة، ١٣٤٨هـ.

الذهبي (محمد بن أحمد):

- تذكرة الحفاظ، ٤ مجلدات، حيدرا آباد، ١٣٣٤هـ.

الرازي (فخر الدين):

- التفسير الكبير، ٣٢ جزءاً، ط أولى، ١٩٥٧م.

ابن الزبير الثقفي (أحمد بن إبراهيم):

- البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق سعيد الفلاح.

- صلة الصلة، تحقيق لفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٨م.

- ملاك التأويل في توجيه متشابه اللفظ من أي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، ط.

دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م.

الزرقاني:

- شرح المواهب اللدنية، طبعة أولى.

الزرقاني (محمد عبد العظيم):

- مناهل العرفان، مجلدان، القاهرة، ١٩٥٤م.

الزركشي (بدر الدين):

- البرهان في علوم القرآن، ٤ مجلدات، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ١٩٥٧م.

الزركلي (خير الدين):

- الأعلام، ١٠ أجزاء، الطبعة الثانية، ١٩٥٤م إلى ١٩٥٩م السبكي (تاج

الدين).

- طبقات الشافعية، القاهرة، ١٩٢٤م.

السخاوي (محمد بن عبد الرحمن):

- الضوء اللامع، ٦ مجلدات، ١٣٥٣هـ.

السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله):

- الروض الأنف، مجلدان، مصر، ١٩١٤م.

السيوطي (جلال الدين):

- الإرتقان في علوم القرآن، جزءان، الطبعة الرابعة، مصر، ١٩٧٨م.

- بغية الوعاة، مجلدان، ط. الحلبي، ١٩٦٤م.

- الشوكاني (محمد بن علي):
 - البدر الطالع، مجلدان، القاهرة، ١٣٤٣هـ.
 ابن أبي شيبة (عبد الله بن محمد):
 - المصنف، الطبعة الثانية، طبعة العضد ١٩٧٩م/١٣٩٩هـ.
 صبحي الصالح:
 - مباحث في علوم القرآن، ط. ٦ بيروت، ١٩٦٩م.
 الصفدي (صلاح الدين خليل):
 - الوافي بالوفيات، ٩ أجزاء بيسان، ١٩٧٢م.
 الطبري (ابن جرير):
 - تفسير جامع البيان، ٣٠ جزءاً، تحقيق محمود محمد شاكر، ط ١٩٥٧م.
 ابن عبد الملك (محمد بن محمد):
 - الذيل والتكملة، ٤ مجلدات، تحقيق محمد بن شريفة وإحسان عباس، بيروت.
 - ابن العربي (أبو بكر).
 - أحكام القرآن، ط أولى، مصر، ١٣٣١هـ.
 ابن عطية (عبد الحق):
 - مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق أرثر جفري، مصر، ١٩٥٤م.
 ابن عماد الحنبلي (عبد الحي):
 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، بيروت، بدون تاريخ، عياض
 (أبو موسى اليحصبي، المعروف بالقاضي).
 - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، جزءان، منشورات المكتبة التجارية الكبرى
 ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم).
 - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، مصر، ١٣٢٩هـ إلى ١٣٥١هـ ابن
 القاضي (أحمد بن محمد).
 - جذوة الاقتباس، ط. حجرية، بدون تاريخ.
 - درة الحجال، ٣ أجزاء، القاهرة، ١٩٧٠م.
 القفطي (علي بن يوسف):
 - إنباه الرواة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٥٠م إلى ١٩٧٣م.
 القلقشندي (أبو المباس أحمد بن علي):
 - صبح الأعشى، ١٤ جزءاً، ط. دار الكتب، مصر، ١٣٤٠هـ.

- الكتاني (محمد عبد الحي):
 - فهرس الفهارس، مجلدان، فاس، ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ.
- الكتاب (محمد بن جعفر):
 - الرسالة المستطرفة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٣٢ هـ.
- كحالة (محمد رضا):
 - معجم المؤلفين، ١٥ جزءاً، دمشق، ١٩٥٧ - ١٩٦١ م.
- ابن ماجه (محمد بن يزيد):
 - سنن ابن ماجه، مجلدان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر الحلبي بدون تاريخ.
- محمد شاکر الکتبي:
 - فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ٤ أجزاء، بيروت، ١٩٧٣ م.
- محمد بن شریفة:
 - مدخل تاريخي إلى دراسة الشوذية، ١٩٦٥ م.
- محمد فؤاد عبد الباقي:
 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، مصر ١٣٦٤ هـ.
- محمد بن محمد مخلوف:
 - شجرة النور الزكية، القاهرة، ١٣٤٩ هـ.
- مسلم (ابن الحجاج القشيري):
 - صحيح مسلم، القاهرة، ١٣٠٧ هـ.
- صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨ جزءاً، القاهرة بدون تاريخ.
- المقري (أحمد بن محمد):
 - نفح الطيب، ٨ مجلدات، بيروت، ١٩٦٨ م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم):
 - لسان العرب، ٤ مجلدات، نشر دار لسان العرب، بيروت.
- النباهي (أبو الحسن):
 - تاريخ قضاة الأندلس، نشر لفي بروفنسال، مصر، ١٩٤٨ م.
- النحاس (أبو جعفر):
 - الناسخ والمنسوخ، مصر، ١٣٢٣ هـ.

النسائي (أحمد بن شعيب):

- سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، ٨ أجزاء، ط ١ مصر، ١٣٤٣هـ.
- النووي (يحيى بن شرف).
- التبيان في آداب حملة القرآن، مصر، ١٩٦٠م.
- تهذيب الأسماء واللغات، القاهرة بدون تاريخ الهيثمي (ابن حجر).
- مجمع الزوائد، ط القاهرة، ١٣٥٢هـ.

ياقوت الحموي:

- معجم البلدان ليزنغ، ١٨٦٧م.

فهرس الموضوعات العام

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
تقديم لمعالي مدير الجامعة	٧
مقدمة المحقق	١١
المبحث الأول: ترجمة المؤلف	١٩
اسمه ونسبه	١٩
مولده ونشأته	٢٠
خصاله	٢١
مذهبه	٢٢
شيوخه	٢٣
تلاميذه	٣٢
مكانته العلمية	٣٥
مؤلفاته	٣٥
وفاته	٤٢
المبحث الثاني: ترتيب السور بين التوقيف والنظر	٤٤
المبحث الثالث: مناسبة آي القرآن وسوره	٦٥
مقدمة المؤلف	٧٥
باب التعريف بترتيب السور	٧٩
سورة أم القرآن	٨٣
سورة البقرة	٨٤
سورة آل عمران	٨٩
سورة النساء	٩١
سورة المائدة	٩٢

٩٤	سورة الأنعام
١٠٠	سورة الأعراف
١٠٣	سورة الأنفال
١٠٧	سورة التوبة
١٠٨	سورة يونس
١٠٩	سورة هود
١١٢	سورة يوسف
١١٦	سورة الرعد
١١٩	سورة إبراهيم
١٢٢	سورة الحجر
١٢٣	سورة النحل
١٢٤	سورة الإسراء
١٢٦	سورة الكهف
١٢٨	سورة مريم
١٢٨	سورة طه
١٣٠	سورة الأنبياء
١٣١	سورة الحج
١٣٢	سورة المؤمنون
١٣٣	سورة النور
١٣٤	سورة الفرقان
١٣٥	سورة الشعراء
١٣٧	سورة النمل
١٣٨	سورة القصص
١٤٠	سورة العنكبوت
١٤٢	سورة الروم
١٤٤	سورة لقمان
١٤٥	سورة السجدة
١٤٧	سورة الأحزاب

١٥٠	سورة سبأ
١٥٢	سورة فاطر
١٥٣	سورة يس
١٥٤	سورة الصافات
١٥٥	سورة ص
١٥٥	سورة الزمر
١٥٦	سورة المؤمن
١٥٨	سورة فصلت
١٦٠	سورة الشورى
١٦١	سورة الزخرف
١٦٢	سورة الدخان
١٦٣	سورة الجاثية - الشريعة
١٦٥	سورة الأحقاف
١٦٥	سورة القتال
١٦٦	سورة الفتح
١٦٨	سورة الحجرات
١٧٠	سورة ق
١٧١	سورة الذاريات
١٧٢	سورة الطور
١٧٣	سورة النجم
١٧٤	سورة القمر
١٨٠	سورة الرحمن
١٨١	سورة الواقعة
١٨١	سورة الحديد
١٨٢	سورة المجادلة
١٨٤	سورة الحشر
١٨٥	سورة الممتحنة
١٨٦	سورة الصف

١٨٧	سورة الجمعة
١٨٧	سورة المنافقون
١٨٨	سورة التغابن
١٨٩	سورة الطلاق
١٩٠	سورة التحريم
١٩٠	سورة الملك
١٩١	سورة القلم
١٩٤	سورة الحاقة
١٩٥	سورة المعارج
١٩٥	سورة نوح
١٩٦	سورة الجن
١٩٧	سورة المزمل
١٩٧	سورة المدثر
١٩٨	سورة القيامة
١٩٨	سورة الإنسان
١٩٩	سورة المرسلات
٢٠٠	سورة النبأ
٢٠١	سورة النازعات
٢٠١	سورة عبس
٢٠٣	سورة التكويد
٢٠٣	سورة الانفطار
٢٠٤	سورة المطففين
٢٠٤	سورة الانشقاق
٢٠٥	سورة البروج
٢٠٥	سورة الطارق
٢٠٥	سورة الأعلى
٢٠٦	سورة الغاشية
٢٠٦	سورة الفجر

الموضوع	الصفحة
سورة البلد	٢٠٧
سورة الشمس	٢٠٨
سورة الليل	٢٠٨
سورة الضحى	٢٠٩
سورة الشرح	٢١١
سورة التين	٢١١
سورة العلق	٢١٣
فصل	٢١٤
سورة القدر	٢١٤
سورة البينة	٢١٥
سورة الزلزلة	٢١٥
سورة العاديات	٢١٦
سورة القارعة	٢١٦
سورة التكاثر	٢١٧
سورة العصر	٢١٧
سورة الهمة	٢١٨
سورة الفيل	٢١٨
سورة قريش	٢١٨
سورة الماعون (الدين)	٢١٩
سورة الكوثر	٢٢٠
سورة الكافرون	٢٢١
سورة النصر (الدين)	٢٢٢
سورة المسد (تبت)	٢٢٣
سورة الإخلاص	٢٢٤
سورة الفلق	٢٢٤
سورة الناس	٢٢٤
الخاتمة	٢٢٦
فهرس الآيات	٢٣١

الموضوع	الصفحة
فهرس الأحاديث والآثار	٢٧٣
فهرس الأعلام	٢٧٥
فهرس القبائل والجماعات والفرق	٢٨١
فهرس الأماكن والبلدان	٢٨٣
فهرس الآيات الشعرية	٢٨٥
فهرس الكتب	٢٨٧
فهرس بأهم المصادر والمراجع	٢٩١
فهرس الموضوعات العام	٢٩٧